۵ قران

۸۲

امانت آقا میرزا حسن [illegible]
وزیر [illegible]
ایران

هو الله تعالى شأنه

ديوان الصبابة تأليف الشيخ الامام العلامة
الفقيه النحوي المورخ الاديب المفنن الناظم
الناثر حريري الزمان وصرصري اوانه وكل اوان
شهاب الدين ابي العباس احمد بن يحيى بن ابي بكر
بن عبد الواحد الشهير بابن ابي حجلة المغربي مولدا
الدمشقي منشأ نزيل القاهرة المحروسة ادام الله
تعالى فضائله واسبغ فواضله

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل للعاشقين باحكام الغرام رضى ۞ وحبب اليهم الموت في حب من يهوونه فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا ۞ انكم فيهم من عاشق ومحب صادق ۞

واي محب فرام الوصل ما متنعوا ۞ فسام صبرا فاعيى نيله فقضى ۞

احله حبه من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ۞ وشبب بذكر محبوبه ان كان تهاميا في حجاز او شاميا في نوى ۞

۞ ملوا يمان اذا لاقيت ذا يمن ۞ وان لقيت معديا فعدنا ني ۞

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد ۞ شهادة من اصبح موته لبعده اقرب اليه من حبل الوريد ۞ وقال العاذله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ۞

۞ فلو ان ما بي من حبيب مقنع ۞ عذرت ولكن من حبيب معمم ۞

واشهد ان محمدا عبده ورسوله شهادة من اخلص في موالاته ۞ وتبرا من الاثم حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراته ۞ صلى الله عليه وعلى آله واصحابه

الذين

الذين يحبهم ويحبونه ۞ ويقفون عند ما امرهم به ولا يعدونه ۞ ما ذر شارق ۞ وهام عاشق اما بعد فان كتابنا هذا

كتاب حوى اخبار من قتل الهوى ۞ وساد بهم في الحب في كل مذهب

مطالعه مثل المواصيل المرتل ۞ يشبب فيها بالرباب وزينب

فهم ما هم ۞ اهرقهم بسيماهم ۞ قد تركهم الهوى كهشيم المحتظر ۞ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ۞ فهم ما بين قتيل وشهيد ۞ وشقي وسعيد ۞ على اختلاف طبقاتهم واشكالهم ۞ وتباين مراتبهم واحوالهم ۞ وغير ذلك مما تصبح به لعوراضه باعذ الثمر ۞ ويمسي به صفحاته في كل احبته من وجهها فيه ۞

واذا نظرت الى الوجود باسره ۞ شاهدت كل الكائنات ملاحا

على ان جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بالنا لبعث في هذا الباب ۞ ولم يفرق غالبهم في التشبيب بين زينب والرباب ۞

واذا اشتبكت دموع في خدود ۞ تبين من بكى ممن تباكا

وكل يدعي وصلا بليلى ۞ وليلى لا تقر لهم بذاكا

فربع كتابنا هذا بذكر ليلى العامرية معمور ۞ وهو بالنسبة الى ما الفه الشهاب محمود مشكور ۞ ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام وانشد في تصديق هذه الدعوى انا قالت خدام ۞ فمؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى حلية محجل وقهاب منازل الاحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل ۞

وعد بت طيفك في الجفاء لانه ۞ لبعيد صبح دوننا بمراحل

آخر

فيا دادها بالخيف ان مزارها ۞ قريب ولكن دون ذلك اهوال

فان قلت الفضل للمتقدم ۞ وهل غادر الشعراء من متردم ۞ قلت

نعم في الخمر معنى ليس في العنب ۞ واحسن ما في الطاوس الذنب ۞

فدع كل صوت بعد صوتي فانني ۞ انا الطائر المحكي والاخر الصدا

فكم ترك الاول للاخر ۞ فلا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ۞ ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يالفه الفتى ۞ وحنينه ابدا لاول منزل

فقد سقط في يديه * وقيل في الرد عليه *

افخر بآخر من كلفت بحبه * لا خير في حب الحبيب الاول

اتشك في ان النبي محمدا * ساد البرية وهو آخر مرسل

وقال ديك الجن الحمصي يرد على حبيب قوله المتقدم *

كذب الذين تحدثوا ان الهوى * لا شك فيه للحبيب الاول

ما لي احن الى خراب مقفر * درست معالمه كأن لم يؤهل

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور *

كذب الذين تخرصوا في قولهم * ما الحب الا للحبيب الاول

أفطيب في الطعم ما قد ذقته * من مأكل او طعم ما لم يؤكل

فقال ديك الجن ايضا حين بلغه قول حبيب هذا *

ارغب عن الحب القديم الاول * وعليك بالمستأنف المستقبل

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى * كهوى جديد او كوصل مقبل

وقال ابو البرق وسلك بينهما جادة الانصاف * ولقوله يجب الاعتراف * لانه احسن في المقال * حيث قال *

زادوا على المعنى فكل محسن * والحق فيه مقالة لم تجهل

الحب للمحبوب ساعة وصله * ما الحب فيه لآخر ولا اول

على انني لم اجد ما في منازل الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل * ولا تحليت على مستنفر فواحيا من حلي التحلي * ولكن قصدت التنبيه على ان احسن التآليف مواهب * وان للناس فيما يعشقون مذاهب * ومعلوم ان الجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون * ولم يزل كتابنا هذا في مسودته منذ لج * وبيوته من جودها في لج * لا ابيح ما فيه من منازل الاحباب لساكن * ولا امكن عاشقا من المرور بتلك الاماكن * شعر

اغار اذا آنست في الحي انة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

حتى برز بطلبه المرسوم الشريف الملكي الناصري ادام الله تعالى نشر اعلامه * ولا اخلى كنانته من سهامه * ما تعلقت مراسيم الفضل * وتلقى قوام الحبيب الذي طاب به الزمان واعتدل * فبادرت الى تجهيزه * وسبك ابريزه * حسب المرسوم الشريف من غير تسويف ولا تكليف * ولم ابح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الانام * لانه كان يقال كلما يصلح للمولى على العبد حرام * لا جرم انه جا بنظره السعيد نزهة للنظر * وقال الواقف على عتبة بابه

ان

ان السعادة تلحظ الجن * فهو للسلطان بستان * وللعاشق سلوان * وللمحب الصادق حبيب موافق * وللمهجور نجوة * وللنديم قهوة * وللناسي تذكرة * وللاعمى تبصرة * وللشاعر الجيل بيت القصيد * وللاديب الماهر مثل ساير * وللمحدث قصص * وللحاسد غصص * وللفقيه تنبيه * وللحبيب بالقمر تشبيه *

تبادره بالبد رفيه بوادره * وتخلو لديه عند الورود نوادره

تفيد له في كل يوم وليلة * خيال كليم او نديم يسامره

ولي فيه نظم ان تضوع نشره * ففي طيه حلو الكلام ونادره

ولي فيه منثور غدا في مقامه * وعرف شذاه مشرق الروض عاطره

ولي فيه من سحر البيان رسايل * اذا ما جفاني احور الطرف ساحره

ولي فيه اشعار الحروف لا تنثر * يتقطر دمعي فيه وسواير

فنثر ودمعي مثل نظم سطوره * فتحدي اذا ما خطها دفاتره

تكمل دالدمع اقلام هل يه * تدمع جنوني والسواد محا بره

حفظت بديوان الصبابة عاملا * فما شئت قلي عن سباني ناظره

فلولا الهوى ما مات مثلي عاشق * ولا عمرت بالعامرين مقابره

وفي تغلب ذكر الغزال وموبع * تكاد حقوق فيه الحديث جآذره

انزهه عن وصف مثله عنيزة * ومنزل تغلب سوقن منه اباعره

تجر قوافيه معان عقد بها * جريو لعبد او تفنن جوايره

يشيب بها فود الوليد لانه * يشير وجنح الليل سود ضفايره

ولست ادري يوما بداره جلجل * سوى شاعر دارت عليه دوايره

اذا ما انسي ذكري حبيب ومنزل * فاني لمن اهواه ما عشت ذاكره

اجاوره في سفح المقطم جيرة * فيا حبذا المحبوب حين يجاوره

فيا طيف من اهواه طرفي ان غفا * اتهجره بالله ام انت زائره

وحقك لو ما يوته بعض ليلة * لما نويت ساعات في الحب سايره

يمثلك الشوق الشديد لطرفه * فتجري به كالحاجري محاجره

ويانيه طيف من خيالك طارق * فيطرق اجلالا لانك حاضره

وبي من بهج الريح غصن قوامها * اذا بات في الروض النضير يباكره

اذا اقبلت في الحلي والطيب قيل لي * حبيبك بستان تضيع ازاهره

وان رمقت منها دهى غصن القنا * ثنت عطفها ظبي الغزال تشاوره

ايبرد ما القاه من حر هجرها * وقد حميت يوما علي هواجره

تحصنت في حصن الهوى عن عواذلي * وبات لقلبي حيث هم يحاصره
ولو لم يكن اعمى البصيرة عاذلي * لما عميت عن من هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن مثلها * يشاهدها ينقضي ويطرق ناظره
الا الغصن غصن كالشقيق اذا بدا * وشعر كجنح الليل سود غدائره
لئن طاب ذلي في هواها فانني * وحقك من عزي في سر ناصره
مليك يهتز النهر اعطاف قده * كما اهتز غصن طار في الكف طائره
مليك توهم قبل ما هو كائن * بصيرته اضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا * جميل المحيا بادع الحسن باهره
مليك اذا ما سار كالبدر في الدجى * فاولاده مثل النجوم تسايره
مليك ارى من حوله كل عالم * يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة * بشير توالت بالهنا وبشايره
مليك اسود الغاب تحذر باسه * لان ملوك الارض طرا تحاذره
ترو عهم شهب السما وبروقه * وما هي الا سمره وبواتره
اذا قرع الاشكال حال اجتماعهم * فاي ضمير لم يدس فيه ضامره
واي كماة لم يرعهم نزاله * واي مكان ما علته منابره
واي قصيد نحوها لم يرق له * وغايص فكري ناظم الدر ناثره
ولي فيه من غر القصائد حسنة * وهذا الذي طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما * تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم فيه لي من مرقص حول مطرب * تجشيه في الحي بطرب زايره
ولو لم يكن مثل السكر دان ما غدا * بحضرته يوما تطيب حواضره
نعم الفته باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح * وتوليت لاجله عمله بنفسي فجاء كما قيل على الروح للروح *

احيم بمن هام الحبيب بحبه * الا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

وسلكت في تاليفه الاختصار والاقتصار * على النزر من القصار * لانه كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار * ووضع له بخار * وقال يحيى بن خالد لولده اكتبوا احسن ما تسمعون * واحفظوا احسن ما تكتبون * وحدثوا باحسن ما تحفظون * خذوا من كل شيء طرفا فانه من جهل شيئا عاداه *

وسميته ديوان الصبابة

ليصبح الواقف عليه مدلها * ويعلم انه لم اكن للصبابة من لها *

مايعلم

ما يعلم الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

اي والله

قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون

ورتبته على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمة **اما المقدمة** ففي ذكر حد العشق واشتقاقه * وما قيل في وسمه ووشمه * واسبابه وعلاماته ومراتبه واسمائه ومدحه وذمه * وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري او اضطراري ونحو ذلك **واما الابواب**

فالباب الاول في ذكر الحسن والجمال * وما قيل فيهما من تفضيل والجمال *
الباب الثاني في ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء *
الباب الثالث في ذكر من عشق على السماع * ووقع من النوم على الحبيب في النزاع *
الباب الرابع في ذكر من نظر اول نظرة * فاحترق من خد الحبيب بجمرة *
الباب الخامس في ذكر تغير الالوان عند العيان * من صفرة وجل وحمرة خجل وما معنى ذلك من عقد اللسان وخرس البيان
الباب السادس في ذكر العبرة * وما فيها من الحيرة * ووقوع من دبك الحجر *
الباب السابع في ذكر افشاء السر والكتمان * عن ابناء الزمان *
الباب الثامن في ذكر مغالطة الحبيب في استعطافه * وتلافي غيظه ونفوره *
الباب التاسع في ذكر الرسل والرسائل * والتلطف في الوسائل *
الباب العاشر في ذكر الاحتيال على طيف الخيال * وغير ذلك وما فيه على اخلاق معانيه
الباب الحادي عشر في قصر الليل وطوله * وخضاب شفقه وفضوله * وما في معنى ذلك
الباب الثاني عشر في ذكر قلة عقل العذول * وما عنده من كثرة الفضول *
الباب الثالث عشر في ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة *
الباب الرابع عشر في ذكر الرقيب النمام * والواشي الكثير الكلام *
الباب الخامس عشر في ذكر العتاب عند اجتماع الاحباب * وما في معنى ذلك من الرضى والعفو عما مضى *
الباب السادس عشر في ذكر اعانة العاشق المسكين اذا وصل الى العظم السكين *
الباب السابع عشر في ذكر دوى * علة الجوى *
الباب الثامن عشر في ذكر غلبة العشق على العقب المشوق * وغير ذلك من اقسام الهجر وصبر الغائب على الهجر *
الباب التاسع عشر في ذكر الدعاء على المحبوب * وما فيه من القهر المغلوب *
الباب العشرون في ذكر الخضوع * وانسكاب الدموع *
الباب الحادي والعشرون في ذكر الوعد والاماني * وما فيهما من راحة المعاني *
الباب الثاني والعشرون في ذكر الرضى من المحبوب * باليسير مطلوب *

الباب الثالث والعشرين في ذكر اختلاط الاشباح اختلاط الماء بالراح
الباب الرابع والعشرين في ذكر عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما في معنى ذلك من تغير الحبيب وتشبيه الورد بالكثيب
الباب الخامس والعشرين في ذكر ما يكابده من طلب الاحباب من الامور الصعاب
الباب السادس والعشرين في ذكر طيب ذكرى الحبيب
الباب السابع والعشرين في ذكر طرف يسير من المقاطيع الفائقة والاغزال الرائقة مما اشتمل عليه ورد الخدود
الباب الثامن والعشرين في ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين من ذوات الجمال وما في معنى ذلك من ذكر ...
الباب التاسع والعشرين في ذكر من ابتلي من اهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان
الباب الثلاثين في ذكر من اتصف بالعفاف باحسن الاوصاف

واما الخاتمة

ففي ذكر من مات من حبه وقدم على ربه من غني وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ولاجل ذكرهم اسست قواعد هذا الكتاب ودخلت منه من باب وخرجت من باب **ومن هنا نشرع في ذكر ما يجلب الراحة** لمراوح الخيش ويكون عند المطالعة كالطليعة للجيش وهو **المقدمة** في ذكر العشق ورسمه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري او اضطراري وتشتمل ذلك على خمسة فصول

الفصل الاول في ذكر العشق ورسمه وما

قيل في اسمه **اقول** هذا الفصل عقدناه لذكر رسم العشق وحده وجزره ومده المتلاطم وما للناس فيه من الكلام البائن التباين اذ فيهم من التبس عليه فسماه باسم مسببه او باسم ما يؤول اليه وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب واصابة الصواب وعلى دهم الظاهر قول الشاعر

يقول الناس لو نعتت لنا الهوى ٭ ووالله ما ادري لهم كيف انعت
فليس لشيء منه حد احده ٭ وليس لشيء منه وقت موقت

فمن حدوده المليحة ورسومه الصحيحة قول فيثاغورس الذي اخذ الحكمة عن اصحاب سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام فيما ذكره صاعد في كتاب الطبقات **العشق** طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمى ثم يتربى ويجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والفكر في الاماني والحرص على الطلب حتى يؤدي ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته الى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء فساد الفكر ومع فساد الفكر

التبين لبرد

يكون

يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يؤدي ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى اربعة وعشرين ساعة فيظنون انه مات فيقبرونه وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وترآه اذا ذكر من يهواه هرب دمه واستحال لونه **قال** الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهري واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عمن هذه حاله لا سبيل اليه بتدبير الادوية ولا شفاء له الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه يقتضيا التلطف فيه بزوال سببه فاما اذا وقع السببان فكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفر وقلبهما الى تقوية السوداء فهذا هو الداء العضال الذي يعجز عن معالجته الاطباء **ومنها** قول افلاطون الاخذ الحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره **العشق** قوة عزيزية متولدة من وسواس الطمع واشباح التخيل نام بتضال الهيكل الطبيعي يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل انسان ضد طباعه حتى يبلغ به المرض النقصان والجنون الشوق فيؤديانه الى داء العضال الذي لا دواء له **ومنها العشق** عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم حبك الشيء يعمي ويصم **وكقول الشاعر**

ولست براء عيب ذي الود كله ٭ ولا بعضه الا اذا كنت راضيا
وعين الرضى عن كل عيب كليلة ٭ كما ان عين السخط تبدي المساويا

وقول الآخر

وعين السخط تبدي كل عيب ٭ وعين اخي الرضا عن ذاك عميا

ومنها ما نبه عليه ابو علي بن سينا وغيره من الاطباء **العشق** مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون **وقال** بعض الادباء الظرفاء **العشق** عبارة عن طلب ذلك الفعل من شخص مخصوص وهو انظف **وقال** الجنيد العشق رحمانية والهام شوق اوجبها كرم الله تعالى من كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهو موجود في الانفس مقدرة مراتبها عند اربابها فما احد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان اشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع كونها مخبرا لهم عنها بصورة

بتضال

لفظه وقال الاصمعي سالت اعرابية عن العشق فقالت جل والله ان يرى وخفي عن ابصار الورى
وان توكنه تواد ف وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه واحتج بقول قيس قالوا اجننت بمن تهوى فقلت لهم
ما لذة العيش الا للمجانين العشق لا يستفيق الدهر صاحبه
وانما يصرع المجنون في الحين وقيل لابي زهير المديني ما العشق قال
الجنون والذل وهو داء اهل الظرف وقيل لابي نوفل الاوغلاني ما تقول في العشق
فقال ان لم يكن جنونا من الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو
تحريك الساكن وتسكين المتحرك وقال المامون ليحيى بن اكثم ما العشق فقال
سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه ويوثر بها نفسه فقال له ثمامة اسكت يا
يحيى انما عليك ان تجيب في مسالة طلاق او محرم صاد صيدا فاما هذه
فمن مسايلنا نحن فقال له المامون قل يا ثمامة قال العشق جليس ممتع
واليف مونس وصاحب ملك مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جارية
ملك الابدان وارواحها والقلوب وخواطرها والعقول واراءها قد اعطي عنان
طاعتها وقوة تصرفها وتوارى عن الابصار مدخله وعمي عن القلوب مسلكه
فقال له المامون احسنت يا ثمامة وامر له بالف دينار وهذا القدر كاف
في معرفة العشق ورسمه ان شاء الله تعالى الفصل الثاني في اسبابه وعلاماته اقول
هذا الفصل عقدناه للكلام على اسباب العشق النفسانية وعلاماته الجسمانية
على ان هذا النوع الاخير كثير والمتصف به بين المحبين جم غفير وسنورد
من ذلك ما يعذب وروده ويتحقق كقلب لعاشق بنوده ان شاء الله تعالى
قال بعضهم لا اعلم سبب العشق النفساني الاستحسان والفكر وسببه
البدني ارتفاع بخار رديء الى الدماغ من مني محتقن ولذلك اكثر
ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن الاكفاني
في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب واكل الطيور السموسة يورث
العشق وقال ايضا في الخلاصة علامته نحافة البدن وخلا الجفن للسهر و
كثرة ما يتصعد اليه من الابخرة وغور العين وجفافها الا عند البكا
وحركة الجفن ضاحكة كانه ينظر الى شيء لذيذ ونفس كثير الانقطاع
والاسترداد والصعداء ونبض غير منتظم لا سيما عند ذكر اسما وصفات
مختلفة فانها اشتد عنده اختلاف النبض وتغير الوجه فهو وقال

ادا ميل

اذا ميل الفلكي العشق من النجوم زحل وعطارد والزهرة جميعا وذلك اذا اشتركوا في
اصل المولد واجتمعوا او تناظروا من اشكال محمودة ووقع سهم العشق والمحبة في
بيت احدهم او في حده وكان رب البيت او صاحب الحد ناظرا اليه وكانت الكواكب
المذكورة ناظرة من اشكال محمودة اختص به فزحل يعطي العكوف والتمني والطمع
والهم والهيجان والاحزان والوسوسة والجنون وعطارد يعطي قول الشعر ونظم
الرسايل والملق والخلاعة وتنميق الكلام والتذلل والتلطف والزهرة
تعطي العشق والوله والهيمان والرقة وتبعث على الشوق والغلمة وتدعو
الى الطرب وسماع الاغاني وما شابه ذلك وقال بطليموس سببه ان يكون
الشمس والقمر في برج واحد او متناظران من تثليث او تسديس فمتى كان
كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما لكون سهمي سعادتهما في مولديهما
في برج واحد او يتناظر السهمان من تثليث او تسديس بعد ان يكون
نظر صاحب سهم المحبة والصداقة فذلك يدل على ان هذين المولودين منهما
من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة وان احدهما ينتفع بمودة صاحبه فتجلب
المنفعة ما بينهما المحبة والمودة ويمتزجان ويويد هذا قول الخبز ارزي

ولكن ارواح المحبين تلتقي ÷ اذا كانت الاجساد عنهن نوما
واحسب روحينا من الاصل واحدا ÷ ولكنه ما بيننا متقسما
ولو لم يكن هذا كذا ما انا لمت ÷ له مهجتي ما الغيب لما انا لما

ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك
من مهابته له وحيائه منه وعظمته في صدره ولهذا تستعمل الملوك من يخاطبهم
وهو يحدق النظر اليهم بل يكون خافض الطرف الى الارض قال
الله تعالى مخبرا عن كمال نبيه صلى الله عليه وسلم ما زاغ البصر وما طغى وهذا غاية
الادب فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح الى ما تجاوزه اماه واتيه
ومنها اضطراب يبدو للمحب عند روية من يشبه محبوبه او عند سماع
اسمه كما قيل

ودامع دعا اذ نحن بالخيف من منى ÷ فهيج اشواق الفواد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكانما ÷ اطار بليلى طايرا كان في صدري

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه
اذا حدث واستغراب ما ياتي به ولو انه عين المحال وتصديقه وان كذب

وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف سلك والاسراع بالسير
نحو المكان الذى يكون فيه والتعمل للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال
الشاغلة عنه والتهاون بها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى
مفارقته والتباطى فى المشى عن القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يمتنع
به قبل ذلك حتى كانه هو الموهوب له بذل قبل استعار بالحب فاذا تمكن اعرض
عن ذلك ويبذل له سوى الا وتقرعا كانما ياخذ من المحبوب حتى انه يبذل النفس
دون محبوبه كما كانت الصحابة يقون النبى صلى الله عليه وسلم فى الحروب بنفوسهم
حتى يصرعوا حوله **كما قيل**

ويفديك بالنفس صب لو يكون له ÷ اعز من نفسه شىء فداك به

ومنها الانبساط الكثير الزايد والتضايق فى المكان الواسع والمجاذبة على
الشى ياخذه احدهما وكثرة الغمز الخفى والميل والتعمد للمس لهما عند المحادثة و
لمس ما امكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما ابقى الحب فى الاناء **قلت ومنها**
تقبيل نعل ورق غيبته وقد رايت من فعل ذلك فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان
ما تعلم ما فى هذا من اللذة ثم انى وجدت هذا المذكور بمكة واجتمع كثيرا بالحب
محبوبه المذكور لانه جاوره فقلت له كيف امكن الصبر يا زيد من عمرو

فانشد

ولله منى جانب لا اضيعه ÷ وللهو منى والخلاعة جانب

ومنها تقبيل جدار الدار **كما قيل** المجنون ليلى

امر على جدار ديار ليلى ÷ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ÷ ولكن حب من سكن الديارا

ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ولاسيما اذا كانت المحبة محبة
مشاكلة ومناسبة فكثيرا ما يتكلم المحبوب بكلام او يريد ان يتكلم به فيتكلم المحب به
بعينه وكثيرا ما يمرض المحب بمرض محبوبه **قلت** وقد اتفق هذا مرة للسلطان
الملك الناصر احمد لما كان بالكرك مع محبوبه شهيب فانه كان يمرض لمرضه
ويصح لصحته **فقلت لاجرم**

فعلت ما كانت الحمى لتطرقنى ÷ من غير ما سبب الا الحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم ÷ عافاك الله منها حين عافاك
حتى اذا اتفقت نفسى ونفسك فى ÷ هذا وذلك وفى هذا وفى ذاك

ومنها اذا سئل عن امر اجاب بخلافه وكثرة التناوب والتمطى

والتكسل

والتكسل اذا نظر الى محبوبه ونكثه فى الارض بابهام رجليه وهذا كثيرا ما يقع للنسا وعضها
على شفتيها السفلى وضربها على عضديها وثديها وانهارها مما سنها لمن تهواه ترهه
انها توى عند ذلك بعقل هنيها ونظرها الى عطافها ووضعها الحديث فى غير موضعه
اياك اعنى واسمعى يا جاره **ومنها** الانقياد للمحبوب فى جميع ما يعتاده من خير و
شر فان كان المحبوب مشغولا بالعلم اجتهد المحب فى طلبه اشد من اجتهاده وان
كان مشغولا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار المستحسنة بالغ المحب فى حفظها
وان كان مشغولا بحرفة او صناعة اجتهد فى تعلمها ان امكنه ذلك فالمحبة
النافعة ان يقع الانسان على عشق كامل ليحمله عشقه له على طلب الكمال والبلية
كل البلية ان يبتلى الانسان بمحبة فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه له على التشبه به
العشاق ان ما شاع عشق اسد يلات ذكره البصرى وعشق **آخر** الهاوونات
من اجل صوت هاون محبوبه فوجد فى تركته عشرة الاف هاون منها
وقد وقفت من هذا على اشيا كثيرة والجنون فنون **الفصل
الثالث فى مراتبه واسمائه اقول**
هذا الفصل عقدناه لذكر مراتب المحبة وسياقها واسمايها واشتقاقها على اختلاف
لغاتها واتفاق ذواتها **ومن المعلوم** ان الشى اذا كان عند العرب عظيما
وخطره جسيما كالخمر والرمح والجمر والسيف والداهية والمحبة المحرقة وما اداك
ما هيه وضعوا لها اسما كثيرة وكانت عنايتهم بها شهيرة ولا شى يعدل
اعتناهم بالحب الذى يسلب اللب لا جرم اذا خبرتى مثل ذلك من الارباب
فاول
فى قوله ممن كان فى خدمته ملازما له **واما** وقوع ذلك للمتقدمين فكثير
فمن ذلك ما حكى عن ابى نواس انه مرض فدخل عليه بعض اصحابه يعودونه فوجدوا
به خفة فقال فانبسط معنا وقال من اين جيتم فقلنا من عند عنان جارية الناطفى
فقال وكانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت فقال والله لقد انكرت علتى هذه ولم
اعرف لها سببا غير انى توهمت ان ذلك لعلة نالت بعض من احب ولقد وجدت
يومى هذا راحة ففرحت طمعا ان يكون الله عافاه منها قبلى ثم دعا بدواة فكتب الحسان
يقول

انى حممت ولم اشعر بحماك ÷ حتى تحدث عوادى بشكواك

فاول مراتبه **الهوى** وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب
قال الشاعر

ان التى زعمت فؤادك ملها ÷ خلقت هواك كما خلقت هوى لها

قلت ما كانت الابيات النفسى ...

ثم العلاقة وهي الحب اللازم للقلب قال الشاعر

ولقد اردت الصبر عنك فعاقني ❊ علق بقلبي من هواك قديم

وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب واصله من الكلفة وهي المشقة يقال كلفه تكليفا اذا امره بما يشق عليه فكان الحبيب كلف المحب ما لا يطيق ويتفاءل من قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقيل وهو ماخوذ من الاثر وهو شيء يعلو الوجه كالسمسم والكلف ايضا لون بين السواد والحمرة وهي حمرة كدرة ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب وفي الصحاح العشق فرط الحب وهو عند الاطباء من جملة انواع الماليخوليا والمراد بالماليخوليا تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي الى الفساد وهو امر هذه الاسماء وقل ما نطقت به العرب وكانهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده في شعرهم القديم وانما اولع به المتاخرون ولم يقع هذا اللفظ في القران ولا في السنة الا في حديث ابي داود الظاهري كما ياتي بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب وذعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشق كثير العشق وامراة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق وتصفر قال الزجاجي واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت لزج وسمي العشق الذي يكون من الانسان للزوجته ولصوقه بالقلب وقال ابن الاعرابي العشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الشجر فاشتق من ذلك العاشق عشق وعشاق ويقال في المراة عاشقة وامراة عاشق ايضا وقد تقدم ذكر ذلك والله تعالى اعلم ثم الشغف قال العزيزي في غريب القران شغفها حبا اصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف القلب ويقال هو حبة القلب وهي علقة سوداء في صميمه وشغفها حبا ارتفع حبه الى اعلى موضع في قلبها مشتق من شغاف الجبال اي رؤوسها وقولهم فلان مشغوف بفلانة اي ذهب بالحب حتى لا يعقل واما الشعف بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال في الصحاح شعفه الحب اي احرق قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها كذلك اللوعة واللاعج اعني مثل الشعف في الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه واحرق جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفي الصحاح لوعة الحب حرقته فهذا هو الهوى المحرق ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفي الصحاح

ذكره في ديوان العاشقين والعشق يكون للفاعل والمفعول وجمع العاشق عشاق

الجوى

الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق او حزن ثم التتيم وهو ان يستعبده الحب ومنه سمي تيم الله اي عبد الله ومنه قيل رجل متيم ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى ومنه رجل متبول وفي الصحاح تبلهم الدهر وابتلهم اذا افناهم ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوى يقال دلهه الحب اي حيره ثم الهيام وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيام بالكسر الابل العطاش وقوم هيم اي عطاش ثم الصبابة وهي رقة الشوق وحرارته والومق المحبة والوامق المحب والوجد الحب الذي يتبعه الحزن واكثر ما يستعمل في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما اولع به المتاخرون وانما استعملته العرب في المرض والشجن حب يتبعه هم وحزن والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشيء وقد جاء في السنة واسالك النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واختلف في الشوق هل يزول بالوصال او يزيد فقالت طائفة يزول لانه سفر القلب الى المحبوب فاذا وصل اليه انتهى السفر وزال الشوق كما قيل

والقت عصاها واستقر بها النوى ❊ كما قر عينا بالاياب المسافر

وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا عليه بقول الشاعر

واعظم ما يكون الشوق يوما ❊ اذا دنت الخيام من الخيام

قالوا لان الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب وذلك مما يزيد بالقرب والمواصلة والصواب ان الشوق الحاصل عند اللقاء والمواصلة غير النوع الذي كان عند الغيبة عن المحب قال ابن الرومي

اعانقها والنفس بعد مشوقة ❊ اليها وهل بعد العناق تداني

والثم فاها كي تزول صبابتي ❊ اذا اشتد ما القى من الهيمان

كان فؤادي ليس يشفي غليله ❊ سوى ان ترى الروحين يلتقيان

والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال بلابل الحب وبلابل الشوق وهي وساوسه والتباريح الشدائد والدواهي يقال برح به الحب والشوق اذا اصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر القلب من حب او سكر او غفلة والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة المحب الى محبوبه

اني سابكي لك فيما ابدي ❊ لي شجنان شجن بنجد

وفي قول الشاعر بانت سعاد فقلبي اليوم متبول اي سقيم وقيل فاني

وشجن لي ببلاد السند **وقال آخر**

تحمل اصحابي ولم يجدوا وجدي * وللناس اشجان ولي شجن وحدي

والوصب الم الحب ومرضه فان اصل الوصب المرض والكمد الحزن المكتوم والكلمة تغير اللون والسهر وهو من لوازم المحبة الشوق والارق اصل مادته السبق والحب المفرط والارق ٢

لانه يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا

والود خالص الحب والطفه وارقه وهو من الحب منزلة الرافة من الرحمة **والخلة** توحيد المحبة فالخليل هو الذي يوحد حبه بمحبوبه وهي رتبة لا تقبل المشاركة **ولهذا** اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما كما قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفي الصحيح عنه لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا **وقيل** انما سمي الخلة لتخلل المحبة جميع اجزاء الروح

قال الشاعر

قد تخللت موضع الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب افضل من الخليل وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وهذا باطل لان الخلة خاصة وهي توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا خليلا فحصل من لانعام الحب العام على الخاص والعام خاتمة ورد

خللت بعقل خلة ثم خلة * بعقل فطاب لوادياك كلاهما

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي يكون عليه الدين **وقال كثير**

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله اسما اخر غير هذا اضربنا عنها خوف الاطالة **والمحبة** ام باب هذه الاسماء كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه لانه كل محبة شوقا وليس كل شوق محبة **وخالف** ذلك صاحب المنظوم والمنثور فقال زعموا ان العشق والهوى انهى الشيء فيتبعه غيا كان او رشدا **والحب** حروف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواحد الذي يهوى الامر محب للثاني

شحو

في حد المحبة كلام كثير فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم **وقيل** هي ايثارك للمحبوب بكل ما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الانفاس **كما قال المتنبي**

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وقيل مصاحبة المحبوب على الدوام **كما قيل**

ومن عجبي اني احن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

وقيل هي حضور المحبوب عند المحب دائما **كما قال الآخر**

خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب

وفي اشتقاقها ايضا اقوال

فقيل هي مشتقة من حبة القلب وهي سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل هي مشتقة من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك فلم يقم وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهي معظمه او ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب الماء الذي يوضع فيه لانه يمسك ما فيه من الماء ولا يسع غيره اذا امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب وعلى ذكر حب الماء الذي تسميه المصريون الزير ما احسن قول القاضي محيي الدين ملغزا في كوز الزير

ومنبر عن لغز لبنبه وحسن نظم يزينه

وذي اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب * فقل ما شئت في الحب

الفصل الرابع في مدحه وذمه اقول

هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه وتوفيقا فيه وفيما فيه فكم مدحه عاقل وذمه متغافل هيهات فان ذمه المطلوب ومواهب الوجه المليح ذنوب من خصاله المحمودة وفضائله الموجودة ما قال العالم **العشق** فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي ويطلق بالشعر لسان العجم ويبعث حزم الفلجم وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية الادب واول باب تفتق به الاذهان والفطن وتستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستروح الهمم وتسكن نوافر الاخلاق والشيم يمنع جانبه ويونس الغم ذا سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب **وقيل** لبعض العلماء

ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه و
ملحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجادت رسائله وحلت
شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح وقيل لآخر كذلك فقال لا بأس
بذلك اذا عشق لطف وظرف ورق ودق وقيل لبزرجمهر متى يكون
الفتى بليغا فقال اذا عشق كاتبا او وصف هوى وحبيبا ولقد صدق فيما قال
الاحنف بن قيس

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى + ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال آخر

وما سر في الدنيا خلي من الهوى + ولو ان له ما بين شرق ومغرب

وقال آخر

ولا خير في الدنيا بغير صبابة + ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وقال آخر

اسكن الى سكن تلذ بحبه + ذهب الزمان وانت خال مفرد

وقال آخر

اذا لم تذق في هذه الدار صبوة + فموتك فيها والحياة سواء

وقال آخر

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر + حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال آخر

ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها + فيما مضى احد اذا لم يعشق

وقال المتنبي

وعذلت اهل العشق حتى ذقته + فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت انا مضمنا بيت المتنبي مع زيادة السود منه

ان شئت لوعا لقيت من الهوى + فانا الذي صادفته وعرفته
خالفت في زمن الوصال ذوي الهوى + وعذلت اهل العشق حتى ذقته

وحكي ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ان يجعله للملك بعده فوجده
ساقط الهمة دني النفس فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة
فاعلم الملك بهرام بذلك ففرح وارسل الى التي فتن بها ان عشقها ان عشق
عليه وقولي له اني لا اصلح الا لرجل عالي الهمة ملك او عالم فلما قالت
له ذلك راجع العلم وقاعد الملوك من شرف الهمة حتى برع في ذلك وولي الملك

فكان من خيرهم فانتبه ذلك في حكمة الكسرى ان الملك لا يكمل الا بعد
عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يوجر عليه العاشق كما
قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال اشدهم حبا اكرمهم اجرا قالوا وارواح
العشاق عطرة لطيفة وابدانهم ضعيفة وارواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها
حاشا سكنها الذي سكنت اليه وتعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم
تزيد في العقول وتحرك النفوس وتطرب الارواح وتجلب الافراح وتتشوف لسماع
اخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفي العاشق المسكين الذي لم يذكر مع الملوك
ولا مع الشجعان الابطال انه يعشق فيشتهر بالعشق فيذكر في مجالس الملوك
والخلفاء فمن دونهم وتنفذ اخبارهم وتروى اشعاره ويبقى له العشق ذكرا
مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم ولا ارتفع له بين ... ولا ذكر
مع الناس وقال المرزباني سئل ابو نوفل هل سلم احد من العشق فقال نعم الجلف
الجافي الذي ليس له فضل ولا عنده فهم فاما من في طبعه ادنى ظرف او معه
دماثة اهل الحجاز وظرف اهل العراق فلا وقال بعضهم لا يخلو احد من صبوة
الا ان يكون جافي الخلقة ناقصا او منقوص البنية او على خلاف تركيب الاعتدال

ولو خلت الايام لم تخل مهجة + من العشق حتى الماء يعشقه الحجر

ويكفي العاشق انه يرتاح للمعروف ويغاث الملهوف كما قيل

ويرتاح للمعروف في طلب العلى + لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقال ابو الطيب رايت في الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف بلون يعرف

وددت بانه الحب يجمع كله + فيقذف في قلبي وينغلق الصدر
فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى + ومن فرحي بالحب ان ينقضي العمر

فقلت يا بني ما لهذه البنية حرمة تشغلك عن هذا الكلام فقال بلى والله
ولكن الحب ملك قلبي فمنع المنى والله ما اسئل ما يقضى به ما فيه الزوال
من الملك والى عوذا ان يجعله في قلبي عمري ويجعله سجيتي في قبري عند
مبعثي او لم ادر من ادعائي وله قصدت ... ويعجبني مما يعطي الله سائب
حلقي شيء معنى قلت ذكرت هنا ما قاله الاخطل وقد لامه عبد الملك
على الخمر فقال الخمر ما يعجبك منها ولعلها امرا واخرها خمار
لكن بينهما لذة لا ابيعها بخلافتك يا امير المؤمنين كما قال الشاعر

اذا يكن اول اللذات كربهما + او يكن آخر اللذات صداعا
فلها بين ذا وذاك هناة + فضمنها بالزهد لن ينتفعا

ولما ملكنا أفنيته وسر بابه سمته فاكثر من الهجر وتكبر فترك العبد الغني صعلوكا والمالك مملوكا كما قيل شعر

ظل من فرط حبه مملوكا ... ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا ... مستهاما على الصعيد تريكا

الابيات وهي لبعض ملوك الاندلس وسيأتي ذكرها في الباب الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق انفق في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع اهله ومصالح دينه ودنياه وهي فيما يأباه له اعتماد شرع

والعشق يجتذب النفوس الى الردى ... بالطبع واحسبه لمن لم يعشق

فلو لم يكن ما شوهد من الحب الا موافقة التلف وعلى هذا ودعبل الشاعر قال كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس فاذا انا بفتى يجر رمحه بين يدي فالتفت فنظر الى ذلك فقال انت دعبل قلت نعم قال اسمع مني ثم انشد

انا في امرين رشاد ... بين حب وجهاد
بدني يغزو عدوي ... والهوى يغزو فؤادي

ثم قال كيف ترى قلت جيد والله قال ... فاخرج ... الحب وستره فلم يزل حتى قتل وقال الواوا

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر ... ويوم الهوى شهر

وقال غيره

العشق يشغله عن كل صالحة ... وسكرة العشق تنفي سكرة الخمر

وقال عبد المحسن الصوري

وكان ابتداء الذي بي مجونا ... فلما تمكن اصبح شأنا
وكنت اظن الهوى هينا ... فلاقيت منه عذابا مهينا

وقال محمد بن محمد البربري

كيف يطيق الناس وصف الهوى ... وهو جليل ما له قدر
بل كيف يصفون لخلق الهوى ... عشق فهم البلى والعجب

وقال الحسن بن عبد الله بن اسباط القيرواني

قال الخلي الهوى محال ... فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب ... ان انت لم ترضه صرفته
وهل سوى زفرة ودمع ... ان انت لم تجريه كففته

فقلت

فقلت من بعد كل وصف ... لم تعرف الحب اذ وصفته

تنبيه الهوى اكثر ما يستعمل في الحب المذموم قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ افرأيت من اتخذ الهه هواه فعلم من الآية الكريمة والحديث ان الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو في الخير والصلاح وهوى مذموم وهو في الشر والفساد وفي كتاب السهل الموافي في فضائل بني ... ان بعض الصوفية قال انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار قلت لو قال يهوي بصاحبه الى الهاوية لكان انسب وقال وقال بعضهم الهوى الهوان نقلت منه النون كما قيل

فسألتها باسمي عن حالها ... وعلى وجهها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى ... الا الهوان ازيل عنه النون

وقد قال أخلد الى الارض واتبع هواه قيل اخلد الى الارض اي سكن اليها ونزل بطبعه عليها فكانت نفسه ارضية سفلية لا سماوية علوية وهبط بالجسد الى الارض يهبط من السماء قال سهل قسم الله تعالى للاعضاء من الهوى لكل عضو منه حظا فاذا مال عضو منها رجع ضرره الى القلب والنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما دفن العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سما سما فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل القلب الى العرش وحاصل القضية ان العشق والهوى اصل كل بلية وفيه ذل كل نفس ابية وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لا ينبغي للمرء ان يذل نفسه قال الامام احمد فسره ان يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فانه اذل الناس له لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في ... شرع الهوى انف يشال ويعقد

وقال آخر

مساكين اهل العشق حتى قبورهم ... عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل ... فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب اوله عنا ... واوسطه سقم وآخره قتل

الفصل الخامس

في اختلاف الناس فيه هل هو اختياري او اضطراري اقوال

هذا الفصل عقدناه لما تقدم ذكره واسعفي كالصباح سمره اذ للناس فيه
كلام الطلوبين وتحيّر بين الصنفين فقايل بانه اضطراري وقايل بانه اختياري
ولكل من القولين وجه مليح وقد جمع بعض من ذكرنا من ذلك ما يجمع به الاسقاعي
وتكلم فيه طوله وعرضه بالباع والذراع فمن ذلك ما قاله القاضي ابو عمرو محمد بن
احمد النوقاني في كتابه تحفة الظرفاء العشاق معذوريين على كل حال معفو لهم
جميع الاقوال والافعال اذ العشق انما دهاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر
واضطرار والمرء انما يلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضي عليه والمقدور
فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان كان كامل الرعي يوسف عليه السلام
فتنبح حملها فكيف بمن هذا حين وصفه اباختيار كان ذلك منها ام باضطرار لا بل
باضطرار بعقد اقتداره هذا ما لا شك فيه ذو لب ولا يختلج احد منه في قلب **قلت**
وجاء في تفسير قوله ثم فلما رأينه اكبرنه اي رأينه فاعجبهن كبرا وقيل حضن من الدهش
وقال ابن عباس امذين وامنين من الدهش وقطعن ايديهن يحسبن انهن يقطعن
الاترج ولم يجدن الالم ايديهن لاشتغال قلوبهن بحبه **وقال** وهب كن اربعين
امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكلا بحبه **ومنا** احسن قول بعض بني عذرة
وقد قال بعض العرب ما لاحد كم يموت عشقا فهو على انه الهها انما ذلك ضعف نفس
ووهن وخور تجدونه عندكم يا بني عذرة فقال اما والله لو رايتم الحواجب الزج فوق
النواظر الدعج تحتها الناسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى الفضيل بن
عياض لو رزقني الله تعالى دعوة مجابة لدعوت الله تعالى بها ان يغفر للعشاق
لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وقد رأى ابو السايب المخزومي وكان من العلم والادب
بمكان متعلقا باستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقلوبهم واعطف عليهم
قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال والله للدعاء لهم افضل من عمرة من الجعرانة

شعر انشد

يا بحر كف عن الهوى ودع الهوى ... للعاشقين يذيب يا بحر
ماذا تريد من الذين جفونهم ... قرحا وحشو قلوبهم جمر
متلذذين من الهوى الوانهم ... مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم ... مقد مقيض كانها قطر

والظاهر ان قوله افضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جر الفتح بن خاقان على قوله بن ابيات

ايها العاشق المعذب صابر ... فخطايا اخي الهوى مغفوره
زفرة بالهوى احط لذنب ... من غزاة وحجة مبروره

قلت ومعنا بالغ في هذا الكلام حتى استحق الملام ولذا اكتفي بما قيل في التمثيل

على انني راض بان احمل الهوى ... واخلص منه لا علي ولا ليا

والظاهر ان الحامل له على هذا ما ذهب اليه ارسطو من ان الحب عشقا من التهذيب
للحديث الوارد في ذلك وسيأتي ذكره في باب العفاف ان شاء الله تعالى
وقال البغيني في كتابه امتزاج الارواح **سئل** بعض الاطباء عن العشق فقال
انه مفوض باهله ليس باختيارهم ولا يحجر عليهم ولا لذة لا كثرهم فيه ولكن في قوم
بهم كوقوع العلل التي تعتري والامراض التي تلتفت فلا فرق بينه وبين ذلك **وقال**
المدايني لام رجل رجلا من اهل الهوى فقال لو كان الذي هوى اختيارا لاخترت ان
لا يهوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب لنفسه وفي هذا
قال القايل

سيعف الوصل يوم الحرة النطق ... لين الوصل لم يخلق له بصر
يبكي المحبين في الدنيا عذابهم ... والله لا عذبتهم بعدهم سقر

حكى انه قال ما علمت لا نه حمى بعد قوله هذا ... ابو محمد بن حزم قال رجل لعمر بن
الخطاب يا امير المؤمنين اني رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقيل كما قال

يلومونني في حب ليلى كانما ... يرون الهوى شيئا تيممته عمدا
الا انما الحب الذي صدع الحشا ... قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما ارادوا به التمثيل
وان العشق من تحميل ما لا يطاق والمراد بالتحميل ههنا التحميل القدري لا الشرعي الامري
انتهى كلامه **وقال** عبد الله بن طاووس في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال
اذا نظر الى النساء لم يصبر وذكر عن سفيان بن سعد في تفسيره وقالوا وقد رأينا جماعة
من العشاق يطوفون على من يدعو لهم ان يعافيهم الله تعالى من العشق ولو كان
اختيارا لازالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان
عذلهم في هذا الحال بمنزلة عذل المريض في مرضه وما الطف قول بعضهم

يا عاذلي والامر في يده ... هلا عذلت وفي يدي الامر

وانما ينبغي العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب وانصباب دمع العاشق الصب
وقد ذهب جماعة من الاطباء وغيرهم انه اختياري لا اضطراري وقد تقدم في حد العشق
الذي ذكره ابن سينا وغيره انه مرض وسواسي يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكره على
استحسان بعض الصور والشمايل وهذا تصريح منهم في ان الانسان هو المختار للعشق
بتسليط فكره والواقع في حبائل شركه قالوا ولان الجبر اراده موجبة والعبد يحمد ويذم

على ارادته ولهذا يحمد المريد المختار وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله
تعالى الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا واخبر ان عذابهم اليم ولو كانت المحبة
لم تملك لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى
وقال ان ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قالوا والعقلاء قاطبة مطبقون على ان
لوم من يحب ما يتصور بحسنه وهذا فطرة فطر الله عليها الخلق فلو عذره باني لا املك
قلبي لم يقبلوا العذر والقول الصحيح الذي ليس فيه رد ولا عناد محجوبة صدق
التفصيل في ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بني آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة
الحاشية وغلظ القلب وشوق الطبائع وغير ذلك من اذا رأى الصورة الحسنة
مات من شدة ما يرد على قلبه من الدهش كما تقدم في حق النسوة اللاتي متن لما رأين
يوسف عليه السلام وقد كان مصعب بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه

وفيه يقول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله تجلت بنوره الظلماء

ومنهم من اذا رأى المليح سقط من قامته ولم يعرف نعله من عمامته قال الشاعر

فما هو الا ان يراها فجاءة فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فهذا وامثاله عشقه اضطراري والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس ومنهم من يكون اول عشقه
الاستحسان لشخص ثم يورث ارادة القرب منه والمودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى
الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم يصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم
حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد التتيم فيصير ولها والوله الخروج
عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وامثاله مبدأ عشقه اختياري لانه يمكنه
دفع ذلك وحسم مادته على ان هذا النوع ايضا اذا انتهى بصاحبه الى ما ذكرناه صار اضطراريا

كما قال الشاعر

العشق اول ما يكون مجانة فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم ار حقا اشبه بباطل ولا باطلا اشبه بحق من العشق
هزله جد وجده هزل اوله لعب وآخره عطب قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

وقال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر
اختياري وما يتولد عنه من السكر اضطراري فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن
معذورا فيما تولد عنه بغير اختياره ولا ريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة

شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم
عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته او جاريته ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له فهذا
لا يلام على ذلك كما في قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطراريا
واختياريا تارة وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون ادعاء من قال
انه اضطراري مطلقا او اختياري مطلقا غير مقبول عند ذوي العقول والله
تعالى اعلم والى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التي طاب زمانها
واعتدل وظهر بها في وجنة الورد حمرة الخجل وما بقي الا الدخول في الابواب
على الوجه المقترح والاتيان بما فتح الله تعالى ومن دق باب كريم فتح

الباب الاول في ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل والجمال

اقول هذا باب
عقدناه في الكلام على الحسن واقسام الحبيب وكلامه ولا سيما اذا ابتسم
عن حبب واضطرب في ثغره الضرب فهذب مقبله وتناوح من خمر
في الحال ماضيه ومستقبله هنالك يحتوي من الجمال على القسمين اللذين
هما الظاهر والباطن والظاعن والقاطن فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة
والجود والشجاعة والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب ووجهه
الذي فاق البدر بلا عيب للشمس عند المغيب فعند ذلك يبعث البدر بنانا
ويقول لخده الذي ابتدا حسنا من زاده زاده الله في حسنه ولذلك قيل
الحسن الصبيح ما استغلق الافواه بالتسبيح وقيل بل هو

شيء به فتن الورى غير الذي يدعى الجمال ولست ادري ما هو

قلت وهو الصحيح لانه لا يدرك كنهه ولا يعرف شبهه حتى كانه نكرة لا يعرف و
مجهول لا يتعرف ولذلك قال بعضهم الحسن معنى لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف
وقيل الحسن مشتق من الحسنة قلت والذي يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات
حسنات

قال بعضهم في سوداء مليحة

يا رب سوداء تجلى بحسنها الظلمات
ماذا يعيبون منها وكلها حسنات

وقلت انا

ووجه زال وعنه ونهته محاسنه للمحب عيوب
وقيل الخطايا الشامات اضحت فما حسنات الا ذنوب

وقيل الحسن مركب من اشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية
في البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها ورب صورة متناسبة

الخلقة وليست في الحسن بذلك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم بالمرأة
في حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عائشة رضي الله عنها البياض
شطر الحسن وقالوا في الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة
التي تأخذ بصرك جملة فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التي
كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجميل
وهو الشحم والمليحة ايضا من الملحة وهو البياض والصبيحة وكذلك من الصبح
لبياضه وقال بعضهم الظرف في القد والبراعة في الجيد والرقة في الاطراف
والخصر والمشاكلة في الكلام واحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين قال امرؤ القيس

وجدت بها طيبا وان لم تطيب وقال آخر

اذا المليحة من تزين بحليها • لان غدت بحليها المتزين

وقال بعض اهل اللغة

العرب تقول الحلاوة في العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف والظرف
في اللسان ومنه قول الحسن رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع
اي اذا دفع عن نفسه بحلاوة لسانه ومنطقه وما احسن قول بعضهم
والبدر في الوجه والاطراف وفي الوجه المحاسن والبهاء الاستظراف
وفي المحاسن النكت التي هي الغاية في الاستحسان والاستظراف كالملاحة
في العين ونكتة الملاحة فيها الدعج وكالطلاوة في الجبين ونكتة الطلاوة البلج
وكالرونق في الخد ونكتة الخد الوجنة ونكتة الوجنة الضرج وقيل يستحسن
من المرأة طول اربعة وهي اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر اربعة
يدها ورجلها ولسانها وعينها والمراد بهذا القصر المعنوي فلا تبذل ما في بيت
زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينها وبياض
اربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها وسواد اربعة اهدابها
وحاجبيها وعينيها وشعرها وحمرة اربعة لسانها وخدها وشفتيها
مع لعس واشرب بياضها حمرة ودقة اربعة انفها وبنانها وخصرها وحاجبيها
وغلظ اربعة ساقيها ومعصميها وعجيزتها وما هنالك وسعة اربعة جبينها
وجبهتها وعينيها وصدرها وضيق اربعة فمها ومنخريها ومنفذ اذنيها وما
هنالك قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفة المذكورة جميعها
فما كان احقها ان يقال في حقها

لو ان في قبحها كتب بقبح الضحى • في الحسن عند موفق لقضى لها

وما

وحكي ان فغفور ملك الصين اهدى الى كسرى انوشروان ملك فارس جارية
تغيب في شعرها الحالك وتتلالا اجمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية
طولها سبعة اذرع تضرب اهداب جفنيها على خديها كان بين اجفانها لمعان
البرق مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت فصل قال في روضة المحبين
كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوا الناس الى الجمال الباطن بالجمال الظاهر كما قال
لجرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال قال رسول الله
انت امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وقال بعض الحكما ينبغي للعبد ان ينظر
كل يوم في المرآة فان رأى صورة حسنة لم يشنها بقبيح فعله وان رآها قبيحة لم يجمع قبح
الصورة والفعل وقد نظم بعضهم هذا فقال

يا حسن الوجه توق الخنا • لا تبدلن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا • لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال محبوبا ممنوحا هو للنفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا
الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كذا قال علي بن ابي طالب وقد
سئل اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الشمس فقال لا مثل
القمر وفي صفته صلى الله عليه وآله وسلم كان الشمس تجري في وجهه فكان كما
قال شاعره حسان

متى يبد في الداجي البهيم جبينه • يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان او من قد يكون كاحمد • نظام لحق او نكال لملحد

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رآه قال

امين مصطفى بالخير يدعو • كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينشد قول زهير

لو كنت من شيء سوى بشر • كنت المضي لليلة البدر

وقالت عائشة يوما تمثلت بشعر فالها ثم ذاك فقالت كان ابا كبير الهذلي انما عناك بقوله

فاذا نظرت الى اسرة وجهه • برقت كبرق العارض المتهلل

وفي الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن في الذروة العليا
وروي ان بعض اصحابه لقي راهبا فقال صف لي محمدا كاني انظر اليه فاني
رأيت صفته في التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير
فوق الربعة ابيض اللون مشرب بالحمرة جعد ليس بالقطط جمته الى شحمة اذنيه صلت
الجبين واضح الخد ادعج العينين اقنى الانف مفلج الثنايا كان عنقه ابريق فضة وجهه

كدارة القمر فاسلم الراهب وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع
هذا الجيش قد القيت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عيناه عليه احبه
وهابه وقد كمل الله سبحانه له ابن الحسن ظاهرا وباطنا فكان احسن
خلق الله خلقا وخلقا صورة ومعنى هكذا كان يوسف الصديق عليه السلام
وقال ربيعة قسم الحسن نصفين فجيء سارة ويوسف نصف الحسن و
نصف الحسن بين سائر الناس وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه رأى
يوسف ليلة الاسرى فقد اعطى شطر الحسن وكان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يقول يجب ان يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم وقد
روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن ابي مليكة يرفعه من اتاه الله وجها
حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله من خلقه
وقال وهب قال داود يا رب اي عبادك احب اليك قال مؤمن حسن الصورة
فقال اي عبادك ابغض اليك قال كافر قبيح الصورة ويذكر عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينتظره نفر من اصحابه على الباب فجعل
ينظر في الماء ويسوي شعره ولحيته ثم خرج اليهم فقلت يا رسول الله صلى الله
عليه وآله وانت تفعل هذا قال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليتهيأ من نفسه
فان الله جميل يحب الجمال وقال معاوية لرجل دخل عليه فقد رأى في
وجهه ما يكره فهمه ما يمنعك انا لك ما يمنع احدكم اذا خرج من منزله ان يتعاهد
اديم وجهه وقيل في قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي حسن
تعديل قامته وصورته وحسن شبابه منتصبا ايتنا ول ماكوله بيده مزينا
بالعقل كاتبها بر وعلى هذا حكاية الرشيد لما حلف بزوجته في ليلة مقمرة
فقال لها ان لم تكوني احسن من القمر فانت طالق فافتى علماء زمانه بالحنث
الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يقع عليه الطلاق فقيل له خالفت شيوخك
فقال الفتيا بالعلم ولقد افتى به من هو اعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى حيث
قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وجاء في تفسير قوله تعالى يزيد
في الخلق ما يشاء انه الصوت الحسن ولهذا قال ابو نواس

قد كان بين الناس حسنا * والناس في حسن سواء
فزاده ربه هذا را * ثم بالحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قد يبرا * يزيد في الخلق ما يشاء

وحكي عن بعض النساء انها كانت تكثر الصلاة بالليل فقيل لها ما في ذلك فقالت

انها

انها تحسن الوجه وانا احب ان يحسن وجهي وحكي ان المأمون استعرض
الجيش فمر به رجل قبيح الوجه فاستنطقه فوجده الكن فامر باسقاطه
وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت صباحة واذا وقع
اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر ولا باطن وكل
شخص له كمالان احدهما من جهة جسمه وهو منظره والآخر من جهة نفسه
وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فزع اصحاب الفراسة من معرفة
النفس اولا الى الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما يوجد صورة حسنة تدبرها
نفس ردية وقد قال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه
فهذا كله يدل على ان الحسن وكمال الجسم من الفضائل ويدل عليه قوله تعالى
وزاده بسطة في العلم والجسم والحسن اول سعادة الانسان لان الله
تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة محل الصفات سليمة من الآفات
الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفا فقلما تجد الخلق الا تبعا
للخلقة فتناسبا نظرا واصلا لا ينعكس واجماعا لا ينفرد وما خلق الله تعالى
نبيا قط الا وقد تميز عن اهل زمانه بحسنه واحسانه ولذا تنظر فيه اول نظرة رايته
احسنهم صورة وانفسهم بنية فهو اول مرتبة واعلى منقبة وقد قال
صلى الله عليه وآله وسلم لا يعذب الله حسان الوجوه سود الحدق تنبيه
قال الامام فخر الدين الرازي في اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة
وان كان امرا مرغوبا فيه فان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه ومنها
ان حسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن السيرة افضل من مطالب
الحكمة ولا شك ان الحكمة افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل لا محالة
من حسن الصورة ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن
الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع في انواع من البلايا
ومنها ان اباه كان يحبه ازيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا
ليوسف واخوه احب الى ابينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته
عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم ومنها انه وقع
بسبب الحسن في اسر الرق وفي مراودة امرأة العزيز وادخال السجن
بسبب ذلك فلما علم الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه وقال له انك اليوم
لدينا مكين امين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على ان حسن السيرة افضل
من حسن الصورة لا يبقى الا اياما قليلة واما حسن السيرة فانه لا يزول

انثى ولا يبطل بتجنسه **قلت** ومن حصل له الاذى بحسن صورته نصر بن الحجاج وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر ليلا فسمع امرأة تقول * هل من سبيل الى خمر فاشربها * ام هل سبيل الى نصر بن حجاج فدعا نصر بن حجاج وهو من سليم فرآه احسن الناس وجها واحسن خلق شعره فكان احسن منه بشعره **قال** لا تساكني في بلد فتشفع اليه نصر ان لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضي الله عنه **فلما** ودعه نصر قال له يا امير المؤمنين سميتني قتل نفسي فقال عمر كيف ذاك فقال قال الله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فقرنه هذا بهذا فقال عمر ما ابعدت ولكني اقول ما قال شعيب ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله وقد اضعفت لك يا نصر عطاءك ليكون ذلك عوضا لك **اقول** ذكرت بحلقه شعره فكان احسن منه بشعره **قول بعضهم في ذلك**

حلقوا شعره ليزداد قبحا * غيرة منهم عليه وشحا
كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا الليل وابقوه صبحا

وما احسن قول السراج الوراق في مليح قلندري

مشقت من بيته فوقفا | ومالم اذ ذاك من تائب
قلندريا حلقوا حاجبا | منكرين الخطفى كاتب
سلطان حسن زاد في عدله | فاختار ان يبقى بلا حاجب

وقول ابن سنا الملك

حكت جسمي عن لا | فهل نعمت حسنك
وكان حسنك مغنيني | فصرت كالك حسنك
وزادك الظلم حسنا | ما قد رأيتك انك

فصل قد تقدم ذكر ما يحسن من المرأة فلنذكر هنا ما قاله الشعرا في تشبيه تلك الاعضاء بالحروف لانهم اكثروا من ذلك واحسنوا فيه فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين والطرة المصففة بالشين

ومن احسن ما قيل في ذلك عاشق السوا

* ارسل فرعا ولوى هاجرا * صدغا فاعيا بهما واصفه *
* فخط زامن خلقه حسنه * لعمه معنى عقربا واقفه *

ذي

ذي الف ابيت الوصل منذ | واو ولكن ابيت العاطفة

وقال الاخر

بين طرفيها وصاد عيونها | انى لعوذها بسورة طه

وقال ابن مطروح

قالت لنا الف العذار بخده | في ميم مبسمه شفاء الصادي

وقال ابن نباتة

صنم الجمال فصاده من عينها | والنون حاجبها بخال منقط
والميم فوها كالحروف تألفت | مكنونة والعقرب منها يكتف

وقال الاخر

لا تقولي لا فمكتوب على | وجهك المشرق نور النعم
بحروف خلقت من قدرة | ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها | طرفك الفتان والميم الفم

وقال شهاب الدين بن الحنبي

ان صدغ الحبيب والفم لما | نعتنه واو وصاد ولام
مع وصل بين المحاسن ثنا | تم حسنا والعذار التمام
عبر القارئ منه وصل وصدع | فيه بعض اهل اغنا والسلام

وقلت انا

حبيب تغالى قد رحت تيمته | وقال قولي رحمة ما يقوم
وخط لهذا عليم الخال لامه | ولم ادر ان اللام في الخط تعجم

وقلت ايضا

من فوق العين نون حاجبها | كالقوس يصمي الرمايا هم من يرى

وقلت ايضا وقد حكم هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء في بعض قصيدة مدحت بها مولانا السلطان

* فكم الف بها امسى * وسبق القامة النضره *
* ومعنى امتحن في العين * مثل العين في النظره *
* وكم شين بعاشرال * كاتب خالها طره *
* **وقلت** ايضا في بعض ما ورد علي من بعض الاصحاب *
* الاحباب من رسالة امتحنها بقصيدة منها *

نغص النوم بعدك يا علي … فلا تعجب لدمعي ان توالا
وما اني كأب منك غال … حكت أجفانه السمر الطوالا
فكم شاهدت من خط ولكن … سألت ما رأيت له مثالا
لئن اصبت به الغادات قطعا … فكم وصلت به منهن الوصالا
وكم الفت به للوصل لاحت … كغصن البان لينا واعتدالا
تعانق لامها طوعا يمينا … واونة تعانقه شمالا
تلفت اللام فيه على اخد … وحلت النقط فوق الخد خالا
ولما طالع الطا آن فيه … تعلم لين الغصن الحلا الاعتدالا

وقال القاضي الفاضل من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد بن القيسراني وقد وقفت له على رسالة كتبها بالذهب جاء منها فمن الفات الفتها الهمزات كالغصون عليها الفت الهمزات حمائم ومن لامات بعدها تجد بها الحب على عناق قدود بها النواعم ومن صادات ضعفت مثل القلوب الصوادي والحبوب الحوايم ومن واوات ذكرت ما في جنة الاصداغ العاطفات ومن ميمات دنت الافواه من ثغرها لنا ولم تجن الشفات ومن سينات كانها اسنان تلك الثغور ومن دالات والالف على الطالعة كانها بالهناء الظهور ومن جيمات كالمناس بعضها القلوب التي تخفق لروعات الاستحسان كالطيور ومنها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وخالد فيها خالد ومخبره فيها الحامد وبيده تضرب في ذهب من ذهب ذايب والخلق تضرب في حديد بارد

الباب الثاني في ذكر المحبين العشاق من الملوك والخلفاء اول

هذا باب عقدناه لذكر احسن الملوك طباعا واطيبهم باعا واحبهم عشقا واكثرهم طيشا وارفقهم شعرا وادقهم فكرا واقربهم رجوعا واكثرهم بالحبيب ولوعا اذ هم في الحقيقة اولى الناس بذلك واحقهم باللوم على تلك الارائك وذلك بحسب ما سولت لهم نفوسهم وزينته لهم جليسهم كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه … فكل قرين بالمقارن مقتدي
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم … ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

فمنهم من قنع من محبوبه بالنظر حتى مات كمدا ونحو سلطان نور الدين الشهيد بالشهد وستأتي حكايته في باب العفاف ان شاء الله تعالى ومنهم من صبح دوقه بالعفاف واقام سنة في محبوبه مقام السلف ومنهم من خلع العذار واجهر بقول شاعره في العفاف تجنبني ذات العقود فاينة العنقود ولكن مع صيانة مدبوج دبانة

منا

فهو وان طال به المجلس احتشم وان جنى ذنبه على محبوبه اعتذر كما قيل

ان اكن قد جنيت في السكر ذنبا … فاعف عني يا راحة الارواح
اي عقل يبقى هناك لمثلي … بين سكر الهوى وسكر الراح

ومنهم من نال بالوصل اللذة المحظورة واخرج به وجنة الحبيب من صورة الى صورة تجاسر الذين في الجريان فسما الى الحبيب بمو جانب المحال على حال فافضى به ذلك الى ملكه وفساد ملكه كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال الربيع شهدت الامين يوما وعليه طيلسان ازرق يختبر ليدا بيض فوقع في قمامة قصير فوالله لو اصاب فما اخطا واسرع فما ابطئ ثم قال يا ربيع لا احسن الذهب والسيف ولكن وجدت شم الاس وشرب الكاس واستلقاء من غير نعاس انتهى الى من مقابلة الناس ومكن لك خلع فكذا الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيره من الخلفا والامرا ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة والملك وما احسن قول ابو الفتح البستي

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا … فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة … لما غدت وهو برج اللهو والطرب

والانفراد في اطلاق ما هيموا اليه بالصبح والمعانقة والجمع على وجه مليح كما قيل لو راي وجه حبيبي عاذلي … لتفاتقنا على وجه جميل

ومنها نوع في ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك

واصبح مع كونه مالكه كالمملوك وهم في ذلك لشدة البأس على خلاف ما عليه الناس وذلك لان العشق واصحابه طبقات فمنهم من لا يطلب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين في المحبة كما قيل

تذلل لمن تهواه ليس عزة … فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى من وحدة المحبوب وعدم الشريك

ليس في القلب موضع لحبيبين … ولا احدث الامور اثنان
فكما العقل واحد ليس يدري … خالق غير واحد رحمن
فكذا القلب واحد ليس يهوى … غير فرد مباعدا ومدان
هو في غربة المحبة ذو شك … بعيد من صحة الايمان
وكذا الدين واحد مستقيم … وكفور من عنده دينان

ومنهم من كان على خلاف هذا من حب التشريك في المحبة كالرشيد وغيره كما يأتي في بابه لمن يكن عن حب حقيقة فهذا هو الغالب على الملوك لكثرة ما لديهم واختلاف النكات عليهم

كما قيل

تنقل فلذات الهوى في التنقل … ورد كل صاف لا تقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على من يحبونه بالنقود الفضة و
القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ثم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب
به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما اكثر ما يظهر من اسر الملوك ان يصبحوا
محبوبيهم وهم مالكوه كما قال الحكم بن هشام ملك الاندلس

ظل من فرط حبه مملوكا ... ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا ... مستهاما على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعا فوق ترب ... للذي يجعل الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر ... اذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جواري

ملك الثلاث الانسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها ... واطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهوى ... وبه قوين اعز من سلطاني

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموي احد خلفاء المغرب

عجبا يهاب الليث حد سناني ... واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا ... منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى ... زهر الوجوه نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا ... فقضى بسلطان على سلطاني
فابحن من قلبي الحمى وتركنني ... في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ... ذل الهوى عز وملك ثاني
ما ضر اني عبدهن صبابة ... وبنو الزمان وهن من عبداني

وقلت وكم شاهدنا من ملك قاهر وسلطان قادر تذل لهيبته الاملاك فيذهب
سلطانه الفتاك هدم الهوى اركانه واذل عزه وسلطانه فيفض جفنه
في الليالي الطوال واوهنه مع عقيلة الحسن فرط الاعتقال فقال

اما يكفيك انك تملكيني ... وان الناس كلهم عبيدي
وانك لو قطعت يدي ورجلي ... لقلت من الرضا احسنت زيدي

بل هما للمأمون وكذا للمهدي وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان كان السلطان ابو
عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله احد ملوك الاندلس جميلا حسن الشارة
متظاهرا بالدين رايته مرارا بغرناطة وانشد فيه شعرا وحفظت عنه انشاد الغزل
ومن شعره

ابياته

ايا ربة الحسن التي ذهبت نسكي ... على كل حال انت لا بد لي منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى ... واما بعز وهو اليق بالملك

وقال الملك الظاهر الغازي في مملوكه ايبك الجمدار

انا مالك مملوك ظبي اغيد ... ومن العجائب مالك مملوك
وانا الغني وانني من وصله ... بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت بسيفي عنوة ... ودمي بسيف لحاظه مسفوك

وقال الملك الاشرف في مملوكه وكان حسن تلاوة دوبيت

اذ اعبق انفاسه العنبر ... ليخبر بري وهو ابرى ثغر
ماذا عجب يحفظ ملك ادرجي ... يحيي تلفي به ولا يلتفت

وغير ذلك من اللطائف نقلتها في الباب الاول من تلك الكواكب في مدح
المقام ومذكورة فيه ايضا حكاية محبوبة ابن مملوكه وما بان فيها عنه من
حسن البر وهي من اغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك شبيم

بالله حدثني يوما بصدق ... وحل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني اظل اشكو ... مثل محباك لن يشكا

وحكى عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فاعرض
عنها واعرضت عنه ثم اسلمه الغرام واقلقه الشوق حتى ارسل اليها
يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فانشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام ... ولا يؤذي محاسنك السلام
انا المأمون والملك الهمام ... ولكني بحبك مستهام
يحق عليك ان لا تكلميني ... فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت لو رآك يا امير المؤمنين هارون الرشيد اعشق منك حيث يقول ملك
الثلاث الانسات على الابيات الثلاثة المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها
في الباب الاول من السكردان وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون يوما
غلاما مليحا لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك فقال فتح فقال المأمون يا فتح يا فتح تجاوز
الى بلواي ويا عليما بطول شكواي الحمد لله لا شريك له مولاك عبدي وانت مولاي
فبلغ ذلك احمد فوهبه الغلام فكان كما قيل كلما يصلح للمولى على العبد حرام وكان
الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية وتحته على راسها فاشار اليها انه يقبلها فغطت بنفسها فدعا بدواة ودرج قرطاس فوقع فيه
قبلة من بعيد فاعلم من نفسه ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه فابرحت مكاني

حتى هذرت عليه فلما قرائه ما كتب استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضى بها واقام معها اسبوعا لا يبرح مكانها فكتبت اليه زبيدة

فما شوق صب بمعشوقه | كانما قلبها في قلب
ورحاهما نعم مضاهما | فتى كذا قلبكم الحب

وحدث ابو جعفر قال بينما محمد بن زبيدة يطوف في قصره اذ مر بجارية له سكرى وعليها رداء خز تسحب اذيالها فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين انا على ما ترى ولكن اذا كان في غد فلما كان من الغد مضى اليها فقال الميعاد فقالت يا امير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج الى مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل له مصعب والرقاشي وابو نواس فامر بهم فدخلوا فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون اخره كلام الليل يمحوه النهار

فانشد الرقاشي يقول

متى تصحو وقلبك مستطار | وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما | فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت | كلام الليل يمحوه النهار

وانشد مصعب

اتعذلني وقلبك مستطار | كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي | بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها | لالمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا | فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت | كلام الليل يمحوه النهار

وانشد ابو نواس

وليلة اقبلت في القصر سكرى | ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح اردافا ثقالا | وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداء عن منكبيها | من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت | كلام الليل يمحوه النهار

فقال له قاتلك الله كانك كنت مطلعا علينا او كنت ثالثنا في القصر فقال لا والله يا امير المؤمنين ولكن نظرت اليك عرفت ما في نفسك فعبرت عما في ضميرك فامر له باربعة الاف درهم ولصاحبيه مثلها قلت ذكرت هنا ما قلت مضمنا في ابن نهار

اقول لمولى نور بليل | بدا كالبدر فيه ثم غابا

كلام الليل يا ابن نهار زبد | اذا طلعت عليه الشمس ذابا

وقلت ايضا

اتيت فتان الجفون مذكرا | وابيت اسمر قدك المتمايل
وتلوم ان اصبحت في يوم الجفا | مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

حكي انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من احسن الغلمان فكان المتوكل يحبه حبا شديدا فاحب يوما ان ينادم حسين بن الضحاك وان يريه ما بقي من شهوته وكان قد اسن فلحضره وسقاه حتى سكر فقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل اتجس احسن خدمة بحضرتي فكيف لو خلوت به ما احوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فقال حسين دواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيى بوردة | من الورد يمشي في قراطق الورد
له عبثات عند كل تحية | بعينيه تستدعي الحليم الى الوجد
تمنيت ان اسقى بكفيه شربة | تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم ابت فيه ليلة | خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها لشفيع فاعطاها المتوكل فاستملحها فقال احسنت والله يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي يا شفيع الا ما كنت ساقيه بقية يومنا وامر له بمال كثير وكان شفيع المذكور يكتب على طراز قبائه الابيض

بدر على غصن بغير | شرف التراب بالعبي

وعلى الطراز الايسر

خط صحيفة وجهه | في صفحة القمر المنير

ومن غرائب ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان كان صبا بحبابة جاريته فخلى يوما في لهو معها فقال لاكذبن اليوم قول من قال ما صفا لاحد عيش واحتجب عن حاجبه فقال لا تاذن لاحد ولا تعلمني بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكي هذا اليوم واقام معها في انعم حال فتناولت حب رمان فشرقت به فماتت لوقتها فحزن لها حزنا عظيما ومنع من دفنها حتى سال الجماعة من بني امية ولاطفوه في ذلك حتى امر بدفنها

فقال فيها

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى | فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

حكي انه لم يعش بعدها الا سبعة ايام ومات اسفا عليها ومثل هذا في عدة دفتر المحبوبة ما حكيته في نقل الكرام في صلح المقام في الباب الرابع من السلطان

جلال الدين خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج ومنع من دفنه فكان يحمل معه في محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج فقال له بعض الامراء ايها الملك ان قلج قد مات فضرب عنقه فلا حول ولا قوة الا بالله وغير الحكاية مذكورة في الكتاب المذكور والله سبحانه وتعالى

الباب الثاني في ذكر من عشق على السماع ووقع من الشوع الى الحبيب قبل اللقاء

هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل ان يرى ثم عجبا ما تم لما جرى من دمعه ما جرى فاصبح لا يعرف له قرار بعدما كان من بر العين ويشهد على حبيبه بالهرب بما فكان كمن كلف ان يقعد بين شعبتين كم ليلة سعى وبها على السماع وجفن سهر من لهيبها في ذلك وبلغ وهو اعلى طبقة ممن عشق باللمس ويحتمل ان يكون من الحسن والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب في نفس الامر او تعارف سابق في عالم الذر كما قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس واحسن في الاقتباس

محب ما عرفت الدهر سلوتها ... تجزع الى النفس مجزوع مع النفس
وما الها آخر لكن اولها ... تعارف سابق في حضرة القدس
في عالم الذر والمخاطب الذي بها ... املا بمشهدها طهرا من الدنس
اشهى الى القلب من امن على وجل ... ومن مجال الكرى في الاعين النعس

قولي لمشاكلة بينه وبين المحبوب الى آخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق في بعض الصفات لا بد من هذا ولهذا اغتم ابقراط حين وصفه رجل من اهل النقص انه يحبه فقال ما احبني الا وقد وافقته في بعض اخلاقه ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد سال عائشة على امراة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن فلما قدمت المدينة نزلت على امراة تضحك الناس بها على من نزلت فلانة قلت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

والشاعر يقول

تعارف ارواح الرجال اذا التقوا ... فمنهم عدو يتقى وخليل

وقال ابو الهذيل العلاف لا يجوز في دعوى العقل ولا في تركيب الطبيعة ولا في القياس ولا في الحس ولا في الممكن ولا في الواجب ان يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا السر الذي ذكرناه من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فما بالنا نرى من يحب من لا يحبه ولا يلتفت اليه قلت عندنا اجوبة حسنة احسنها ان يقال المحبة على قسمين القسم الاول محبة عرضية لا لسبب لا اشتراك فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيرا الا اذا كان له معه غرض نظير غرضه فانه يحبه لغرضه منها كما يكون

بين الرجل والمراة الذي لكل منهما غرض عند صاحبه والقسم الثاني محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحانيين فهذه لا تكون الا من الجانبين ولا بد فتش المحب محبة صادق قلب محبوبه لوجد عنده من محبته نظير ما عنده او فوقه او دونه وهذا مما لا بد منه وذكر بعضهم ان سبب المحبة ثلاثة اسبا اما رؤية صورة او سماع نغمة او سماع صفة فهذه الثلاثة هي اهل ينبوع المحبة اذ لا يخلو احد ان يشتد الحب منها وقد قيل ثلاثة الجاب تحب على ثلاث تحب ثلاث وحب هو القتل واحوال الناس تختلف في ذلك فمنهم من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة فيغني عن وصف له محبته وما راه لكن وصف له

فاني ان ارع الديار بطرفي ... فلعلي ارعى الاثار بسمعي

اخذه القاضي الفاضل فقال

عللوني عن الشام بذكرى ... ان قلبي له بالاشواق
مثلته الذكرى لسمعي كاني ... انمشي هناك بالاحداق

وقال بعض الحكماء ان الله عز وجل جعل القلب امير الجسد وملك الاعضاء فجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو مدبرها وبارادته تنبعث وهو ينبوع العقل ومعدن الفهم ومدبر العيان ومطلعه الاذنان وهما في باب النقل سوا لا يكلانه شيئا ولا يبطلان عنه سر ابريد العين والاذن وقيل لافلاطون ايهما اشد ضررا السمع ام البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطير لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما ومتى قص احدهما نهض بالاخر على تعب ومشقة وقيل فما بال الاعمى يحب وما راى والاصم يحب وما سمع قال فلذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحد جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه امضى وطيرانه اقوى وكان يقال الحب قبل السماع ثم النظر كما ان الحوبين اوله الدخان ثم السرور

حكى ابو تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال

ولم افهم معانيها ولكن ... شجت كبدي فلم احلل بجاما
فكنت كانني اعمى معنى ... بحب الغانيات ولا يراها

وقال ابن طاهر قلت لابي تمام لحرزت هذا المعنى من احد قال نعم من قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة ... والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم ... الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

قلت والظاهر ان بشارا اخذ قوله هذا من قول الحكيم المتقدم ذكره وسبقه ابو يعقوب الخريمي فقال

قالت وتعزاني غداة لقيتها … يا للرجال لصبوة العيار
فاجبتها نفسي فداؤك انما … عيني وأذني في الهوى سيان

وقال بشار ايضا الحب انما يتولد بالقلب والعكس

فلك دعوا بطي مالختار وارتضى … بالقلب لا بالعين يعشق يا لب
وما تبصر العينان في موضع الهوى … ولا تسمع الاذنان الا من القلب

الحصري فقد صدقت فيما نطق انما الحب الحواس الخمس بواسطة توسطت بالنفس

وقد قال الخليل بن احمد

ان كنت لست معي فالذكر منك معي … يراك قلبي وان غيبت عن بصري
العين تبصر من تهوى وتفقده … وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى المصري في الاعتذار عن العشق مع الاعمى

قالوا عشقت وانت اعمى … ظبيا كحيل الطرف الما
وحلاه ما عاينتها … فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنام … فما اطاف ولا الما
من اين ارسل للفؤاد … وانت لم تبصره سهما
ومتى رأيت جماله … حتى كساك هواه سقما
وباي جارحة وصلت … لوصفه نثرا ونظما
والعين داعية الهوى … وبه تتم اذا تنمى
فاجبت اني موسوي … العشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السماع … ولا ارى ذات المسمى

وقال آخره يا من لاني في حب من لم يره طرفي … لقد افرطت في وصفك لي في الحب بالعسف
فقل هل تعرف الجنة يوما بسوى الوصف

وما احسن قول المهذب بن نجم من قصيدة مطلعها يمدح بها السلطان
الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب

واني امرؤ احببتكم لمكارم … سمعت بها والاذن كالعين تعشق
فقالت لي الآمال ان كنت لاحقا … بابناء ايوب فانت الموفق

وقلت انا من قصيدة امدح بها مولاي الملك الناصر حسن بغير زيادة حسنة
مطلعها

محيات بجهك وهو بدر مشرق … قلبي عليك كما علمت وتعشق

يا من اذا ما لاح اشرق مذاب … امسى ولي بالغصن عين موفق

ما لاح خدك بالعذار مكاتبا … الا ظننت بانه لي معشوق
كم زاد وصفك في السماع بكرة … والاذن قبل العين قالوا تعشق

ان من الناس من يعشق على السماع ويغني في محبة من لا يراه لكن
وصف له ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان تنعت المراة لزوجها
حتى كانه ينظر اليها والحديث في الصحيح قال في الواضح المبين ومنهم
من يعشق ان يراه كما يحكى ان رجلا عشق ان كف امراة راه في حايط فلما
ابى اهله من صلاحه تركوه حتى مات ومنهم من يحب في النوم لشكل لا يعرفه
فيهيم به كما قيل

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت … اطلعة الشمس كانت ام هي القمر
اظنها العقل ابداها تدبره … ام صورة الروح ابديها الى الفكر
او صورة مثلت في النفس من املي … فقد تحير فادركها البصر
او لم تكن كل هذا فهي حادثة … اتى بها سببا في حتفي القدر

ومنهم من يعشق باللمس وهو داعي الشهوة ومنهم من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق من تهوى وتبصره … كذاك يعشق ايضا الانف والاذن

ومنهم من اخبر في انه دخل الحمام فراى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم
من هي فاخذها واقام عنده زمانا فلحقه اصابه من حب صاحبها ما اشرف به
على التلاف

كما قيل تلفت بشعرة وسمعت عيني … بقول سلمت من تلفي بشعرة

ومنهم من يعشق جنية راها يوما في نومه فوصفت نفسها له وجاءته عين موته
على نعمه كما حكى ابو الفرج الاموي انه جعفر بن جعفر المنصور كان يتعشق
امراة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع في اليوم مرات حتى مات من ذلك
تحزن عليه ابو جعفر حزنا شديدا وكان جعفر حليما ماجنا فلما تي المنصور مطبع
بن اياس من صحبة ابنه جعفر قال واني مصطلح فيه واي غاية لم يبلغها في الفساد
قال ويلك يا غبي هذا قال يزعم انه يعشق امراة من الجن وهو مجتهد في خطبتها ودابه
جمع اصحاب العزايم عليها فهم يعزونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغيره ذلك من جد ولا
هزل ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجني في الحي طلل … دارس الآيات عاف كالخلل

فقلت هذا الذي يقال فيه حفر الجنون فنون وقيل هذا ما لحرقت منا جمال
الدين عبد الله قال الثعالبي في فقه اللغة زعموا ان التناكح قد يقع بين
الانس والجن لقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد لان الجنيات انما
تتعرض للرجال من الانس على العشق وطلب السفاد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم

فصل في ذكر ما يتعرض في ملك العشق على السماع

والشهادة على الغايب كقول ديك الجن * هي لعبد المحسن العتوري

باين جسم شهد الضمير له وقيل بل المذاق بانه عذب
كشهادتي لله خالصة * بل العيان بانه رب

وما احسن قوله

اهيم الى العذيب من بعيد * اذا هبت الغاسقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

وقال بشار

يا ليت الناس بيني عاشق * الاسماعة اطراف الساولك

وقال المتوكل الليثي

كانت سلامة صهباء صرفا * ترقرق بين راووق ودنه
تلام الثنايا من سليمي * وانه مطلا وصحيح ظني

وقال امرؤ القيس

متعرضها طيب واضح * لتبدي المقبل والمتبسم
وما ذقته غير ظني به * وبالظن يقضي على ما اكتم

وقال احمد بن يس

وما ذقت فاها ولكنني * نقلت شهادة عن الاثبات

وقال البهاء زهير

فقلت به حلو امليحا فحدثوا * بالعجب شي كيف يحلو ويملح
فقد شهد المسواك عندي بطيبه * ولم ار عدلا وهو سكران يطفح

وقال ابن النقيب

قالوا فلان بصوغ كذبا * يكون من لفظه طلاوة
حلو حديث فقلت من لي * لوانه صادق الحلاوة

قلت ومن هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقاء والمغفلين
وهو ما حكاه الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة

وقماش مليح فقام الي واجلسني معه فناقشته في القران فاذا هو فيه ماهر فناقشته
في شي من النحو فوجدته فيه ماهرا ثم اشعار العرب واللغة فاذا هو كامل في
جميع ما يراد منه فقلت والله قوي هذا عزمي على تقطيع دفتر المعلمين
فكنت في كل يوم اتفقده وازوره فلما اتيت بعض الايام الى زيارته فوجدت
الكتاب مغلقا فسالت جيرانه فقالوا ان عنده ميت فقلت اسيح اعزيه
فجيت الى بابه فطرقته فخرجت الي جاريته وقالت ما تريد فقلت اريد مولاك
فقالت مولاي جالس وحده في العزا ما يعطي لاحد الطريق اليه فقلت قولي
صديقك فلان يطلبك فدخلت وخرجت الي وقالت بسم الله فدخلت اليه
فاذا هو جالس وحده فقلت عظم الله اجرك لقد كان في رسول الله
اسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي
توفي ولدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتي قلت في نفسي
هذا اول المناحس ثم قلت سبحان الله النساء كثير فتجد غيرها
ويقع عينك على احسن منها فقال وكاني رايتها فقلت في نفسي هذه منحسة
ثانية فقلت وكيف عشقت من لا رايته فقال اعلم اني كنت في الطاقة واذا رجل
عابر وهو يغني ويقول

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردي علي فوادي اينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان هذه ام عمرو ما في الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا الشعر
فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغني ويقول

اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وقعدت في العزا منذ ثلاثة ايام قال
الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت على تقطيع الدفتر بام عمرو

الباب الرابع في ذكر من نظر اول نظرة فاحترق في حب الحبيب بجمره

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اوقعه النظر في الضرر المؤدي الى السهر
اذ هو رائد الآفة وقائد الحتوف * كم دعى الى الهلاك * المحرم بالاجماع *
فهو سهم مسموم * وفضل مذموم * وفي نداه يكون استدراكه * واسيره
برحمه فكاكه * فاذا انكره ادى الى ما صورته كيت وكيت * اما ترى الجاهل يكرر
البيت * كما قيل

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر

فالى مادام ذاعينين يقلبها * في اعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

نقول في مبداء يحكي استدراك الجزء وذلك ان الرجل عين به المرائي فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها ما كان لطبعه فتحرك نفسه فتبعث همته من امل نظره فاذا انكر نظره اليها ازداد حبه لها وان حلي حتى يرا ما صار الذي به اضعاف ما كان فان نظر اليه نظرة يهاجر من هوى لا وعليها مسحة من اعجاب به افتتن بجمالها ووقع في اسر حبالها ودخل في عدد العاشقين وهذا مما يويد **قول** من ذهب الى ان العشق اختياري لانه لو يصبر عاشقا الابعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا ان يقال النظر من المحب صوت عاجل ومن المحبوب سهم قاتل رب عشق عرض من لحظه وجميع من لفظه وكان يقال مطلق طرفه اكثر اسفه وكان يقال من كثرت لحظاته دامت حسراته **وقال اعرابي** العشق نبت بذره النظر وماواه المراعده ونمائه الوصل وفكه الهجر وحصاده النجي **وقال الصوفي**

عزيمة الهوى باللحظات تحفزته * واهلته من شانا من تسامحا
ولو نذر حتى ابتغت تحوله * وهبت رياح الوجد فيه لوافحا
فاستدعي من الصبر عازبا * عليك وتستدعي من النوم نازحا

قال الاصمعي كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون قد جاءت قد جاءت فتحرك الناس فقمت معهم فاذا جارية قد وردت الماء ما رايت مثلها قط في حسن وجهها وتمام خلقها فلما رات كثرة تشوف الناس اليها ارسلت برقعها فكانه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعيني النظر الى وجهك هذا

فانشات تقول

وكنت متى ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

ثم نظر اليها اعرابي فقال انا والله ممن قل صبره

وانشد اوحشية العينين اين لك الاهل * ابالحزن حلوا ام محلهم السهل
وايه ارض لحجتك فانني * اراك من الفردوس ان فتش الكل
ففي حبنا يا ماطمعت ومالنا * سريت ومن ابن استقلت بك الرجل
لان علامات الجنان مبينة * عليك وان الشكل يشبهه الشكل

اقول هذا والله هو السحر الحلال والعذب الزلال الا انه اشتمل على مذهب التحص

نظر

الكلام والبدل الساى فكان بها معذ نكون له الاصل ووصفت من حلها محلها الحزن والسهل هنالك يا بنها سعيا على الراس لا سعيا على القدم فتكون وجانها الجنة من حمر النعم **وبعده**

ارى مكان البدر ان افل البدر * وتقوى مقام الشمس ان تعل الفجر
فقيك من الشمس المنيرة ضوءها * وليس لها منك التبسم والثغر

حكى انه دخل اصفهان معنى كان يتغنى بهذين **البيتين**

سماعا يا عباد الله مني * وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب اخره المنايا * واوله شبيه بالمزاح

قلت وفي هذا دليل على ان العين هي التي تجلب الحب واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا **مناظرة** وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما الصاحبه والحكم بينهما فهي ان العين رائدة وتجنة القلب رائدة وهذه لها لذة النظر وهذا له لذة الظفر كانا في الهوى شريكي عنان وفرسي رهان فلما وقعا في السهاد والارق وامتزج بجسمهما الارق

قال القلب بقول الارجاني اطرف الباكي

تمتعتما يا مقلتي بنظرة * واوردتما قلبي اشر الموارد
اعيني كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وقال المتنبي

وانا الذي اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

وقول الاخر

عوقب قلبي وجنا ناظري * ورب ماعوقب من لا جنا

وقول الاخر

نظر العيون الى العيون هو الذي * جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
ما زالت اللحظات تغزو قلبه * حتى تشحط بينهن قتيلا

وقول الاخر

يا من يرى سقمي يزيد * وعلتي اعيت طبيبي
لا تعجبن فهكذا * تجني العيون على القلوب

وقال ابن مدله

جرحت بلحظي خد الحبيب * فما طالب المقلة الفاعلة
ويكتر قتص من مهجتي * كذاك الديات على العاقلة

فلما سمعت العين انشاده وفهمت مراده اشارت اليه واخذت في الانكار

عليه فقال يا للعجب من ظالم يتظلم ولحن ينكلم العيون الخبر الذي شاع وذاع انك انت الملك ونحن الاتباع ترسلني فيما تريد كالبريد وتعقب ذلك بالتهديد اما سمعت قول ابي هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده وان خبث الملك خبثت جنوده وقول سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد كله واذا فسدت فسد بها سائر الجسد كله الا وهي القلب وذلك اذ ذاك كما هي على ما تعالى وقد قال علام الغيوب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب كلام النفس
فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال قالت في الحال

وانا بين عدوين ✽ هما قلبي وطرفي
ينظر الطرف ويهوى ✽ القلب والمقصود حتفي

وقال اخر

يقول قلبي لطرفي اذ بكا جزعا ✽ تبكي وانت الذي حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه ✽ بل انت حملتني الامال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه ✽ كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدي لا تبعدا فلقد ✽ قطعتماني بما اجنيتما قطعا

وقال اخر

عاتبت قلبي لما رايت جسمي نحيلا ✽ فالزم القلب طرفي وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي بل انت كنت الدليلا ✽ فقلت كفا جميعا تركتماني قتيلا

وقال اخر

فوالله ما ادري انفسي الومها ✽ على الحب ام عيني المشومة ام قلبي
فان لمت قلبي قال لي العين ابصرت ✽ وان لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تقاسمنا دمي ✽ فيا رب كن عونا على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذي يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد في الاثر عن سيد البشر انه قال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح انت التي حركتني وامرتني ونهيتني والا فانا لم اكن اتحرك ولا اعمل بعدك فتقول الروح وانت الذي اكلت وشربت وتنعمت فانت الذي تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى اليهما ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير واعمى دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى انا ارى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام فقال الاعمى انا استطيع القيام ولكن

لا ابصر شيئا فقال له المقعد تعالى فاحملني فانت تمشي وانا اتناول فعلى من تكون العقوبة فيقول عليهما قال فكذلك انتما **فصل في ذكر سحر الجفون ونبل العيون فمن ذلك** قول بشار وهو اغزل بيت قالته العرب فيما حكاه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان انا والله اشتهي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق **ونقل** شيخنا الحافظ شمس الدين القاضي الذهبي في تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال اغزل ما اعلم قول عبد المحسن الصوري

بالذي الهم تعذيبي ✽ ثناياك العذابا
والذي البس خديك من الورد نقابا
والذي صير حظي منك هجرا واجتنابا
والذي قال لعينيك ✽ لقلبي فاجابا

قال وهما اغزل من قول جرير ✽ ان العيون التي في طرفها حور

وانشد صاحب الرقم ما اطرب المدح

لو لم ترم باللحظ قال العذل ✽ ما فيه السيف الذي لا يعدل

قال ابن سهل المغربي في مطلع موشحه

باللحظات المغتنة في كرها او فرها ✽ مصيب يرمي وكل مقلة وكلها اسهم مصيب

وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك

بابي اهيف اذا رمت منه ✽ لثم ثغر يصدني عن مرامي
قد حماه بسيف مقلته ✽ مقلتاه اصبحت عليه مرامي

فصل في عيون وصف الصبغة قال ابن البنية

يصيد بطرفه الذكي حتى ✽ صدفه راه سبق العين حبل

وقال ايضا من قصيدة

من بني الترك لين العطف قاسي القلب ✽ سهل القياد سهل المراس
ضيق العين وهو منفسح البخل ✽ فان جاد كان ضد القياس
جذب القوس فاكتست وجنتاه ✽ ثوب ورد وطرازه من آس
ودعي عن قوسي حاجبيه سهمي ✽ في فؤادي وذاك في القرطاس

وقال ابن قرناص

عشقته ترابا ✽ تسبي القلوب ببسمته
لا يرتجي الوصل منه ✽ بالوصل من ضيق عينه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

بعث العذول وقد راى الحاظها ✽ تركية تدع الحليم سفيها

فتثنى الملام وقال دونك والاسى * هذي مصايب قد اسات اخا لها

وقال الشيخ صفي الدين الحلي

لحظتها منهم رشاة اذا رنا * كادت لواحظه لسحر تنطق
ان شاء يلقاني بخلق واسع * عند السلام نهاه طرف ضيق

الخرايطي عن بعض العلويين قال بينا انا واقف على الحسن بن هانى **وهو ينشد**

ويلي على كحل العيون * النهد الغر البطون
الناطقات على الضمير * لنا بالسنة الجفون

ووقف على اعرابي ومعه بنيه فقال اعد علي فاعاد عليه فقال يا ابن اخي ويلك انت وجدك من هذا وبلي انا وانت ومعي ابني هذا ومع ابنه هذه الجماعة وويل لجيراننا كلهم **وقال سبط التعاويذي**

بين السيوف وعينيه مشاركة * من اجلها قيل للاغماد اجفان

وقال شرف الدين ابن الفارض

اه في عينيك معنى * حدث النرجس عنه
ليت لي من غنجه سهما * ففي قلبي منه

وقال محمد بن العفيف التلمساني

لحاظك اسياف ذكور فعالها * كما زعموا اسم الاناث تعزل

وقوله ايضا

يا عاشقين حاذروا * مبتسما عن ثغره
فطرفه الساحر قد * شككتم في امره
يريد ان يخرجكم * من ارضكم بسحره

وقوله ايضا

قضاة الحسن ما صنع بطرف * تمنى مثله الرشا الربيب
نعم فاصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

وقلت انا من قصيدة

حبيب نازل في كل قلب * وسيف لحاظه يهوى النزالا
برى قتل المحب بلا دليل * ولا سيما اذا ابدا الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه * رايت الموت من قابل حالا

وقلت ايضا من قصيد

تغار الشمس منها حين تبدو * كغصن البان في خضر البرود

باطراف

باطراف من الحناء حمر * والحاظ كبيض الهند سود

وقلت ايضا من قصيدة

اراك لواحظه على اهل الهوى * ان لا ترى قتلي بغير مهند
يرنو وما رم لحظه في جفنه * ما اضعف الغزال ولم يرنه باثمد
واذا تجرد للمحب قتاله * عن سيف لحظ كالحسام مجرد

وقلت ايضا من قصيدة

غزال عن اني باللحاظ لانه * اذا ما بدا في حومة الحرب ضيغم
يكلمني الحاظه بسيوفها * ولم يرض قلبي منه ان يتكلم

وقلت ايضا من قصيدة

لها سيوف من لواحظها * ولكن لها من عادة الجفن غامد
تجردها والدمع كالسيل جارح * فما تنثني الا وسيحان جامد

وقلت ايضا

يرنو الي بعين نون حاجبها * كالقوس يصمي الرمايا وهو رنان
امير حسن من الاتراك خاقان * على المحب له في مصر سلطان
غزت لواحظه في مصر كما * غزا الانام بارض الشام غازان

واما الحور فقد اختلف الناس فيه فقال ابو عبيدة الحور الشديدة بياض العين في شدة سواد سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحور الحسن المحاجر صغرت العين ام كبرت **وقال** ابو عمرو الظبية الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الانس وانما يكون في الوحش واشتقاقه يدل على صحة ما قال يعقوب وابو عبيدة لانهم يوقفونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري للدرمك الشديد البياض وقلما تتفق بياض العين الا مع شدة سوادها الا ان بياضها مع الزرق ليس هنالك في الغنا وقد اكثر الشعراء في وصف العين بالحور والسواد وقل شعرهم في وصف العين الزرقاء على انه جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الزرق في العين يمن **وقال بعض العرب**

احبك ان قالوا بعينك زرقة * كذاك عتاق الطير زرق عيونها

ومن هنا اخذ العبد وقوله حين قال له معاوية انك احمر فقال والذهب احمر فقال انك لازرق فقال والبازي ازرق **الباب الخامس في ذكر تغير الالوان عند اللقاء من صفرة وجل وحمرة خجل وما في معنى ذلك من خفقان وسحر**

الباب الاول هذا باب قد عقدناه لذكر تغير لون المحب اذا دهمته العين
وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال الحاجز الى ابن **وقد نعتت الاطباء**
على السبق ذلك وجعلوا من اصفرار وجه المحب واحمرار وجه المحبوب سوددا كل حالة
واما احدد هنا ما قالوه بنصر واصوغه كالخاتم بفصه واعقبه بذكر الوان الحسان
باحسن بيان واوضح تبيان هذا مع ما يجري في ذيل ذلك من التفضيل بين السمر والبيض
ووقوع محبة السمان في الطوال العريض **واختم ذلك** بفصل في ذكر ما يعتري المحب
من خفقان قلبه وطيران عقله ولبه فاقول وبالله التوفيق **وقال بعض الاطباء**
سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان الدم لا بد ان يرجع مع الفزع ودعا انظر المعشوق في
الى المعشوق فجاءت فيضطرب قلبه ويشتغل الحرارة الغريزية ثم يجمد فاذا جمد
صد الناموس فاذا برد جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة ثم يجف ويصفر
واما احمرار وجه المعشوق من الخجل والخجل عرض من حركة تاخذ القلب فيحيل
الدم ويلطفه فيظهر في ارق مكان في الوجه وذلك عند معالجة الحرارة الغريزية
وتجامدها الدم لما يدفع فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى بشرة الوجه ويمنعه الحاجز
من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا
خجل احمر واذا فزع اصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته **قال الشاعر**

حمرة خلطت بصفرة في بياض	مثلما حاك حائك ديباجا

فالحمرة لون الانسان يولدها الفرح والصحة والعز وصفرة لونه يولدها
الفزع والبوس والغم والسقم **واما** احسن الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم
صديق الروح والحمرة لونه وافضل الياقوت والخمر الاحمر واجود الذهب احمره وافضل
العسل الذهبي والياقوت ونبح الارض بحمرة التربة واكرم الخيل اشقرها فهي
ديباجها واكرم الابل حمرها وهي التي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعظم مقدار
الملك لو ان لي حمر النعم ولو ان لي طلاع الارض ذهبا **واحسن** النوار الورد والشقائق
والجلنار **واحسن** واحسن الحلل المصبوغة المعصفرة واحسنها ما كان صبغه القرمز
واحسن الخمر الحمراء ولذلك وصف الشعراء بلون الشراب العندم والعصفر والياقوت
والجمري **واحسن** الالوان الخلوقة النار ومن اجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد
المطلب ابا لهب وكان يكنى قبل ذلك ابا عتبة لانه كان من احسن الناس وجها وكانوا
يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق اللون مشربه كما كنى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ابا المهلب ابا صفرة لصفرة كانت في وجهه **ويقال** في المثل كان وجهه
النار وكان وجنته الجمر **وروي** عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الملك الجمال

الاحمران واهلك النساء الاحامر والاحمران الخمر واللحم والاحامر الذهب والزعفران
واللحم ا **وقال الشاعر**

ان الاحامرة الثلاثة صبغت	مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين مع الطلا	والزعفران فلن اراك موزعا

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه الطائر الاحمر **وقال** وهب بن عبد الله ما
رايت قالمة سودا فخرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وقال المتنبي

من الجاذر في زي الاعاريب	حمر الحلى والمطايا والجلابيب

واما قول الشاعر

هجان عليها حمرة في بياضها	تروق به العينين والحسن احمر

فالحسن حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان **وقال**
ابن عبد ربه **الحسن** مقترب منه الصفرة وطول المكث في الكن والتضمخ في الطيب
في بيضة الادحية **قال اعرابي** وقد سئلت عن صفة حالة كالعلج صفراء ها
الاكنان والطيب

وقال آخر كان لون البيض في الادحى	لونك لولا صفرة الجاري

يريد انها تتضمخ بالجادي وهو الزعفران وصفرة العنبر لا تدرك صفرته
وقالوا الجارية الحسناء تتلون تلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء **قال الشاعر**

بيضاء ضحوتها وصفراء	العشية كالبهاره

وقال بشار بن برد

وخذي محاسن زينة	ومعصفرات من الحلي
فاذا بلغت فادخلي	في الحسن ان الحسن احمر

قال الحريري في درة الغواص اما قولهم الحسن احمر فمعناه انه لا يكتسب فيه
الجمال الا بمشقة تحمر منها الوجه كما قالوا السنة الجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب
بالموت الاحمر واحسن زينة النساء اجادهن الخضاب ولذلك المنبت فيه
الشعر ويشبهونه بالعناب وغير ذلك **قال ابو نواس**

يا قمرا ابصرت في ماتم	يندب شجوا بين اتراب
يبكي فيذري الدر من نرجس	ويلطم الورد بعناب

وقال عكاشة

من كف جارية كان بنانها	من فضة قد طرفت عنابا

قال المرزباني قال لي ابن دريد سهرت ليلة فلما كان اخر الليل اغمضت عيني فرايت رجلا طويلا اصفر الوجه كوسجا دخل علي واخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك ابو نواس لاحد شيئا فقال انا اشعر منه فقلت ومن انت فقال انا ابن ناجية من اهل الشام **وانشدني**

وحمراء قبل المزج صفراء بعده | اتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا | عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت اسات في الترتيب فقال وما هو قلت لانك قلت وحمرا فقدمت حمرا ثم قلت بين ثوبي نرجس وشقايق فقدمت الصفرة فهلا قدمتها على الاخرى فقال وما هذا الاستقصا في هذا الوقت يا بغيض عن ابن عرف

قال وقلت انا اسفر ... | وشهدت فاجبها المشهد

وقال المتنبي

قالت لترب معها منكرة | لو ... هذا الذي ... من
قالت فتى يشكو الهوى منهم | قالت بمن قالت بمن قالت ...

وفي الحلة الحمرا ابيض المقلتين | ... السحر لحو ...

وقال الاخر ارعى العقد في نحره محكما | بين الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ابضاحها | تعتاه عن وجهك الازهر
ومشوور مع ... احمر | على اس ... الاخضر
وتعشقه ... بيع الهوى | لاجلك ناطقة المشتري

وقلت انا من قصيد

لعمرك لا زيد يعين ولا عمرو | ولا نقش الاديان تقليد نقش
ولا بيض لا سود حظي عندها | ولا سمر الاديان اعطافها السمر

وقال بدر الدين بن الحوت

تصفر لوني حين انظر وجنة | منها تعلم حسنه الورد الجني
يفنى الزمان وليس يفني حبه | فقد الحبيب ولا اراه يجتني

حكي عن ابي ايوب وزير المنصور انه كان اذا دعاه المنصور يصفر ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له انا نراك مع كثرة دخولك على امير المؤمنين وانسه بك تتغير اذا دخلت عليه فقال مثلي ومثلكم في هذا مثل بازي وديك

تناظر

تناظرا فقال البازي للديك ما اعرف اقل وفاء منك لاصحابك قال وكيف قال تؤخذ بيضة فيحضنك اهلك وتخرج على ايديهم فيطعمونك باكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك احد الا طرت من هنا الى هنا وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها واما انا فاوخذ من الجبال وقد كبر سني فتخاط عيناي واطعم الشيء اليسير وامنع من النوم واونس اليوم واليومين ثم اطلق على الطير او الصيد فاطير لسيدي واخذه واجي به الى صاحبي فقال له الديك ذهبت عنك الحجة اما لو رايت بازين في سفود ما عدت اليهم ابدا وانا كل وقت ارى السفافيد مملوة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وانتم لو عرفتم من المنصور ما اعرف لكنتم اسوا حالا مني عند طلبه لكم قلت والذي هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يحيف منه حتى اذاقه الموت الاحمر هذا بعد ان اخذ امواله ونكبه فاسوحا ... انه كان يدهن حاجبيه بدهن يبخر فيه المنصور اذا اراه فلا يتمكن منه حتى ضرب به المثل فقيل دهن ابي ايوب وما افاده ذلك شيئا لانه فعل به ما فعل وقابله بما ليس له به قبل **فصل في التفضيل بين البيض والسود والزرق والشهب** فهذا النوع الاخر مما يميل اليه المرء ويهواه في الغالب والناس فيما يعشقون مذاهب **فمما قيل** في تفضيل السمر

لا اعشق الابيض المنفوخ من سمن | لكنني اعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ اركب المهر المضمر في | يوم الرهان فدعني اركب الفيلا

وقال ابراهيم بن الجهم

وعايب الشمس من جهله | مفضل البيض ذو جهل
فولو العنبر اما انتمي | من حبلك الكافور كالمسك

وقال ابو حفص المطرزي

اشبهك المسك واشبهته | قاعدة في كونه قاعده
لا شك اذ لونكما واحد | انكما من طينة واحده

وقال الزبيدي في تفضيل السود

احب بلون السود فانني | رايتكما في العين والقلب توأما
فما كان سهم العين لولا سوادها | ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبي المافلا تلم | جفونا على الظبي الذي كله لمى

وقال مسلم

لام العواذل في سوداء فاحمة | كانها في سواد القلب تمثال

وهام بالقلب اقوام وما علموا   اني اهيم بشخص كله خال

وقال ابن الرشيق

دعا بك الحسن فاستجيبي   بالمسك في صبغة وطيب
بتهي على البيض واستطيلي   بنه شباب على مشيب
فلا يعبك اسود لون   لحفظه الشادن الربيب

وقال اخر

وان سواد العين في العين نورها   وما لبياض العين نور فيعلم

وقد ذكرت بقية ما قيل في هذا النوع من المقاطيع الحسان في السكردان صنف الملك الكامل شعبان رحمه الله تعالى واما ما قيل في تفضيل البيض على السود فاكثر من ان يذكر له شاهد او يمتد اليه ساعد المساعد قال الحافظ العرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن اصل ما يبنون عليه امرهم ذمه قال كشاجم

يا شبيها في فعله لونه   لم تعدما اوجبت القسمة
خلقك من خلقك مستخرج   والظلم مشتق من الظلمة

واما القصيرة الغليظة فان هذا النوع مذموم عند كل صاحب منثور ومنظوم قال الشاعر

وانت التي حببت كل قصيرة   الي ولم تشعر بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم ارد   قصار الخطا شر النساء البحاتر

والبحاتر هن القصار الغلاظ وقال بعض السلف جعل الله البهاء والهوج مع الطول والدهاء والدمامة مع القصر والخير فيما بين ذلك وما اظرف قول الزين التاجر

ولحوباه من هوى قصيرة   في الارض مثلها الف الف نادمة
اذا دعانا الى الخفاف طرفها   قال القضا يا كاتب الذمه

وبعض الناس يفضل السمان ويقول السمن نصف الحسن وهو يستر كل عيب في المرأة ويبدي محاسنها وقيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجميل وهو الشحم وقد تقدم ذكره فصل فيما يعتري المحب من اضطراب يعتريه عند رؤية محبوبه من خفقان قلبه وطيران عقله ولبه قال صاحب روضة المحبين وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب فقيل سببه ان للمحبوب سلطانا على قلب محبه اعظم من سلطان الرعية فاذا فاجأه راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة فان القلب معظم المحبوب خاضع له والتعظيم اذا فاجأ العظيم

عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد فيحدث الاضطراب والرعدة ودعابات وبالجملة فهذا امر ذوقي وجداني وان لم يعرف سببه ومن احسن ما قيل في الاعتذار عن خفقات القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الحظيري

يقول لي حين وافى   قلبك ما ان يحبه
فالقلب قد حبانا   وخفقة تعتريه
فقلت وصلك عرس   والقلب يرقص فيه

ومثله قول الاخر

لا تنكروا خفقان قلبي   والحبيب لدي زائر
ما القلب الا دارة   ضربت لزينتها البشائر

وما احسن قول ابن سناء الملك

اما والله لولا خوف سخطك   لهان علي ما القى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا   وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لو انه اذ قال اين محلي   حد اعلى من الجبال الطوال
فاجب قلبي فقال يجيبا   ارايت عرشا كان في خافقين

وقال اخر

وسكن قلبا خافقا   يا ساكنا في عين ساكن

وقال الطغرائي

مرض النسيم وصح والداء الذي   اشكوه لا يرجى له افراق
وهدا خفوق البرق والقلب الذي   ضمت عليه جوانحي خفاق

اورد ابن الابار في تحفة القادم قول ابن بقي من ابيات

ضممته اذا ما النسيم تنسمه الكرى   زحزحته شيئا وكان معانقي
ابعدته عن اضلع تشتاقه   كي لا ينام على وساد خافق

قال بعض اهل عصرنا ابن بقي الى الجفا فقوله ابعدته عن اضلع تشتاقه ولو قال ابعدته عن اضلعي تشتاقه لكان احسن ثم ذكر بعدها مما فضلوه على قول ابن بقي المذكور قول ابي الحكم جعفر بن عثمان

ان كان لا بد من رقاد   فاضلعي هاك عن وساد
ونم على خفقها هدوا   كالطفل في هزة المهاد

قال ابن الأثير في المثل السائر في أبيات ابن بقي المذكورة هذا من الحسن والملاحة من المكان الأقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصًا وابن بقي الأحنف هو الموصوف بالإبداع وما مثاله إلا قرة الأبصار بفضل الأسماع وقلت أنا موافقًا لأهل ذلك العصر في الرد على ابن بقي بعده من بعدنا نحو حبه

ما إن عنده في الغرام بعاشق | هذا بدل الناس منك على الجفا
إذ ليس هذا مثل صب وامق | إن شئت قل بعدت عنه قنا لعي
ليكون مثل السهام الصادق | أو قل فبات على اضطرابي جوانحي
كالطفل مضطجعًا بمهد خافق |

الباب السادس في ذكر الغيرة وما بها من الحب

أقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وأبناء جنسه والمحبوب بها نوعان والمغيرون بسببها مرتبان فالأول محبة الله ورسوله ويتهم به العاشق سواه والثاني مذموم وصاحبه منجح ملوم فالنوع المحمود منها أن يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم أن يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة ولا تترك منها حبة لأنها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيرة مما يورث الفساد الصورة والحكايات في هذا الباب مشهورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله الغيرة لله والغيرة التي يكرهها الله الغيرة في غير ريبة وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخله النار وقال صاحب روضة المحبين محب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته وإجلاله فإذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة أخلا وإن زعم أنه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في أذاه ومساخطه ويستخف بأمره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد أن يدعي في محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت ولا لحقوقه إذا ضيعت وأقل الأحوال أن يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه والتفريط في حقه وأما الغيرة على المحبوب فإنها تحمد بما يحمد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعًا وعقلًا كغيرة الإنسان على زوجته وأمته والشيء الذي هو يختص به فهذه الغيرة تختص بالحادث ولا تتصور في حق الخالق لأنه سبحانه وتعالى يحب على جميع الخلق أن يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافًا لبعض جهلة الصوفية ممن كان إذا رأى من يذكر الله تعالى أو يحبه يغار منه ويتأسف إن أمكنه ويقول غيرة المحب تحملني على هذا وإنما ذلك حسد وبغي وعدوان ونوع معاداة لله ومراغمة

لطريق

لطريقه سلم أخرجها في قالب الغيرة وشبهوا محبة بمحبة الصورة وهذه الغيرة إنما تحسن في محبة من لا يحسن المشاركة في محبته كغيرة الإنسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره قال القشيري قيل لبعضهم أتحب أن تراه قال لا قيل ولم قال أنزه ذلك الكمال عن نظر مثلي قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وهذه غيرة فاسدة وغاية صاحبها أن يعفى عنه وأن يعد ذلك من سقطاته المذمومة وأما أن يعد من مناقبه فعظيمًا أبدًا أن يقال للمحب أترى حبيبك فيقول لا وهو أعلى نعيم الجنة وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يسأله النظر إليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان من دعائه اللهم إني أسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فقول هذا القائل أنزه ذلك الكمال عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس وهو يشبه ما حكي عن بعضهم أنه قيل له ألا تذكره فقال أنزهه أن يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم في شيء من هذا فلم

فأنشد

يقولون زرنا واقض واجب حقنا | وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها | ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

وبعضهم تبلغ غيرته على نفسه أن يرده سكن وقد رأيت شخصًا على ترك الصلاة فقال لي إني لا أرى نفسي أهلًا أن أدخل بيته فانظر إلى تلاعب الشيطان بهؤلاء وأما الغيرة على المحبوب من الآدميين فالناس فيها من عجب وحكايات غالبهم فيها ذنوب ومنهم من يغار على المحبوب من النسيم إذا هب ويسمع أنه في القلب

أغار إذا آنست في الحي أنة | حذارًا وخوفًا أن تكون لحبه

وقال الآخر

تغار من الطيف المسلم جاءنا | وتغضب من مر النسيم عبيرها

قال ابن الأثير في المثل السائر سافرت إلى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو أغار إذا آنست في الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب

لو قلت للدنف المشوق فديته | مما به لأغرته بفدائه

والمتنبي أخذه من قول العباس بن الأحنف

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه | إلا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرًا عليك وإنني بك واثق | أن لا ينال سواي منك نصيبا

ومنهم من يلحق في الغيرة بوهمه بأسه فيغار على المحبوب من كلام نفسه كما قال الجزري

إني لأحسد ناظري عليكا | حتى أغض إذا نظرت إليكا

وأراك تخطر في شمائلك التي … هي فتنتي فأغار منك عليكا
ولو استطعت صنعت طرفك غيرة … كي لا أراه مقبلا يثنيكا
خلص الهوى لك واستقلت موقفي … حتى أغار عليك من ملكيكا

ومنهم من يغار عليه من أزراره ولبس أزراره

أنع الأزرار على لبلى فاحسد … أن الأزرار يحل على ما فيه محسد

قال ولهذا البيت حكاية لطيفة وهي ما حكي عن الحسن بن زيد أمير المدينة أنه قال يوما لابن السايب فكان قد جاوزه وقد كان يركب معه في موكبه ويسلم على الناس إذا أمر بمن فقضاه الأمر عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة فقعد كعادته فأنشد الأمير أنع الأزرار على لبلى البيت فقال له أبو السايب يا بن أحد من الذي قال هذا البيت فقال قيس بن ذريح فتخلف أبو السايب عن سايرته ثم لحقه وكانت قلنسوة عليه فقال له الأمير ابن القلنسوة قال تصدقت بها على السلطان الذي ألقى هذا البيت على لسانه قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف الكاس كما قال كشاجم

ومعذبي في كبب … شاركت فيه اللهو والافراج
اغار إذا أدنت من فيه كاس … على دريقة زجاج
واشفق إذ دنا المصباح منه … على بدن يقابله سراج

أخذه المتنبي فقال في ممدوحه

أغار من الزجاجة وهي تجري … على شفة الأمير أبي حسين

ومعذبي عن ذلك لكونه خاطب ممدوحه بالخاطب به المحبة ومنهم من ينزل نفسه منزلة الأجنبي فيغار على المحبوب من نفسه كما قال أبو تمام

بنفسي من أغار عليه مني … وأحسد مقلتي نظري إليه
ولو أني قدرت طمست عنه … عيون الناس من حسدي عليه
حبيب بت في حبي هواه … فأمسك مهجتي بيد إليه
فروحي عنده والجسم خال … بلا روح ومقلتي في يديه

وقال أيضا

أغار عليك من قلبي … وأن لا تعطفني املي
واشفق أن أرى خديك … يعثر مواقع القبل

وقال آخر

يا من إذا ذكر اسمه في مجلس … لذ الحديث به وطاب المجلس
أني لمن نظري أغار وإنني … بك عن سوى من الأنام لأنفس

ومنهم

ومنهم من يغار عليه من مصالح له مخافة أن يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعفري

ربما صرفت صدى عنك عني … وطلابيك واشتاقك مني
حذرا أن أكون مفتاح غيري … فإذا ما خلوت كنت التمني

وقال آخر

ولما رمت باللحظ عنه حينها … كما ثوب العين توبى بالقلب
وإني لأرجو أن تدوم بعهدها … ولكن سوء الظن من شدة الحب

ومنهم من يمنع من ذكر محبوبه البتة مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي

ولست بواصف أبدا حبيبا … أعرضه لأهواء الرجال
وما بالي أشوق قلب غيري … فعدوه وما لي من الجمال

وكثير من الجهال وصفاء إمرأته ومحاسنها لغيره فكان ذلك سبب فراقها وانتقالها بالموصوفة له وذلك من قلة عقله وحمقه ومنهم من بالغ في الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة أن يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة منهم ديك الجن الحمصي الشاعر وقد أفردت لحكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها إلى مولانا السلطان في هذه السنة فهو في سر يانوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك امتحنت الرسالة المذكورة بقولي يقبل الأرض وينهي أن ديك الجن المذكور من جملة جنونه أنه كان يهوى جارية وغلاما من شدة حبه لهما وغيرته عليهما خشي أن يموت وأن غيره يتمتع بهما بعده فقتلهما وأحرق جسدهما ووضع من رماد الجارية برنية للخمر ومن رماد الغلام برنية أخرى كذلك وكان يضعهما في مجلس أنسه عن يمينه وشماله وكان إذا اشتاق إلى الجارية قبل البرنية المجبولة من رمادها وملأ منها قدحه وأنشد أبياتا فيها أولها

يا طلعة طلع الحمام عليها … وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما … روى الهوى شفتي من شفتيها
وأجلت سيفي في مجال خناقها … ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى … شيء أعز علي من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن … ابكي إذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على سواي بحسنها … وأنفت من نظر العيون إليها

وإذا اشتاق إلى الغلام قبل البرنية المجبولة من رماده وملأ منها قدحه وبكا بكاء شديدا

ويبكي بكاءً شديداً وانشد

استعطف ان يرد الزمان بغدره   او ابتلي بعد الوصال بهجره
فرايتها استخرجت من دجنة   ليلتي وانونة من خدره
فقتلته وله علي كرامة   فلي الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ميتاً كاحسن نائم   والطرف يسفح دمعتي من نحره
لو كان يدري ما الميت ماذا بعده   بالحي منه بكى له في قبره
غصص تكاد تفيظ منها نفسه   ويكاد يخرج قلبه من صدره

اقول هذا الذي نال المجنون فعله فانا لله وانا اليه راجعون من فعل هذا المجنون على انه من ارق الناس شعراً واكثرهم للمحبوب ذكراً من شعره الفائق ونظمه الرائق قوله في الدعاء على المحبوب من جملة شعره

كيف الدعاء على من جار وظلما   وما الكي ظالم في كل ما حكما
لا احذ الله من اهوى بجفوته   عني ولا اقتص لي منه ولا انتقما

اقول فما الطالب مطلوب هذا هو العشق المقلوب ما كفاه انه فعل ما فعل بالاحباب ما لا تفعله الكلاب حتى يقول لا واحذ الله من اهوى بجفوته ويجمع بين شعره بعينه فهو في الحمقة والطيش وقتل المحبوب لا في ابن ولا على ابن من غلب عليه هواه كما تراه فيفعل بالمحبوب ما فعل واقام عذره بالسيف مقام العذل شعر

احبابه لا يفعلون بقلبه   ما ليس تفعله به اعداؤه

وقد انتهت هذه الرسالة بكمالها في الباب الاول من كتاب مرآة العقول ومما ينخرط في سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ اثير الدين ابو حيان في تفسيره عند قوله يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك وقد كان العزيز له كان قليل الغيرة وتربة اقليم مصر اقتضت هذا يعني قلة الغيرة حتى قال وبين هذا ما جرى لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندمائه المختصين به فهجر ابن ... وجارية تغني من وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فالبث ان جيء براس الجارية في طست وقال له الملك استعد البيتين من هذا الراس فسقط ما في يد ذلك الرجل ومرض مدة حياة ذلك الملك قلت لو كان معزولاً فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومثل هذا ابشع ما فعله جعفر ابن سليمان وذلك انه لما استعرض جارية مغنية بثمانين الف درهم وكانت من الغناء الحسان ... فقال لها يوماً هل ظفر منك احد ممن كان يهواك بخلوة او قبلة فخشيت ان يبلغه عنها شيء كانت فعلته في حجرة او يكون قد بلغه فقالت

لا والله الا يزيد بن عوف العبادي فانه قبلني وجعل في فمي لؤلؤة بعتها بثلاثين الف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال حتى وقع في يديه فضربه بالسياط حتى مات قلت وقد استخرج والله من هذا الصداع كلام عبد المحسن الصوري حيث قال في عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا   به غفلة عن لوعتي وتحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد   تشاركني في حبه بنصيب
فلا تلوموني عنه ما الفتها   فان حبيبي من احب حبيبي

وقد بالغ الاخر فقال يتبجح بالقيادة   اقود بانه لا على كراهة
ومبرقع قوادي على رغم انفه

وما احسن قول ابو الحسين الجزار

قلت لماسك الساقي   على الارض الشرابا
عنبر في عليه   ليتني كنت ترابا

فقال نور الدين الاسعردي واحسن ما اتى

تميل الريح بالاغصان لطفاً   كما مالت بشاربها العقار
وتجمع بينها من بعد بعد   واوراق الغصون لها ازار
تخفق مثيره عند التلاقي   فهل ابصرت قواداً يغار

الباب السابع في افشاء السر والكتمان عند عدم الامكان

اقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده وهو لكل منهما وجه اذ للمحبين فيهما مذهبان من اظهار وكتمان فمنهم من تبجح باباحته ورأى في افشائه راحته ومنهم من راى كتمانه من الديانة فهو من مراتب الحب في اعز مكانة حيث قال

باح مجنون عامر بهواه   وكتمت الهوى فبحت بوجدي
واذا كان في القيامة نودي   من قتيل الهوى تقدمت وحدي

نعم من الناس من كتمه فاداه كتمانه عدمه ومنهم من افشاه فوقع فيما يخشاه ولكل من المذهبين شاهد ودمع يجري مع ذلك دائماً لا يبحث عن ... ولا سالك طريقه فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الاعضل وسيفين لا يدري قتله باحدهما على الصحيح الاشهر كما قال شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب رحمه الله تعالى

وارحمتا للعاشقين تكلفوا   ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم   عند الوشاة المدمع السفاح

والتعذر له في ذلك كله ويبتر وابله من طله ان المحب اذا علم من محبوبه الوفاء ...

الجفا فالواجب عليه افشاء السر على الحبيب وابداء العلة على الطبيب

فح بالسر ان اهلها … واياك وغيرهم ان تبوحا

وقد ظرفا بو حفص الشطرنجي حيث قال

قل للمنية انني بك مغرم … ثم معرض وضنا البس

وقد قال من مارس الحب وجلب سطره افشاء المجالس المحب سره الى المحبوب وشكوى ما يلقاه به طرف من السحر فقلت بل السحر كله ومعظمه وجله عرف ذلك من جربه وادبه الحب وهذبه **وعلى هذه الحكاية** احمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدي بجعفر بعد ان نفجع بها الرشيد وشرط عليه ان لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطا وعها على ما احبت وخاف على نفسه من الرشيد ان ظهر امرها كتبت اليه

عزمت على قلبي بان يكتم الهوى … فصاح ونادى انني غير فاعل

فان لم وصلني نحب بالحب عنوة … وان عنفتني في هواك عواذلي

وان كان موتي لا اموت بغصة … وافرب بعد قبل الموت ايدي قاتل

فقال نعم ما اردت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها وشكوى غرامها **وقال ابن** شادان الكاتب قال لي عريب جارية المامون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه الى الاسفار متنزها فدخل على فريدة جارية كان يحبها جدا وكان ايتهم بهوى وصبغة لها لم يكن يعلم ذلك غيري فلما رات انه عند مولاتها دخلت خزانتها فقامت على راسها وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب

عيني تبكي حذار البين … ما اسمح الفرقة للعين

لم ارى في الحلب ولو فاته … اوجع من فرقة العين

فقال الواثق فهمت يا عريب قال نعم فقلت يا سيدي فكتب على الارض بقضيب في يده ظهر الهوى وتهتكت استاره والحجر سبيله الطهاره قال فحفظت الابيات وتضاحكا فقطعت فريدة فقال يا سيدي علمتها انت فامنن على امتك فقبولها فقال الواثق قد وهبت حديثها اليك يا عريب فاخذت بيدها فما ملكت نفسها ان انصرفت من خلفي مسرعا فخلى بها وامر لي بالف دينار **ومنهم** من لا يجري ذكر العشق على لسانه البتة ولست حتى كان به سكنة ولم اسف ذلك ما يتنا في فيه المتنافس لحسن من قول **قول ابن قلاقس**

كتمت الهوى عند العواذل انه … عليه من اصبو اليه واهواه

ولو قلت اني عاشق فطنوا به … لعلمهم ان لست نعشق الا هو

ومنهم من يبوح باسمه ويرى التصريح باسمه

فبح باسم من اهوى ودعني من الكنى … فلا خير في اللذات من دونها ستر

فقال ابراهيم بن عبد الله رايت على حد جارية مكتوبا بالغالية

كل يوم انوب من الشوق … وقلبي من الصدود فيه بج

لم اجد خلوة اليك فاشكوا … ما يقاسي لعله يستريح

ويح قلب كانه تحت قبرا … ثم اعضا مست فيه روح

وفي البيت الثاني من هذه الابيات تنبيه على انه افشاء السر الى الحبيب لا يكون خلوة فلا ينبغي ان يعلم به خلا ولا صديقا وما حملك ذلك طويق

يا موقد النار الهابا على كبدي … اليك اشكوا الذي بي لا الى احد

اليك اشكوا الذي بي من هواك فقد … طلبت غيرك للشكوى فلم اجد

وقال الاحوص

لعمرك ما استودعت سري وسرها … سوانا حذار ان نضيع السرائر

ومن طريف ما نرى في هذا الباب ان بعض العشاق انشد يوما محبوبته

سري وسرك لم يعلم به احد … الا الاله والا انت ثم انا

فقالت له لا انس العوادة فانه لا بد ان تدري بسرنا وتطلع على امرنا **ومن احسن** ما سمعته في كتم مقتضى السر **قول الحسين بن بشر**

حيا الله امرا اوعاك سرا … لكتمه وحفظ الله فاه

فانك بالذي استودعت منه … اتم من الزجاج بما حواه

قلت وما ابعد ان يكون المتصف بهذه الصفة من ذريته القايل

ولا اكتم الاسرار لكن اذيعها … ولا اترك الاسرار تغلي على قلبي

فان قليل العقل من بات ليله … تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وابن هذا من القايل

وقايلة ما بال جسمك لا يرى … سقيما واجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبي يحبك لم يبح … لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

حكي ان سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنها رات في جواريها تعرف ابن اذينة وهو يغني فقالت لجواريها من الشيخ فقلن عروة فالتفتت نحوه فقالت يا ابا عامر انت تزعم انك لم تعشق قط وانت تقول

قالت وابثثتها سري فبحت به … فكنت عندي عن عتب الناس في ستر

الست بقضي من عندي فعلك لها … عطاهواك وما القى على بصري

كلمن رق حولي من جواري احمد ان كان هذا الكلام خرج من قلب سليم فقط عن احمد بن عثمان الكاتب انه كان صديقا لابي الفضل عبد الغفار الانصاري فعشق احمد جارية لام جعفر اسمها نعم وهام بها فاطلعه على سره فعشقها له فاشتراها عبد الغفار فاعتل احمد منه علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر فوجهت اليه طبيبا فانشده

ارسلت ام جعفر لي طبيبا … لشكاة فضلا علم الطبيب

ودوائي واصل داي اليها … فعليك شادن غريب ربيب

حبروها بان نعم دوائي … كي تداوي مريضها عن قريب

فسمعت ام جعفر الابيات وسالت عن قصته فلما قصت عليها وهبت الجارية وهجر احمد عبد الغفار وقال جعلتك موضعا لسري فخنت على ما المفاسد المترتبة على افشاء السر الى الغير كثيرة **ولهذا قال ابو العلا المعري**

فظن بسائر الاخوان شرا … ولا تامن على سر فؤادا

فقال الصاحب محيي الدين الجزري من رسالة فواعجبا كيف لا ينطق من لا اسمه وينتشر لكثرة ما احوم حول المقول فيه ولا اوفيه ان صرحت فاضنا النفوس فضلا عن العيون وتهاوت الى مرامي الاثم ظنون ولو اثبت بعضه اخاف ان ينطق الناس وان اضنيت فيه اخشى ان لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس **ومن احسن** ما سمعته في كتمان السر قول النابغة وكان الامام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو قوله

لا تفش سرك الا اليك … فان لكل نصيح نصيحا

فاني رايت وشاة الرجال … لا يتركون اديما صحيحا

وكتب عبد الملك الى الحجاج وكان قد استكتمه امرا فكاتب كتبه اليه فظهر فقال عمرو بن العاص ما استودعت احدا سرا فافشاه فلمته لاني كنت اضيق صدرا به حين استودعته اخذه الشاعر **فقال**

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه … فصدر الذي يستودع السر اضيق

وقال آخر

اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها … فسرك عند الناس افشى واضيع

وقال ابو حفص الشطرنجي

فلا تضيعن سرك بل امته … وصير من جنانك له حجابا

فما اودعت مثل النفس سرا … ولا اغلقت مثل الصدر بابا

حكى الماوردي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ الاسرار فقال

ومستودع سرا تضمنت سره … فاودعته بعد الحشاشة في قبر

فقال ابنه عبيد الله وهو صبي واحسن ما شاء

وما السر من قلبي كميت بحفرة … لاني ارى المدفون ينتظر الحشرا

ولكنني اخفيه حتى كانه … من الدهر يوما ما احطت به خبرا

وقال آخر

يا ذا الذي اودعني سره … لا ترج ان تسمعه مني

لم اجره بعدك في خاطري … كانه ما مر في اذني

وقال بشار

لا اخرجن من الدنيا وحبكم … بين الجوانح لم يعلم به احد

وقال طلحة بن ابي بكر

لا تظهرن محبة لحبيب … فترى بعينك منه كل عجيب

اظهرت يوما للحبيب مودتي … فلحذرت من هجرانه بنصيبي

قيل اسر رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال له احفظته قال بل انسيته **قال** ابن المعتز كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا ومن كلام الحكمة احفظ قلبك كما تكتم مغضبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه **ومن كلام الالفاظ لفاضل**

وانت الاسرار في قلبك … فالحمد مونا ما في جنابك

فبحت بها ان بعث لك السر … الا عند ربك

ووصف اعرابي قوما فقال يبوحون بما في الاسرار وصدورهم قبور الاسرار وما احسن **قول ابن حماد من ابيات**

وضاق على الحب حتى كانه … حللت به للعشق في صدر مجحف

فبات كالدمع في جفن عاشق … فاخرج او كالسر في صدر احمق

وقال العباس بن الاحنف

باح دمعي فليس يكتم سرا … ووجدت اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب اخفاه طي … فاستدلوا عليه بالعنوان

الباب الثامن في مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافي عتبه والخرام

اقول هذا باب عقدناه لمغالطة الحبيب في نفسه والحاق بعيه باسمه وهو من الطف الابواب حشوا واكثرها نشوه واحسنها لحن الها واكثرها خداعا

وما بلغها حظاية واكثرها اصابة وسنورد من ذلك ما يعذب ايراده ويحسن عند اهل الادب انشاده ليعلموا ان الاديب على الحبيب محتال ويجارى برقة الفاظه الجريال ومن ذلك وهو احسن ما سمعته في مغالطة الحبيب

قم بنا يا نور عيني … نغتنم ذلك يقينا
فالى كم يا حبيبي … يا ثم القايل فينا

ومثله قول الاخر

لا انس لا انس قولها بمنى … ويحك ان الوشاة قد علموا
ونم واش بنا فقلت لها … هل لك يا ... في الذي زعموا
قالت فما ذا ترى فقلت لها … كي لا تضيع الظنون والتهم

وقال العباس بن الاحنف

كان لم يكن بيني وبينكم هوى … ولم يك موصولا بحبلكم حبلي
ولكن لا تخبى لكم من محدث … يحدث عنكم بالملالة والمطل

وقال اخر

نسبت لي ذنبا ولم اك مذنبا … وحملتني في الحب ما لا احبه
وما طلبي للوصل حرصا على اللقا … ولكن لجوالبك اسوقه

قلت ما برحني برح سوابق اخي بسوابقه الاجرا بها وما قلته انا في هذا المعنى

لم اطلب الوصل من اجلي ولا بك با … من زاد حظى سوى امنه بابامان
لكن خشيت بان تلى بعشق رشا … فينقص لي منك في الدنيا مكان

وقال اخر

قد اكثر الناس انواع الحديث بنا … وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم … وصادق ليس يدرى انه صدقا

وقال اخر

يا سيدي عندك لي مظلمة … فاستفت فيها ابن ابي خيثمة
فانه يرويه عن جده … وجده يرويه عن عكرمة
عن ابن عباس عن المصطفى … نبينا المبعوث بالمرحمة
ان انقطاع الخل عن خله … بعد ثلاث ربنا حرمه
وانت مذ شهر لنا هاجر … اما تخاف الله فينا فمه

وقال اخر

وماذا على الواشون ان يتحدثوا … سوى ان يقولوا انني لك عاشق

نعم

نعم صدق الواشون انت حبيبة … الي وان لم يصف منك الخلائق

قلت هكذا رايت غالب ما وقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعته من افواه اهل الادب اعني ان قافية البيت الاول عاشق والصحيح انها وامق لان المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبة والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك كذلك لم تصح المغالطة الا بقوله وماذا على ان يقول الواشي مني سوى انني وامق اي محب لغير ريبة

وقال ابن دعاحة الحموي

ان كان يحلو اليك قتلي … فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني … وبينك الله في الحساب

حكى ان بعضهم انشد شابا كان يحبه

حاذا نقول اذا اجتمعنا في غد … واقول للرحمن هذا قاتلي

فقال له الشاب هذا اراد ان يبكي فما مكنه وقال ابن سنا الملك من رسالة والله في امرك مغلوب وللب انني انا المحب وانت المحبوب ولا اتجالد عليك فلفرط ولا اخون حبك ولا اتشفع عليك فاعشك واحم قلبك اعلم انت فانا الصابر واقبل كيف شيت فانا الشاكر وقل فلى سمع يعشق قولك والقلب ترى انا لي يتوقد حولك واقبل فانت المعذور واستطل فانا المرهوب بل المرهوب وارجع الى الود الذي بيننا فكل ذنب لك مغفور وقال ايضا واستعيذك بالله من ذنب يوجب عتبك ويلج عذلك فيصرف قلبك ويجعلك ثاني عطفك ويغريك على الفك شعر

لست على هجرك جلد القوى … ولا على عتبك شاكي السلاح

فقال ابن السودي الشاعر المشهور

اشكو اليك ومن صدودك اشتكي … واظن من شغفي بانك منصفي
واصدعنه مخافة من ان يرى … منك الصدود فيشتفي من يشتفي

وحكى القاضي ابو عمر محمد بن يوسف الازدي قال

كنت اساير ابا بكر محمد بن داود الاصبهاني ببغداد فاذا جارية تغني بشعر

اشكو اليك فؤادا انت متلفه … شكوى عليل الى الف يعلله
سقم تزيد على الايام كثرته … وانت في عظم ما القى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها … وانت يا قاتلي ظلما تحلله

قال محمد بن داود وكيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات سارت به الركبان وقال ابو يعقوب يتغطوبه

قلبي عليك ارق من خديكا … وقواي اوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن تعذب نفسه … ظلما ويعطفه هواك عليكا

وقال أبو العلاء المعري

لغيري زكاة من جمال فإن تكن … زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

وقال ابن سناء الملك

وعاتبته لم تقعد عن تحية … أقول لها قولا لديه صواب

عليك زكاة فاجعليها وصالنا … فعمرك في العشرين وهو نصاب

وقال ناصر الدين بن النقيب

لقد وجبت عليك زكوة حسن … وفيه كمثل ما في المال حق

فلا تعدل به عني فإني … لمصرفه الفقير المستحق

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان رحمه الله تعالى من قصيد

لو لم أكن في رتبة أدعى لها … العهد القديم صيانة المنصب

لهتكت ستري في هواك ولذ لي … خلع العذار ولج فيه مؤنبي

لكن خشيت بأن تقول عواذلي … قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

وقال آخر

حجي عليك إذا خلوت كثيرة … وإذا حضرت فإنني محصوم

لا أستطيع أقول أنت ظلمتني … الله يعلم أنني مظلوم

وقال المكرم

الناس قد أثموا بنا بظنهم … وصدقوا بالذي أدري وتدرينا

ماذا يضرك في تصديق ظنهم … بأن نحقق ما فينا يظنونا

حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة … بالعفو أجمل من إثم الورى فينا

وقال المتنبي

نزودنا من حسن وجهك ما دام … فحسن الوجوه حال تحول

وصلنا نصلك في هذه الدنيا … فإن المقام فيها قليل

قلت هذا البيت الأخير حسن في بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه وأما الأول ففيه تنفير والتنفير ينفعه فلذلك استلمح منه وارتاح ورتب التهكم بالملاح

الباب التاسع في الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل

أقول هذا باب عقدناه لذكر رسل الأحباب

وشكوى الجوى في الجواب فهو باب طريف نافق الشوق طالما

عرض فيه المحب على الرسول سلعة النحول لا سيما من جمل صبره واشتهاره فأصبح

فهو في البيت طريح واستعمل في مراسلة البين حتى انتهج كما قيل شعر

فيا نسيم الصبا إن الرسول له … والله يعلم أني منك غيران

بلغ سلامي إلى من لا أكلمه … أني على ذلك الغضبان غضبان

لأن رسولي لا تذكر له غضبي … فذاك مني تمويه وبهتان

وكيف أغضب لا والله لا غضب … أني بما رام من قتلي لفرحان

يرتمن كل أشيء منه يؤلمني … حتى الإساءة أراها منه إحسان

استخدم الريح في حمل السلام لكم … فإنما أنا في عصري سليمان

فهو من الهوى على خطر … ومن أفانه الحب على سعة لا يقر له قرار

ولا يسطلي لوجنة محبوبه نارا لا جرم أنه يتعلل بالنسيم العليل ويقول لأستشاق

النسيم قلبك لا يقال له قليل ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب قول الأرجاني

بالله ربكما عوجا على سكني … وعاتباه لعل العتب يعطفه

وحدثاه وقولا في حديثكما … ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فإن تبسم قولا في ملاطفة … ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وإن بدا لكما في وجهه غضب … فغالطاه وقولا ليس نعرفه

أخذه من قول عمر بن أبي ربيعة من أبيات يصف فيها قوادة

فأتتها طبة عالمة … تمزج الجد مرارا باللعب

تغلظ القول إذا لانت لها … وتراخي عند سورات الغضب

قيل إن ابن أبي عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما أحوج المسلمين إلى خليفة يدبر أمرهم مثل قوادتك هذه ومثل قول الوأواء قول الآخر

ألا يا نسيم الريح بلغ رسالتي … سليمى وعرض بي كأنك مازح

وإذا عرضت عني فقوه مغالطا … بغيري وقل قد مات بذاك النازح

وقول الآخر دوبيت

يا لطف إذا لقيت من أهواه … عاتبه وقل له الذي ألقاه

إن أغضبه الوصال فغالطه به … أو رق فقل عبدك لا تنساه

وقال أبو فراس

هبت لنا ريح شآمية … متت إلى القلب بأسباب

أدت رسالات الهوى بيننا … عرفتها من بين أصحابي

كان الصاحب ابن عباد رحمه الله تعالى يكرمه إذا سمع هذين البيتين يرتاح لهما فقد عقد

للنسيم بابا مستقلا في كتاب سلوك السالك إلى صحف السكن وذكر فيه

أبياتا تليق بهذا الباب منها قول أمين الدين عطا

أنا أهوى غصن النقا وهو لاه   وفؤادي من حبه في التهاب
يا نسيم الصبا ترفق عليه   وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالتي ليس إلا   لذ بنا فحملها ان تعتبه
وإذا لم يكن رسولي نسيما   عوضني من الغافلين يشبه

وقول ابن الخياط الدمشقي

يا نسيم الصبا الولوع بوجدي   حبذا انت لو مررت بهند
ولقد زادني شذاك غراما   مذ عهدي باطلال نجد

وقال مهيار

حملوا ريح الصبا نشركم   قبل أن تحمل شيحا وخزامى
وابعثوا لي في الدجا طيفكم   إن أذنتم لجفوني أن تناما

حكى ابن نور الدين علي بن سعيد المغربي صاحب المرقص المطرب مر على جماعة من الأدباء المصريين وفيهم أبو الحسين الجزار وقد نزلوا في طريقهم بمرج نائم تحت شجرة وقد هبت الهوا فكشفت ثيابه عنه فقال أبو الحسين الجزار قوموا لننظم كلنا في هذا شيئا **قال** فما لبثنا أن قال نور الدين المذكور

الريح أقود ما يكون لأنها   تبدي خفايا الردف والأعكان
وتميل بالأغصان عند هبوبها   حتى تقبل أوجه الغدران
فلذلك العشاق يتخذونها   رسلا إلى الأحباب والأوطان

قال أبو الحسين ما بقي أحد منا يأتي بعد هذا فيروانا **قال علي الصفار**

إذا هب النسيم بطيب نشر   طربت وقلت أيهذا رسول
سوى أني أغار لأن عنه   شذاك وأنه مثلي عليل

وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه النسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

إن كان العشاق من أشواقهم   جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني   كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

قلت أنا كأني حاضر أخاطبه

إن كنت في عشق النسيم متيما   وزعمت أن هواه ليس يتلف
فأنا أقول لمن يخوض بالهوى   عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وقال القاضي محيي الدين أيضا في محبوبه النسيم

يا من غدا للحسن عنوا   صف هجره الريح العقيم

انت

انت النسيم لي الهوا   وقبالك الريح العقيم

قلت أنا كأني حاضر أخاطبه

يا بدر إن رق النسيم وأحدث   نادرنا جمعها بالنسيج
فمثل فؤادك جئت من الهوى   ومع العذول وقولهم الريح

وقال القاضي محيي الدين أيضا

شكر النسيم أدمعكم   كم بلغت عني تحية
كم قد أطال بك المطالب   في رسائلها الخفية
لا عزو إن حفظت لحادث   الهوى فهي الذكية

أخذ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي من أهل العصر فقال

يا طيب نشر هب لي من أرضكم   فأثار كامن لوعتي وتمسكي
أسدى محبكم وأشبه لطفكم   وروى شذاكم إن ذا ريح ذكي

قلت أنا لما وقفت على قوله هذا وقول القاضي محيي الدين المتقدم عليه

إن ابن أيبك لم يزل سرقاته   يأتي بكل قبيحة وقبيح
ليس المعاني في النسيم لنفسه   جهلا فراح كأنه في الريح

وقد ذكرت في النسيم أبياتا مليحة في كتاب سلوك السنن المذكور اقتصرت منها على هذا القدر خوف الإطالة ويجب أن يكون الرسول من أهل الصيانة وممن يرجع إلى ديانة لئلا يطمع بنصر حبيبه بعد أن كان رسولا **كما اتفق لرسول ابن سنا الملك**

راح رسولا وجاء لي عاشق   وعاقه عن رسالتي عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى   أخرسه والهوى به ناطق

وقال آخر

راح الرسول إليه وهو مفند   رجع الرسول إلي وهو متيم

ولهذا قال ابن الأثير وليس على الحسن أمانة وفي مثله تعذر الخيانة

وقال المتنبي

ما لنا كلنا جو يا رسول   أنا أهوى وقلبك المتبول
كلما عاد من بعثت إليها   غار مني وخان فيما يقول
أفسدت بيننا الأمانات عيناها   وخانت قلوبهن العقول

أفسدت أمانة الرسول في الرسالة وخانت العقول قلوبها أي غلبت العقول القلوب بسببها **وقال الأرجاني**

شمالك ريح النسيم عليلا   لما سرى عني إليك رسولا

وبدر بجبك انه فلحا تنى فغذ الحبر من الحياء ذنوبي

ومن احسن ما سمعته في الرسايل والطف في الوسايل

ما حكى عن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين انه كان في ايام ابيه احب
قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فنعه من صحبتها وشغفها منه فحزن ولم
يتجرا ان يجتمع بها بعد ذلك فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر
ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاء القاضي الفاضل ففسر الصورة **فقال في الحال**

اهدت لك العنبر في وسطه زر من التبر دقيق الحام
فالزر في العنبر تفسيره زرهكذا مستترا في الظلام

وقال علاء الدين بن المعزي من رسالة الهزبر من الحب الكئيب الى الحبيب الحبيب
افتتحها بقوله يقبل الارض ويبنى بين يدى سلطان الملاح ولي الكلام **منها**

ذهب الليل وعادا وهو لي ينمادى
كلما قلت هذا ينقضي يعبق الوجد ازدادا
كل قلب غير قلبي نال في الحب مرادا

وانا المسكين وحدى بات في صحن العطايف وحمل الخاطف وصلب الحبيب يعني
وتركه يتحنفص وسعى تلك الغزالة يا عويناك الغزالة رحم الله من قبلني لايابيد
رحم الله من قتلني واي عجز في قتل مثلي وهل انا الاسق بعر محاربه سحره قد
جعل رسايله وسايله وقصايده مصايده يستحلب ضرع الضراعة ويبسط قلع القناعة
ان جاع الكل من تقطيع الاعا بعض وان عطش يشرب من جود الفريض في زمان لا اوفق
بين القادح والمادح والغادي والنايح **منها** فدفقت منه مالين يقلعه بالحسب
الفلاح من صدري بلا ابى احسن من خسفين مرهفين البقين بين لحظان ندبي
العجمة وبين سقتان كاس الحجة ويقطعان ثمر الوصال ويشتملان انواع اللالي
ويتوا سفان لواقح الغرام ويتباسطان تناسط الحمام ولا يعجزهما عن فراح ومراح ولا يثنيهما
عن كاس وراح اشتان كالفرد من طول اعتناقهما يا بالبلبل حمد بعبير مد سوم
تنبض عن تبريين ويتجسمان عن دريين ويتشادفان النقوش على المحو زبين
كانهما افتتحا فنون الحسن والاحسان يكفي الميزان ان شاقلا بعتاب
او تراسلا بكتاب فلا يستوى وسحر عنبر محظور وان تسابقا في ميدان الهوى
او تراشقا بسهام الحوى فالوامن موتور والناحي محوى وهي رسالة لطيفة
ظريفة كلها من هذا النوع اقتصرت منها على هذا القدر خوفا الاطالة وقد ذكرتها
بكمالها في الجزء الثاني من حاطب ليل **الباب العاشر في الاحيلا على طيف الخيال**

ومن ذلك ما قيل فيه على اختلاف معانيه اقول هذا باب حقه نا ولكن طيف الحبيب
الزاير وما قيل فيه من المثل السايرة ان للشعرا في اقسامه بخيل وحسن
تخيل طالما اكثروا من ذكره واستخرجوه من وكره فقربوا عليه بعد المسافة
ولم يعافوا الحاق وجوه بالعيافة ومن المشهورين فيه بالاجادة ابو عبادة وغيره
كابن النقيب المتحيل على استطارد خيال الحبيب حيث قال واحسن في المقال

نصبت جفوني للخيال حبائلا لعل اجالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا اغمضتهن اصيده ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

ومن الحسن قول الشيخ جمال الدين في الشوبرنه

وموله بخاخ بمنهاه نبابك قالت لي العين ماذا يصيد قلت كراكي

وقال ايضا

واقسم لو جاء الخيال بزوره لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

وقال ابو محمد عبد الله الرومي واحسن ما شاء

ان لم يوصلك فهذا وقته يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني اعطى وصولا بالذي انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره وسلوت الناس كل حين عشقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه لكن عليه تصبري فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبه فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سالوك عنى قل لهم عبدى وملك يدي وما اعتقته
او قيل مشتاق اليك فقل لهم ادرى بذا وانا الذي شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارني من فرحتي بلقاه ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة لو كان يمكنني الرقاد لحقته

وقال ابو تمام

زار الخيال لها لا بل ازاركه فكر اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبى تقنصته لما نصبت له من اخر الليل اشراكا من الحلم

وقال ايضا

يا ليلها اذ تنزهت الادعلج بنها ستر من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير انا في معشر الاحلام

وقال البحتري فهو من المكثرين في وصف الخيال المجيدين فيه ولكثرة قوله فيه واشتهاره
ضرب به المثل فقيل خيال البحتري ومن ذلك قوله

اذا ما الكرى اهدى الي خيالها   شفى قربه التبريح او نقع الصدا
اذا انتزعته من يدي انتباهة   عددت حبيبا راح مني او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شاننا   نعذب ايقاظا وننعم هجدا

فقال ابن الرومي

ولما ان اعتاقك الكرى بدونها   وذودتها بعد الهدو وقد ذري
اذا الليل اعطانا من الوصل بلغة   تناتبتنا الصباح الى الهجر

وقوله

بعث طيفها الي ودوني سبع   شهور من المهامه العاقا
زار وهنا من الشام وحياتها   حبا بارض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها   والدجى في بروده الاخلاق

وقوله

وليلة قومنا على العيش اسند   بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تنعمي   بعطفي غزال بت وهنا اغازله
فكم من يد لليل عندي حميدة   وللصبح من خطب تذم غوائله

فقال عبد الصمد بن المعذل

واصل النوم بيننا بعد هجر   فاجتمعنا ونحن مفترقان
عبرات الارواح خائفة رقبا   فطوت انسها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا   انه منظر بغير عيان

قال المرتضى هذه الابيات تروى للمتحدثين وهي كثيرة ومن مثله دخل ابن
القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص
فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لانني قد استوفيت المعنى
فيهما فقال الوزير وما هما فانشد

زار الخيال بخيلا مثل مرسله   فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني   على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان اعادهما سمع لهما
ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص

وما درى ان نومي حيلة نصبت   لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

فقال آخر

الا رب طيف منك بات معانقي   الى ان دعا داعي الصلاة فحيعلا

واول من وصف الطيف عمرو بن قميئة فيما حكاه المرتضى في كتاب الطيف والخيال

فقال

نأتك امامة الا سؤالا   والا خيالا يوافي خيالا
خيالا يخيل لي نيلها   ولو قدرت لم تخيل نوالا

واول من طرد الطيف طرفة بن العبد قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب   اليها فاني واصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا   وقت الزيارة فارجعي بسلام

واعجب من جرير في طرد الخيال الوداعي حيث هجاه فقال طاف الخيال باصحاب
فقلت لهم اتلك ليلى اتت ليلا ام الغول وقد رد على جرير مولانا قاضي القضاة
تاج الدين السبكي واحسن ما شاء حيث قال

يا ليت شعري هل احب جرير   اذا ابدا اعتذاره
ان كان يصدق حبه   فالقلب منه كالحجارة
لا بل اشتاقه وانظر   لا ابدا اعود زيارة
اذ قال قولا لم يقله   عاشق فغدو جبارة
طرقتك صائدة الفؤاد   وليس ذا وقت الزيارة

وقال في الوداعي

هذا مقالك يا جرير لمن اتى ما يقال
هلا ثم وقت ليس يصلح للزيارة والوصال
ام قلت قلبك فارجعي هل ذاك ذنب لا يقال
ام كان حبك كاذبا فتناسه بنفي الخيال
ام كان قلبك من حديد ليس تؤذيه النبال

وقلت انا في الرد عليه

واعجبا لك يا جرير   في المحافل والمشاهد
طرقتك صائدة الفؤاد فكنت صبا غير صائد
فرددت طيف خيالها هذا الخبال منك فاسد
الطيف اشتق منك اذ وافى اليك وانت راقد
لا عاد مثلك ما بقي في الناس للعشاق عائد

وقلت ابضا من قصيد

بطا البتي قلبي به فكانني   عو يرو قلبي في نقابه معزر
ولي منه في ليل الكرى وبنانه   خيال مسلم اوحبيب مسلم

وقال محمد بن عفيف

ياحبذا طيفك من قادم   ياحسن العالم في العالم
طيف تجلى نوره ساطعا   حتى رآنه مقلة النائم
ياغائبا يحكم في مهجتي   طالت غيبة الحاكم
غار على حسنك ان تشتكي   خلى منه انه ظالمي

ومن احسن التهامي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت   سيان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف احسن وصلا ان لذته   تخلو من الاثم والتنغيص والندم

فالحسن اعتذار كشاجم على لسان الحبيب من تاخر الخيال

لقد بخلت حتى بطيف مسلم   على وقال رحمة لمحبتي
اخاف على طيفي اذا جاء طارقا   وسائلك ان يلقاه طيف رقيبي

وقال ابن العفيف التلمساني

طيف تجلى نوره ساطعا   حتى رأته مقلة النائم

وما احسن ايضا اعتذار المعري فهو مامنه بن عنبن وكتب به من اليمن الى اخيه بدمشق

سامحت كتبك في القطيعة عالما   ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه   يسري فيصبح دوننا بمراحل

وقال آخر

وزارني طيف من اهوى على حذر   من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا   وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي يخيل لي   نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

وقال ابن المعتز

ابصرته في المنام معتذرا   الي مما جناه يقظانا
فلان حتى اذا هممت به   انبهت عند الصباح لا كانا

قيل من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه قد طيبا او واصل حبيبا او نال عزا او وجد كنزا فاذا انتبه لم يرى من ذلك شيئا وربما راى

انه قد احدث فاذا انتبه راى ذلك بينا في ثيابه كما قيل

ارى في منامي كل شيء يسوءني   ويعقبني بعد النوم انهي وانبح
فان كان خيرا فهو اضغاث حالم   وان كان شرا جاءني قبل اصبح

وقال المعري

الى الله اشكو انني كل ليلة   اذا نمت لم اعدم خواطر اوهام
فان كان شرا فهو لا شك واقع   وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

وما احسن قول ابن التلميذ

عاتبت اذ لم يزر خيالك   والنوم يسوق اليه مسلوب
فزادني منعما وعاتبني كما   يقال المنام مقلوب

وقال الاحنف العكبري

واحلم في المنام بكل خير   فاصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي   لعاينت الشر من قبل الاذان

وما الطف قول ابن المعتز

الم الخيال بلا احمده   وابلغني الوصل من صده
وكم من نوره لي فؤادي   بالحبيب على بعده

ومثله قول الاخر

تركت هجا ابليس ثم مدحته   وذاك لامر عز عندي سلوكه
يقرب من اهواه حيا فانني   حكاه خيالا في الكرى فاتيكه

وقال بعض مشايخ العصر

لوان طيفك في المنام يجليني   ما بت اشكو لوعتي وكروبي
فرادار على حرة ريقه   ولحاظه وحديثه المانوس
ما علمي في قربه وحضوره   معقابه الا على ابليس

وما احسن قول القاضي الفاضل رحمه الله تعالى هذا على ان الطيف لا اعتد منه وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الي اعضاء القنا وخاض جداول الظبى وطى شوك النصال وعبر جبال الجبال وحل وامير الشهب حولي رواته ورقى واطراف القنا بعاده وكيف اعتد لديه والفكر بدينه وان يقظات وقتل ما لم يكن من قربه كما مثلت العيون منه ما كان حكى عن بعض المغفلين انه تعب في تحصيل امرأة كان يهواها مدة طويلة فلما حصلت عنده في البيت وضع راسه ونام فقالت له لا تنم تنم نملت هذا فقال من عشقي فيك انام لعلي ارى

خيالك في المنام **وحكي** عن بعض الجهلاء انه قال لجارية يعشقها ابعثي الي طيف خيالك فقالت ابعث لي دينارا وانا ابعث بنفسي في اليقظة ذكرت هنا ما حكي من بعض الجهلاء ايضا انه قال لمحبوبته وضعت خدي على الارض لكي تدوسي فقالت لا اعطني دينارا اخي اجلك فضع خدك على خدي

قالت لطيف خيالك زارني ومضى   بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظما   وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عادته   يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

وقول الاخر

فهلا سئمتم اذ سئمتم كلامها   بوادينا على البعد هاديا
سقى الله اطلالا بافنية الحمى   وان كن قد ابدين للناس خاليا
منازل لو مرت بهن جنازتي   لقال الصدى يا صاحبي انزلا بيا

وقال توبة بن الحمير

فان تمنعوا ليلى وتحموا حديثها   فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا
فهلا سئمتم اذ سئمتم حديثها   خيالا يوافينا على البعد هاديا

الباب الحادي عشر في قصر الليل وطوله وخضاب شعره وبياضه

وما في معنى ذلك **اقول** هذا باب عقدناه لذكر من اطال سهاده جنح الغيهب فامسى وماله الى اسفار الصباح سبيل فهو يشد من شدة الحزن وكثرة الارق

يا ليل طل او لا تطل لا بد لي ان اسهرك
لو بات عندي قمري ما بت ارعى قمرك

ولم يزل العشاق يشكون من الليل وطوله ويصفونه بسواد الوجه عند حلوله ومقصدهم في ذلك ظاهر وكيف لا وقد قال فيه الشاعر رقدت ولم ترث للساهر وليل المحب بلا اخر **وقال الاخر**

شاب الظلام بليل   احببته حين عسعس
لو كان لليل صبح   بعجز كان تنفس

وقال شرف الدين احمد بن سنقر

لما رايت النجم ساه طرفه   والقطب قد القى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافرا   ايقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال ايضا

ولرب ليل تاه فيه نجمه   فقطعته سهرا فطال وعسعسا

وسالته عن صبحه فاجابني   لو كان في قيد الجفون تنفسا

وقلت وقبل الشروع في ابراد مقاطيع هذا الباب نذكر حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهي ما حكاه ابو محمد اسمعيل بن منصور الجواليقي قال وقف على والدي وهو جالس في حلقته يقرا فيها على الطلبة شاب فقال يا سيدي قد سمعت بيتين من الشعر ولم افهم معناهما **فقال له** قل فانشد

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها   وهجره النار يصليني به النارا
فالشمس بالقوس امست وهي نازلة   ان لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

قال فلما سمعها والدي قال له يا ولدي هذا شيء من معرفة علم النجوم وتسييرها لا من صنعة اهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة فاستحيا والدي لكونه سئل عن شيء ليس عنده منه علم والا على نفسه الا يجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس ومعنى البيت المسئول عنه ان الشمس اذا كانت في اخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون اخر فصل الخريف واذا كانت في اخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه في اخر فصل الربيع فكانه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول واذا زارني فالليل عندي في غاية القصر

لا اظلم الليل ولا ادعي   ان نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شاءت فان لم تزر   طال وان زارت فليلي قصير

قال

وما ليلنا الا سواء وانما   تفاوته انا سهرنا ونمتم

ومن احسن ما قيل في قصر الليل قول ابي اسحق الصولي

وليلة من الليالي الزهر   قابلت فيها بدرها ببدري
لم تك غير شفق وفجر   حتى تولت وهي بكر الدهر

وقول الوزير

يا ليلة كاد من تقاصرها   يعثر فيها العشاء بالسحر

وقول اخر

سالت الليل اذ ولى هزيعا   وقد بات الحبيب على اقتراحي
فقال الكواكب غادرت وسادي   مخافة ان تدل على الصباح

ومن احسن ما قيل في طول الليل قول ابن الاحنف

ايها الراقدون حولي اعينوني   على الليل وانكروا الاشتداد
حدثوني على النهار حديثا   او صفوه فقد نسيت النهارا

وقول الآخر

عهدي بنا ورداء الليل يشملنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم ... ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال ابن الهبارية

لقد ساهرتني جفون الدجى ... وقد نمن عني جفون الملح
إذا ما شكى الليل هجر الصباح ... شكوت إلى الشمس هجر الصباح

وقال ابن الأحنف

لي سكن شطت به غربة ... جادت لها عيني بالمزن
ما أحسن الهجر ولا داني ... بيانه مذ بان في الظعن
كأنما الصبح لنا بعده ... قد لبست من الحزن

ومما حسن قول القاضي الفاضل

بتنا على حال بسر الهوى ... وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له ... إن غبت عنا هجم الصبح

وقول ابن ياقوت

كأن الثريا راحة تشبر الدجى ... لتعلم طال الليل لي أم تعرضا
فليلي أراه بين شرق ومغرب ... يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

أخذه الشيخ صدر الدين ابن الوكيل فقال

بكف الثريا وهي جذماء ما نقصا ... شقاق دجى ملتف من الزرق والغرب
ولو نوعوها بالذراع لما انتقت ... فما ينقضي ذا الليل أو ينقضي نحبي

وقد أحسن الأرجاني في الاعتذار عن طول الليلة فقال

لا أدعي جور الزمان ولا أرى ... ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصباح بنفث الهم ... أصدأ وجهها المصقولا

وقول مغربي القفصي

وليل يقول الناس من ظلماته ... سواء صحيحات العيون وعورها
كأن لنا منه بيوتا حصينة ... مسوح أعاليها وساج ستورها

وقال آخر

ولي ليلة لم أدر ما سنة الكرى ... كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

وقلت أنا

مذ غبت عني شمس الدين ما اكتحلت ... عيني بغير دموع السهد والسهر

كربت

كربت أرعى نجوم الليل إذ رقني ... يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

قال التراثي فما أكثر الشعراء فهم من الليل أفزع وإلى النهار أنزع لأن الليل أجمع لشتات الهموم والفكر وأجلب لسواد الأحزان والذكر

وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علي بأنواع الهموم ليبتلي

وقال قيس بن ذريح

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزتني إليك المضاجع

وقال ابن المعتز

لا تلق إلا بليل من تواصله ... فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره ... لاقى الأحبة والواشون رقاد

قال المتنبي

كم زورة لك في الأعراب خافية ... أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت من شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة واحذه بعضهم فقال

أبكي أمل النهار إذا أضاء صباحه ... وأظل أنتظر الظلام الدامسا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا ... والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقد أحسن في أخذه فإن فيه أيضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن جني عن قول المتنبي المذكور إنه مأخوذ من قول ابن المعتز فالشمس نمامة والليل قواد قال الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس قال لي شيخنا تقي الدين ابن دقيق العيد قل لهؤلاء علماء المعاني والبيان والبديع يحسنون أن يقولوا مثل قول المتنبي أزورهم وسواد الليل البيت فإذا قالوا لا قل لهم فأي فائدة فيما تصنعونه يريد بذلك أن العمل غير العلم والبائن دون الوصف ومثل قوله ما حكي أن بعض الوعاظ كان يعظ من يتكلم في المحبة وأمور العشق وأحواله ويمد الأطناب في ذلك فقام إليه فتى فقال

بعيشك هل ضممت إليك ليلى ... قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل رق عليك فروع ليلى … نعيف الأقحوانة في نداها
فقال الوعظ لا والله فقال له فانشد فلك ومن احسن ما
سمعته في الاعتراض على بيت المتنبي المذكور ما حكى عن العميد بن عباد
انه جلس يوما مع جلسائه فقال ما اقصر في المقابلة انظروا كيف طابق كل
لفظة بضدها الا ان فيه نقدا خفي فانكروا بيته فجعل ينكروا فقالوا ما
وقفنا على شيء فقال الليل لا يطابق بالنهار لان الليل كلي والصبح جزئي
فتعجب الحاضرون واثنوا على تدقيق انتقاده وقال المتنبي ايضا

وكم لظلام الليل عندك من يد … تخبر ان المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسري اليهم … وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله في النور والشر كله في الظلام فكذبهم
بان وجد الخير في الظلام حيث ستره عن اعدايه ووقاه شرهم فكان
عونا على زيارة من يحبه **فقال ابن الوكيل**

ايها الليل طل بغير جناح … ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه … غيب الوالوجوه الصباح

حكى الاصمعي قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل
ابو نواس فقال له ما احدثت بعدنا يا ابا نواس فقال يا امير المؤمنين ولو
في الخمر فقال قاتلك الله ولو في الخمر فانشده **شعر**

يا شقيق الروح من جسدي … اهوى بي منك ام لمم

الابيات حتى اتى على اخرها فقال احسنت والله يا غلام اعطه عشرة الاف
درهم وعشر خلع فاخذها وخرج … عن ابن المطرزي الشاعر انه
زرف بجليه نعل له باليه وهي تثير الغبار فراه الشريف المرتضى
فامر باحضاره وقال له انشدني ابياتك التي تقول **فيها**

اذا لم تبلغني اليكم ركايبي … فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت اشار الشريف الى نعله البالية
وقال اهذه كانت ركايبك فاطرق المطرزي ساعة ثم قال لما عادت
هبات سيدنا الشريف ابده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق عادت ركايبي
الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبله فاستحيا الشريف منه
وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرزي هذه

من

احسن من قول الشريف **قال** ابو العز المظفر الاعمى دخلت على الملك
فقال لي اجز هذا النصف

قد بلغ العشق منتهاه **فقلت**
وما درى العاشقون ما هو **فقال**
وانما عزهم دخولي **قلت**
فيه فهاموا به وتاهوا **فقال**
ولي حبيب يرى هواني **فقال ثم قلت**
وما تغيرت عن هواه **فقال**
رياضة النفس في احتمالي **فقلت**
وروضة الحسن في حلاه **فقال**
اسمر لدن القوام المى **فقلت**
يعشقه كل من يراه **فقال**
ريقته كلها مدام **فقلت**
ختامها المسك من لماه **فقال**
ليلته كلها رقاد **فقلت**
وليلتي كلها انتباه **ثم**

ان مظفر الدين كلها مدحا في السلطان الملك الكامل

الباب الثاني عشر في قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول

اقول هذا باب عقدناه لذكر من اكثر القيل والقال من العذال
واستخف بما للجنة عند عدله نقد البال وكيف لا وهو لكثرة
فضوله وقلة محصوله يدخل بين الروح والجسد والوالد والولد
طالما اصلح بين المحبين فتاتين متعاتبين لا يفتح له باب ولا يرد
عليه جواب واعجب من ذلك من لا يجيبه واغيظ من عاذل من لا يبالي

وما اليه حلفي في الهوى غير انني … يعنيني الجاهل المتغافل

فلذا استراح واراح وصان عرضه المباح فقد اكثرت الشعراء في الرد عليه
واعتذرت المحبوب اليه **كما قال**

يا عاذلي في هواه اذا بدا كيف اسلوا … يمر بي كل وقت وكلما مر يحلوا

وكان يقال ليس من العدل سرعة العذل وكان يقال رب ملوم
لا ذنب له وكان يقال لعل لها عذرا وانت تلوم فكم عاذل زاد المحب بعذله

الحاجة وجفونها اكثر من الحاجة

لا تنكر حر جوى بلوم   انه كالريح تغري النار بالاحراق

وقال آخر

وما عذولي ناهيا عنكم لكنه بالصبر امرا   قال اسلهم ان لم تطق هجرهم قلت له النار ولا العار

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يا من اذا نابت الابصار رسولها   بحسنه فوق حد به قد رجحت

بذ بيت العذل بن نجا الذي   قلت عذل الحبيب فيك لا ارجحت

وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني

اشرك في اللوم ولم ينتصح   ووزرت في لومك باز العذول

قد رضيت نفسي بمحبوبها   وانما المولى كثير الفضول

وقال دالرة احسن ما شاء

ولي على عاذلي حقوق   يشكوي عليه ببعضها يجب

لام فلما رآه هام به   نكث في عشقه انا السبب

وقال آخر

تمنيتني تدفعني اللاحي وجا يلومني   وزخرف لي زور الكلام بمينه

وقال اسل عن هذا وحد عن غرامه   فقلت له هذا الفضول بعينه

حكي عن ابن وكيع انه كان يهوى غلاما فضرب ابا تجبس غلامه
بعض اصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق ان الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن
وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا ما لمتك ولم يعلم انه محبوبه الذي
لامه فيه فقال ابن وكيع في الحال

ابصره عاذلي عليه ولم يكن قبلها رآه

فقال لي لو عشقت هذا ما لامك الناس في هواه

قل للذي من هداك عنه فليس اهل الهوى سواه

فظل من حيث ليس يدري يامر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ حماه

زعموا انني هويت سواكم   كذبوا ما عرفت الا هواكم

قد علمتم بصدقه رسل دمعي   فلوه ان كان قلبي سلاكم

قال لي عاذلي حسبه سعى الرشد   وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال

ان قوما يلحون في حب سعدى   لا يكادون يفقهون حديثا

سمعوا وصفها فلاموا عليها   اخذوا الطيب واعطوا خبيثا

وقال ايضا

من منصفي من عاذل جاهل   يجور باللوم لمن لا يجور

ان قلت ما تضحك الا الدمى   قال وما تعشق الا الجفون

وقال محمد بن شرف القيرواني

قل للعذول لو اطلعت على الذي   عاينته لعذرتني ما تعنيني

اتصد عن ام للغرام تزيدني   وتلوم موقفي في الحب ام تغريني

دعني فلست معاقبا بجنايتي   اذ ليس دينك في المحبة ديني

وما احسن قول الآخر

يقول لي العاذل في لومه   وقوله زور وبهتان

ما وجه من احببته قبلة   قلت ولا قولك قرآن

وقال آخر

لقد راعني بدر الدجى بصدوده   ووكل اجفاني برعي كواكبه

فيا عاذلي دعني عناه يعودلي   ويا مهجتي صبرا على ما كواك به

وقال غيره

قال العواذل ما الذي استحسنته   منه وما يسبيك قلت جميعه

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يا خبير العاذل الذي قد   اطال في العذل واستطالا

عذبني ثم قال تسلو عن   حب ما قلت لا ولا لا

وقال ايضا

ايها العاذل الغبي تامل   من غدا في صفاته القلب ذائب

وتعجب لطرفه وجبين   ان في الليل والنهار عجائب

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

كم على عاذلي وكم لحبيبي ذا تكبره وذا تذلله

يا ثقاتي واين مني ثقاتي اين من يبتغي الى الوسيله

انا ميت فقبلوني الى حبيبي وخفه نقبله

وقال النور الاسعردي

اقول للعاذل لما نهاني   وقد وجد الغاية الجمله

علمت بانه سر التجني وانك ... انه خلوا المعاني اللسانى

فقال ابو الفتح فادوس في الاكتفا

من عاذري في عاذل يلوم في حبي رشا
اذا طلبت وصله قال كفى بالدمع شاهد

ومثله قول شيخ الشيوخ بحماه

رامو افطامي من هوى عذبته طفلا وكهلا
فوضعت في حبي يدي وقلت خلوني والا

ومثله قول الوداعي

يا لائمي في هواها افرطت باللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا ولا الصبابة الا

وما احسن قول ابن سنا الملك في هذا المعنى

اهوى الغزالة والغزال وربما نهنهت نفسي عفة وتدينا
ولقد كففت عنانه عيني جاهدا حتى اذا اعييت اطلقت العنانا

وقوله ايضا

دنوت وقد ابدى الكرى منه ما ابدى فقبلته في الخد تسعين واحدا

وقوله ايضا

وظبي حكى دير الثلاثي نفاره ... فما باله لم يحكه في التلطف
بدا غنيي عن وصله بنجهم ... فيا ليته لو كان يدفع بالتي

فقال شيخ الشيوخ بحماه

اعتب العشاق صبرا انني ... لم ابع في حبه رشدي بغي
قلت قد امنيت جسمي قال قد ... فلكي تذهب روحي قال كي

وقال ايضا

البكم هجرتي فصدني فبكم الموت والحيوة
امنت ان توحشوا فوادي فانسوا مقلتي ولا تسوا

وقال ابن المعتز

زاحم كمي كمه فالتويا ... واقترب قلبي قلبه فاستويا
وطال ما ذاقا الهوى فاكتويا ... يا فترة العين ويا همي ويا

وقال ابن مطروح

والله لا احفظ السلو بمهجتي ... ما دمت في قيد الحيوة ولا اذا

لما نطق العذال ... في الحال وقالوا لوم هذا عنت
ما عتب الا انا نعذله ... من يسمع من يعقل من يلتفت

فقال الاخر

فقالوا اسله واطرح هواه ... فقد بدا كذبه وافكه
فقلت بالله لا تطيلوا ... فالله والله ما اتركه

وما احسن قول شهاب الدين ابن الحيمي

ومعذول ابى في نصحه كلما ... ذدت ابا زاد لجاجا
ما عذولي قط الا عاشق ... ستر الغيرة بالعذل ودجا

فقال آخر

لو راى وجه حبيبي عاذلي ... لتفارقنا على وجه جميل

انشدني الشيخ برهان الدين بن القيراطي لنفسه

ذهب العمر بلوم وصدود من غزال
في سبيل الحب عمر ضاع في عذل فقال

فقال الشيخ ابرهيم الشيخ ابرهيم المعمار

لو راى حسن وجهه عاذلي في التبسم
نقد روحه كاملا في نقود دراهم

فقال ايضا

لج العذول ولامني فيمن احب وعنفا
فهممت لطم راسه لما طلبت تأسفا
لكنها لفت يدي وقفت على اصل القفا

وما الطف قول النور الاسعردي

وقالوا دع المعشوق والهجر دائما ... الى الرشد بعد اللجة تنثني
ابتنف من احلى ويتعب دائما ... واهجره بالله ما انا منصف

قال محي الدين البغدادي

ان لامني من لا راه فقد ... جار على الغائب بالحكم
وان لحاني من راه فقد ... اضله الله على علم

فقال البهاء زهير

انت الحبيب الاول ... ولك الهوى المستقبل

[illegible]

القلب فيك معذب — والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدود — نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى — لكنني اتعلل
قل للعذول لقد ملك — لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي — وعذلت من لا يقبل

وقال غضب العذول اخف — من غضب الحبيب واسهل

ابو العتاهية لقيت ابا نواس في المسجد الجامع فعذلته وقلت له اما آن للشان ان يرعوي دون ان يرجع فرفع راسه الي وقال

اتراني يا عتاهي — تاركا تلك الملاهي
اتراني مفسدا بالنسك — عند القوم جاهي

فلما الححت عليه في العذل انشا **يقول**

لا ترجع الانفس عن غيها — ما لم يكن منها لها زاجر

فوددت اني قلت هذا البيت بكل شي قلته وقال جوابه النواسي

اضحى لي قول العذول مجلي — مسمعها عنه بغير ملال
لتلظي نيران ندم مضرم — من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق والمحب الموفق الاثر كيف اصغى الى عذل العاذل الصانع وجنى من عذله جنى النحل من رحيق القابع فهو في هذا المقام في الثبات كما قال ابو الشيص من ابيات

اجد الملامة في هواك لذيذة — حبا لذكرك فليلمني اللوم

ابن الرشيق وقد زاد على ابي الشيص في قوله هذا ابن حجاب الخزاعي حيث يقول

هددت بالسلطان فيك وانما — اخشى صدودك لا من السلطان
اهوى الملامة فيك حتى لو درى — اخذ الرشا منه الذي لحاني
حتى يقول الناس بعد منيتي — هذا قتيل في وداد فلان
فلا نفق عليك عمري كله — ولا عشقت عليك كل هوان

قلت والذي اقول انا في هذا المقام ان صاحب هذا الكلام عن عين العذل تجرد وقديم كونه بالملام الاثر كيف بالغ حتى جعل للعذول جعالة حتى حالته هذه كما قيل صنعت على البلا فهو كما قال بعض السادات من اهل الولايات لو تعلم العوام ما في قلوبنا من حلاوة العشق لضربونا بالجنابات ومثل قوله هددت بالسلطان

مثل قوله هددت بالسلطان وقول الاخر

وان تذكرت فيك العشيرة قلتني — فللموت عندي في هواك سلام

ومن عجب الاشيا خوفي من العدا — ولي كل يوم في خيالك حمام

وقلت انا

وعاذل بالغ في عذله — وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي — قلت ولا بالشيب والوالي

وقلت

عذلوا على من رام قتلي في الهوى — فكلامهم ضرب من الهذيان
جهلوا وما علموا بان الطعن — في المحبوب عين الطعن في المبان

وقلت

كم خالف العذال قولي — في الذي في كل يوم حسنه يزداد
ان قلت امسى في الملاحة مفردا — قالوا انثنى عطفه المياد

وقلت

يا عاذلي لا تلحني في حب هذا القبطي
واقطع بوصل بيننا بالله راس الشط

وقلت

مليح الترك لا سيما الخطائي — عليه الشيخ بعد ري في التصابي
فدعني من ملامك يا عذولي — فحبي للخطا عين الصواب

وقلت مضمنا اسمها حكم الهوى

حكم الهوى صدقت فيك لاجل — ذا ولهانه من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلي لا تلحني في حبها فقد — القضاء وهكذا حكم الهوى

وقلت مضمنا

اقول لصب قلبه يشتكي الاسى — هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
كذلك في ابن السكري والذي ارى — محا العين فاختر لنفسك ما يحلو

وقلت من قصيدة

وانت مبلي للعذول وقد — قرايت مبلي للقوام رجيحا
يا عاذلي لا صالحتك يد النوى — حتى توسد في التراب صفيحا
ولقد نصحت بني الصبابة في الهوى — لكنهم لا يقبلون نصيحا

وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان

فيا من جاء يعذل مستهاما — على حلو الشمايل ما امرك

وقلت ايضا من قصيدة امدحه بها خلد الله ملكه مطلعها

لك من حبيبك ما تحب وتشتهي   فاجعل مدامك من مُقبله الشهي
واذا بدالك ثغره مُتبسّماً   فاضحك على دمن العذول وقهقه

وقلت ايضا من قصيده ارسلتها الى مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي بالشام

يا شاكي السيف في حبكم   سكن وانتم في سويدا القلب سكان
دعي تزيدكا ناس لبعدكم   والعاذلون على نور آشيران

منها

قد كان ما كان من هجر اذ رفنا   وقد وفى الان فالعذال لا كانوا
انا الذي لا ابالي في الغرام بما يروه   فلان ولا ما اقال فلان

ومنها

برهنت حسن الذي اهوى وقلت له   ما للعذول على ما قال برهان
ما الامني مذ راني في الهوى رجبا   بمرج شعبان فيما دمت شعبان

تنبيه كانت اسماء الشهور عند العرب غير هذه الاسماء المستعملة الان
لانهم كانوا يسمون رجبا الاصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر
معنى قولي في البيت الاخير على ان الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا
ومن احسن ما سمعت فيه

وشادن منتهم عن حب   مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه وما   درى شعبان انى رجب

وقلت انا ايضا

يسطو على من الدلال كانه غازانه   اذ يسطو على جوبانه
ان ردني عنه وقيب قوامه   فانا الفتيل بنيه وبيانه
اني وحقك في هواه متيم   صبٌّ فذا رجبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل هو مثل من امثال العرب يضرب في الامر
الذي لا يقدر على رده واصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة ابن اد خرجا
في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ابوه ضبة اذا راى
رجلا مقبلا قال اسعد ام سعيد ثم انه في بعض مسيره اتى الى مكان ومعه
الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت هنهنا فتى هيئته كذا وكذا
واخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث ذو شجون
ثم ضربه به فقتله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه

ومن احسن ما سمعته فيه **قول** التراج الوادي

قل اذ جرت لحظا خدي بدمي الاجل
يا عذولي كف عني سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام   ذكرت قول ابي نواس في المدام
دع عنك لومي فان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

المفضل الضبي دخل على الرشيد يوما فقال لي دلني على بيت
او لم اكن ابن صيفي في اصالة الراي وجودة الموعظة واخره ابقراط في معرفة
الداء والدواء فقلت يا امير المؤمنين لقد هونت على فقال هو قول ابي نواس دع عنك
لومي البيت قلت ويحكى لهذا البيت ايضا حكاية لطيفة حكاها الحريري في
درة الغواص عن حامد بن العباس انه سال على بن عيسى في ديوان الوزارة
عن دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه وقال ما انا وهذه المسئلة فخجل
حامد منه ثم التفت الى قاضي القضاة ابي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضي
لاصلاح صوته قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحي اهلها
والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال وكاس شربت على
لذة واخرى تداويت منها بها **ثم تلاه** ابو نواس

دع عنك لومي فان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما ضرك يا بارد لو تجيب ببعض
ما اجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى
اولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثانيا وبين الفتيا وادى المعنى
وتبرأ من العهدة فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام اكثر من خجل
حامد منه لما ابتداه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

اكالذي جعل الهموم عقاربا   جعل المدام حبيبة درياقها
ومعنف في الخمر لو قد ذاقها   ما لامني لكنه ماذا فيها
لم يصب الترياق الا عندما   فطع الطريق على المدام وشانها
فالا طوح صفراء يطفي جمرها   لهب القلوب اذا شكت حراقها
فاجنه ذقتها وخذ من بعدها   في طرق لومك ان اردت فراقها

الشيخ الشيوخ بحماه حيث **قال**

اعاذلي ليس مثلي من يفنده   وليس مثلك ملوما على عذلي

ما دمت خلوا فانتقك منهما   اعشق وقولك مقبول على وقل

لو شلم الورق جنحي عن كم   لمزت من طرب اطواقها
ولو يذوق عاذل صبابتي   صابها لكنه ما ذاقها

حكى ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لتامه لم ربعيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد احواله فلما دخل القاضي الفاضل الى دار العماد وجد ابيات انكرها في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيبه من رائحه خمر وآلات طرب فانشده

ما انا صحبتك خبايا الود من رجل   ما لي بذلك بكرته من العذل
محبتي فيك تابى ان تشا محبتي   بان اراك على شي من الزلل

الباب الثالث عشر في الاشارة الى الوصل والزيارة والورد

هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور وما قيل فيهما من منظوم ومنثور وغير ذلك من عيادة الحبيب وما يبذله عليه من دوابح الطب كما قيل

ولو انّ ركبا يمموك لقادهم   نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما اهدى الحبيب بزيارته سرورا واسمى له الفضل بزيارة وزود

كما قيل ان زارني فبفضله او زرته فلفضله فالفضل في الحالين له فالزيارة من الحبيب لاعند ولو الحق فيها الوابل بالطل ومن احسن ما قيل في زيارة الحبيب وعوده عن قريب قول العكوكي يا بابي من زارني مكتتما خائفا من كل شي جزعا زائرا نم عليه حسنه كيف يخفي الليل بدرا طلعا رصد الغفلة حتى امكنت ورعى السامر حتى هجعا ركب الاهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعا

زارني والدجى احم الحواشي   والثريا في الغرب كالعنقود
وكان الهلال طوق عروس   بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدتنا الليالي   طول الله فيك غيظ الحسود

وقال آخر زار من على غفلة الرقيب   كطيبة روعت بذيب
وكان وقت الوصال منها   اقصر من جلسة الخطيب

قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاي في كتابه الواضح المبين انشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلي لنفسه زاعما انها اصدق كلمة قالها الاواخر

يقولون بالله ما انت قل   اذا زارك المحبوب قل ما ابكم

وقال يعقوب الباني

قلت اذ زار من احب وجنح   الليل روض ابدا النجوم ربيها زا
ملك زاره ملك الحسن   فزاد على الوجود امتدادا
فافرشوا الورد اطلسا حين   يمشي واجعلوا عسجدا لكوس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد   نم برمي الى العيون مرارا
واحجبوا ابيض الصباح وقولوا   لنجاشي الظلام كن برد دارا

وعلى ذكر البرددار ما احسن قول الاخر يعوب

يا ليل لك الثنا والمدح يليق   اذ انت لاهل العشق خل وصديق
ان انت جعلت برددار الهم   لا نعطه عليهم فقط للقبيح طريق

وقال ابن النبيه

قلت لليل اذ حباني حبيب   بعنا آيتي النهي وعقارا
انت يا ليل حاجبي فامنع الصبح   وكن انت يا دجا برددارا

وما احسن قول شمس الدين محمد بن العفيف

مليح كالبدر زاد بليل   فجلا حسنه الدجى انجلاء
ما درى منزلي ولكن قلبي   المحب هداه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكي محل   النزاع كيف استدلا

وقال الاخر

يا حبيبي وانت ما زلت بالوصل منعما
زرتني بعض ليلة بت فيها مهوما
حين ولت عاينا اقل البدر في السما
ليت شعري من الذي من اخيه تعلما

وقال بشار

يا اطيب الناس ريقا غير مختبر   الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة   ثني ولا تجعلها بيضة الديك

قيل ان الديك يبيض في العمر مرة ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعي وانا مؤرخ في تاريخ ١٢٦٥ شاهدت ذلك وسمعت من الافواه بمثله ورايت على الدنف في تاريخه في سنة ست وتسعين وسماه باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن ذلك فاخبروني به كذلك واخبرني الان بعض الصوفية المقيمين عندي بالصهيج انه باض عنده ديك بيضة صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاج ثم اقام بعد ذلك سبعة ايام ومات رجع الى الزيارة

ونقل ابا

لي حبيب لحبيب موافٍ … كل يوم يأتي إليه مرارا
فلك زرتني فقال حبيبي … شغل الحلي أهله أن يعارا

وقلت ايضا من قصيد

زار الحبيب فعجّل الوعد مجدًّا له … فاسفر حين تثنى قده الباني
قد كان ما كان من هجرانه زمنا … وقد وفى الآن فالعذال الا لاني
ما ضرني ضيق عيشي حين واصلني … سم الخياط مع المحبوب ميدان

فصل في نم الطيب على الحبيب فمن ذلك قول ابن مكرم

اهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة … تحت الظلام ولم تخش من العسس
سرت بالدجى عمدا فما استترت … وثاب أنفاسها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لأظهرها … برق الثنايا وعطر النحر والنفس

أخذه المعتمد بن عباد فقال وأحسن ما شاء

ثلاثة منعتها عن زيارتنا … خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما … تحوي معاطفها من عنبر عبق

وقال

يوم يقول الرسول قد أذنت … فأت على غير رقبة ولجي
أقبلت أهوى إلى رحالهم … أهدى إليها بريحها الأرج

وقيل ويدل بالطيب على الملوكية في المواطن التي تكون الناس بها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج وقالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه ابن النبيه

ان جاء من يبغي لهم منزلا … فقالوا يمشي فيستنشق

وقال محمد بن عبد الله النميري في زينب أخت الحجاج من قصيد

تضوّع مسكا بطن نعمان إذ مشت … به زينب في نسوة خفرات
لها أرج من جمر الهند ساطع … تطلّع رياه من الكفرات
تهادين ما بين المحصب من منى … وأقبلن لا شعثا ولا غبرات

منها

ولما رأت ركب النميري أعرضت … وكن من أن يلقينه حذرات

ولهذا حكاية لطيفة اتفقت للقائله مع الحجاج وهي مشهورة بين أهل الأدب أضربت عن اثباتها خوف الإطالة. **وقال** الطغرائي

سرينا في ظلام الليل معتسفا … فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل

وقال آخر

وليس

وليس ينم المسك ما يجدونه … ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائحا … لوجدته منهم على أميال

وقال ابن الرومي أعقبته من طيب ذكراه نفحة كادت تكون المسموعا وقال المتنبي ويفوح من طيب الثناء روائح لهم بكل مكانة تستنشق

فصل من أحسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي

جنبيني ليلة أني مرضت فقالت … أضنى طارفا شكى أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادي … فأبت وهي تشتهي أن تعودا
وأتتني في خفية وهي تشكو … ألم الشوق والمزار البعيدا
ولمّا أن كذا فلم تملك … أن أمالت على عطفا وجيدا

انشدني لنفسه الشيخ جمال الدين ابن نباتة

وملول في الحب لما أن رأت … أثر السقام بعظمي المتهاضِ
قالت تغيّرنا فقلت لها نعم … أنا بالسقام وأنت بالإعراض

وما أحسن قول التلمساني

ما أنا الذي أمنيته وهجرته … فهل صلة أو عائد منك للذي

وقول الآخر

لا تهجروا من لا تعود هجركم … فهو الذي بلبانه ومكروه غذي
وذهتم مقداره بالابتداء … حاشاكم أن تقطعوا صلة الذي

ومن عظيم ما يحكى عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أن شرف الدين ابن عنين كتب إليه وهو ضعيف

أنظر إليّ بعين مولى لم يزل … يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه … فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فحضر إليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال أنت الذي وهذه صلتك وأنا العائد **قلت** فقد استخدم ابن عنين الصلة والموصول وأجاد وقابله الملك المعظم في السبق إليهم فقصوه معاملة الجواد ولو وقع هذا من مثل سيبويه لكان أدل دليل على فضله وسداد نبله فما الشأن بوقوعه من هذا الملك المعظم شأنه العظيم سلطانه فكم أقر لابن عنين عينا ودفاعنه دينا فنال به السول وطوب من الصلة والعائد بين الموصول لا جرم أنه ملا بمدائحه دواوينه وقلائده من قضاء دينه

كريم الثنا عار من العار باسل ... جميل المحيا كامل الحسن والحسنا

لعمرك ما ابيات عيسى خفية ... هي الشمس لا يخفى سناها ولا الدنا

ولي انا من قصيد في هذا الوزن امدح بها مولانا السلطان مخلصها

نظاما لعقد الدر ان لم يحكي قوامه ... فقلت لها والله قد جئت لمعناه

ولكن بدر التم في الحجر قصرا ... عن الناصر السلطان في الحسن والحنا

ومن ظريف ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر في وقت من اوقاته مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لابد ان تهجوني فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لابد من ذلك والح عليهم فقال ابن عنين

فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذكرنا لامير ... قط الا واشتهى ان لا يرانا

فقال له السلطان صدقت ... شعرنا مثل الخرا قال السلطان صدقت

ابن عنين ذق الخرا فقال السلطان لا والله فخجل منه فقال صفح الله عن اصل الحانا رجع الكلام الى العيادة ما احسن قول السراج الوراق

قال صديقي ولم يعدني وعارض السقم في ثالث

لقد تغيرت يا صديقي ويعلم الله من تغير ومن قوله ايضا

مرضت لله قوم ما فيهم من جفاني

عادوا وعادوا على اختلاف المعاني

ولهذا البيت اشباه ومعان ذكرتها في كتابي الطارئ على السكردان منها ما حكي عن القاضي ابن بكر ابن العربي وقد وقف على حلقته وهو يشتغل في العلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب فهز الرمح وقال الساعة اصيبك به فانشد القاضي ابو بكر لنفسه في الحال ارتجالا

يهددني بالرمح ظبي مهفهف ... لعوب بالباب البرية عابث

فلو كان رمحا واحدا لاتقيته ... ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سالت جماعة من اهل العلم والادب عن استخراج الثالث من هذا البيت فلم يجب احد منهم بطائل وقال ابن النقيب

سمعت بما تشكو وما انت واحد ... فقلت دموع العين في الخد تشهد

وارسلت خطي في العيادة نائبا ... وما كل خط للعيادة يصلح

فقال المعتمد عادت مرضت فاسلك الزيارة عامدا وما منعني انني اسكنها لا ولا هجر ولكني اشفقت من ان ازدركم فابصر اثار الكسوف على البدر وقال الشهاب محمود في القول بالموجب

وانني وقد نال مني النحول وفاضت ... دموعي على الخد فيضا

فقالت بعيني هذا السقام ... فقلت صدقت وبالخصر ايضا

واورد في كتابه حسن التوسل قول الارجاني

غالطتني اذ كست جسمي الضنى كسوة اعرت من اللحم العظاما

ثم قالت انت عندي في الهوى مثل عيني صدقت لكن سقاما

فقلت انا حين وقفت على قول الارجاني هذا بديها

شكوت الى الحبيب سوء حظي ... وما قد سبت من الم البعاد

فقالت انت حظك مثل عيني ... فقلت نعم ولكن في السواد

وما احسن قول محاسن الشواء

ولما اتاني العاذلون عدمتهم ... وما فيهم الا للحمي قارض

وقد بهتوا لما راوني شاحبا ... وقالوا به عين فقلت وعارض

وقال ابن النقيب

وما بي سوى عين نظرت لحسنها ... وذاك لجهلي بالعيون وغرتي

وقالوا به في الحب عين ونظرة ... لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

والاصل في هذا كله قول الاول

وجاءوا اليه بالتعاويذ والرقى ... وصبوا عليه الماء من الم النكس

وقالوا به من اعين الجن نظرة ... ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

وما احسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني في مليح بعمل الكحل

اسم حبيبي وما يعاني قد شغل خاطري وقلبي

قالوا علي فقلت قلنا قالوا اكواي فقلت قلبي

ويقول الشيخ صدر الدين ابن الوكيل

ورب من شاقنا قلبا ولان معاطفا ... اذا قلت ادنى لي تضاعف بعده

اقربوا فاذا قلت انا الرمد ... فالها ايضا ولكن لتهديدي

وقال السراج الوراق

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي ... لهموم نفس لست لا احملها

قد كان عندك يا فلان ضرير ... فاجبتهم بعض الحمار وبعضها

الباب الرابع عشر في الرقيب والنمام والواشي اكثر الكلام اقول

هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب على العين كثر الذي يرى المحب بعين المقت

في كل وقت ويرميه في الحضرة والمغيب بكل سهم مصيب فكم ترك
المحب معنّى وافرده بنحو يجب وما استغنى فهو كالصبح فاطلع اللذات تعجب
الحركات قبيح المنظر اسى المخبر كثير اللجاج حجر في دكان زجاج فهو والنمام في الاذى فرسا رهان
وضبعا البان ومن ابلغ ما سمعته في الرقيب

انا والحب ما خلونا ولا طرفة عين الا علينا رقيب
ما خلونا بحيث لو يبكي الدهر ما بي اقول انت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت ان الحب داوي فقال كم الطبيب

وقول ابن المعتز

والبلا في محضر ومغيب   من حبيب مني بعيد قريب
لم يرد ماء وجهه العين الا   شرقت قبل ريها برقيب

وقال ايضا

فدت الشمس للمغيب   وحان شوقي الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم   بحبيب بلا رقيب

قيل لبعض العرب ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب
قال الصاحب ابن عباد قال لي ان رقيبي سيء الخلق فداره
قلت دعه وجهك الجنة حفت بالمكاره

قال الحسين بن وفا

لسهم الحب جرح في فؤادي   وذاك الجرح من عين الرقيب
يكل ناظريه بنا ويخلي   مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا   لصب على محب او حبيب

وقال آخر

بعينك من كنت مداما   آذى من غفلة الرقيب
كانها اذ صفت ورقت   شكوى محب الى حبيب

لاحظته فتنبها   وخلى المكان فسلما
ويح الرقيب فقلت   لا سلم الرقيب من العما

وقال الصفي الحلي

ومليح له رقيب قبيح   بتقنا معبره بينهنا
ليس فيه معنى يقال   ولكن هو عند النحاة جاء لمعنى

وقال آخر

قالت صفا الوقت ولكن الرقيب كالقذى
قلت اذا غاب الرقيب ازرتني قالت اذا

وقال آخر

احب العذول لتكراره   حديث الحبيب على مسمعي
واهوى الرقيب لان الرقيب   يكون اذا كان حبي معي

وقال ابو جعفر احمد بن الآبار

زارني خيفة الرقيب مريبا   يتشكى القضيب منه الكثيبا
قال لي ما ترى الرقيب مطلا   قلت دره ان الحباب الوجيبا
عاطه اكؤس المدام دراكا   وادرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفا   واجعل النقل الكاس منك شنيبا
ثم لما ان نام من سقيه وثنى   الكرى عطفه مجيبا
قال لا بد ان ندب عليه قلت   ابغي رشا واخذ ذنيبا
قال فابدأ بنا وثب عليه   قلت كلا لقد دهته فريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا   ودببنا على الرقيب دبيبا
فهل ابصرت او سمعت بصب   نال محبوبه وناك الرقيبا

قال ابن بسام لقد ظرف ابن الآبار واشهر ما شاء وتندر واطنب
لو قدر على ابليس الذي تولى لهذا المذهب لدب عليه وابن المعتز كنى
ولم يصرح حيث قال

فكان ما كان مما لست اذكره   فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وقال ابو نواس

اذا هجع النيام فخل عني   وعني كان يصلح للدبيب
الذ العيش ما كان اغتصابا   بمنع الحب او سنع الرقيب

وقال ابو الوليد محمد بن حيان الحنفي

نشر النسيم بعرفكم يتعرف   ولنحو الغرام بحبكم يتشرف
شرق النسيم في هواكم انه طورا   ينوح وتارة يتلهف
صبا اذا كتم الشوق دموعه   كنت مخاوف الدموع الذرف
لطف معانيه فهب مع الصبا   فرقيبه بهبوبه لا يعرف
واذا الرقيب درى به فلانه   اخفى عليه من النسيم والطف

كانه بعدوا النسيم دياركم ولعلي تلك الديار نوقف

قال عروة بن عبد الله كان عروة ابن اذينة الليثي نازلا في دار ابي العتيق فسمعته ينشد لنفسه

ان التي زعمت فوادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير الى الفواد فسلها
بيضا باكرها النعيم فصاغها بلباقة فادقها واجلها
لما عرضت مسلما لي حاجة اخشى صعوبتها وارجوا ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان اكثرها لنا واقلها
فدنا وقال لعلها معذورة في بعض رقبتها فقلت لعلها

فاتاني ابو السائب المخزومي فقلت له بعد الترحيب والبر الك حاجة قال نعم ابيات لعروة بلغني انك سمعته ينشدها فانشدته الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدائم العشابة الصادق لا الذي يقول

ان كان اهلك يمنعوك رغبة عني فاهلي بي اضن وارغب

لقد عدا الاعرابي طوره واني لارجوا ان يغفر الله لصاحب هذه الابيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف وقال ابن قلاقس

وابلاء من محذرة دونها سور وحراس
واسود خاف سطوتها كلما جاءته خان
ودمثله وبلطفها لغنى وهو عنران

وقال ابن الرشيق

تا اذا المجلس من احب وقال لي اخاف من الجلاس ان يفطنوا بنا
فقال اذا كونت لحظك دونهم على ما تجنى والدمع بيننا
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

وقال آخر

ورقيب عدمته من رقيب اسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل في ظلام وعندي هو كالصبح قاطع اللذات

سالت وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطي هل تحفظ شيا مليحا في هجو الرقيب فاملى لحظة وانشدني لنفسه

فقلت

صدقكم في الرقيب شيء مليح قلت ما في الرقيب شيء مليح

وقلت انا من قصيدة

مذ بنت قد غاب الرقيب فمن لي وقل في مقبل عنه متغيب
رقيب نحي عن ارض ليلى عشية واخرج منها خائفا يترقب

وقلت انا ايضا

عاذلي في الحبيب دعني فاني برحت بي في حبه البرحاء
رقب الله في محب حبيب من نجوم السماء له رقباء

وقلت ايضا

فيت ولي شغل من العذل شاغل بلغ الكرى عني من السهد بابل
فهل لي معين في رقيب وعاذل فيا هر في هذا وذاك يبادر

فقلت ايضا من رسالة

واما الرقيب فامره عجيب وغلق الباب في وجهه نصر من الله وفتح قريب فهو بالنهار من الذين يراوون وبالليل ابن ناعلة لا ينام ولا يخلي الناس يتامون فاذاه اذا قعد من بعيد اقرب من حبل الوريد والعاشق بينه وبين العذل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ان هذ تلك القيامة وان راح الا كبه الله عليه ملامة فصل في النمام والواشي من اظرف ما سمعت في ذلك قول بعضهم

قال لي عودي غداة رآني ما الذي تشتكي واجتهد بي
قلت مقلي فيه لسان وشاة قطعوه فيه بضيع عجيب
واصبت اليه كبد حسود فقبت فوقها عيون رقيب

وهذا ماخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذي تشتهيه فقال اعين الرقبا والسن الوشاة واكباد الحساد

عندي لكم يوم الوصال عزومة يا معشر الخلان والندماء
اشوي بها قلوب الحاسدين لها والسنة الوشاة واعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ابغضكم الي المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وآله وسلم ابغض يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى فذكر منهم رجلا ياكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة

وقال وضاح اليمن

فاعص الوشاة فانما قول الوشاة هو العنن

قال بعضهم صاحب برد فيها في تعجيل الرقيب عنهم

ان الوشاة اذا اتوك   تنصحوا دنقوك عن

حكى انه غنى مغن بحضرة السلطان عماد الدين زنكي صاحب الشام

يقول شاعر

ويلي من المعرض الغضبان اذ   نقل الواشي اليه كلاما كله زور

سلمت فازور يثني قوس حاجبه   كانني كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فامر باحضاره ليتخذه نديما وحله من حضرته مقاما عظيما

والقاك بالبشر الجميل مداهنا   فلي منك خل ما علمت مداهن

انم بما استودعته من زجاجة   يرى الشي فيها ظاهرا وهو باطن

وقال شهاب الدين الايني

انى يحبك مستهام مغرم   وسوى هواك على القلوب محرم

لا تسمعي قول الوشاة فانهم   زادوا الكلام وتقصوه وتمموا

شتان ان ترضى ولو ينجني   اي والطلاق ثلثة لي تلزم

وقال ذاتي بايمان   وقال آخر

ستحي برى الصلوات الخمس نافلة   وتستبيح دم الحجاج في الحرم

خصالك لست احسبها لكثرتها   لكنها جمعت في نون والقلم

يشير الى قوله تعالى همازٍ مشاءٍ بنميم مناعٍ للخير معتدٍ اثيم عتل بعد ذلك زنيم جاء في التفسير ان الهماز الذي يهمز الناس اي يذكرهم بالمكروه ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة واكثر ذلك يظهر الغيب وعن الحسن هو الذي يلوي شدقيه في اقفية الناس وقيل الهمزة بالمواجهة واللمزة يظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين والنمام ناقل الكلام التي وقد اكثرت الشعراء من ذمه وخالفهم بن

وقال لم اكره النمام في فعله   اساء اخواني وما احسنوا

ان كان نماما فنكوسه   من عيب تكذيب لهم ما من

وقال آخر

اسمع نصيحة عارف   جمع النصيحة والمقه

اياك واحذر ان تكون   من الثقات على ثقه

وقال آخر

ومجلس رائق من واش يكدره   ومن يعيب له باللوم ابكم

ما فيه ساع سوى الثاني   ولجس به بين الندامى سوى الكأس نمام

وقال آخر لا امتنامي في عوارضه   سبب والناس لوام

كيف يخفى ما اكابده   والذي اهواه نمام

وقال الشيخ صدر الدين الوكيل

اخفيت حبك عن جميع جوارحي   فوشت عيوني والوشاة عيون

ياليت قلبا في زمان صبابتي   حتى ابيه العشق كيف يكون

الباب الخامس عشر في العتاب عند اجتماع الاحباب اقول

هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الذين الايمان وبث هوى ادق من النسيم الساري نعم في العتاب فوائد جمة واذا الم كرب فلا يكن امركم عليكم غمة وهو على اقسام عتاب هو في تاكيد المودة تحصيل الحاصل وعتاب لتكذيب الناقل وتمييز الحق من الباطل ومن العلوم ان العتاب بين الاحباب اصل مفضل ويقطع ويفصل لا بد منه ولا غنى عنه اللهم الا عند من لا يرواه اليه ولا يعاتب الحبيب الا فليه كالبحتري حيث يقول

اعاتب الحب فيما جاء واحده   ثم السلام عليه لا اعاتبه

وفي امثال العرب اسوء الاداب كثرة العتاب وقال الاحنف العتاب مفتاح التقالي والعتاب خير من الحقد وقد قال بشار في تقليل العتاب

اذا كنت في كل الامور معاتبا   صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى   ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وقال سعد بن حميد الكاتب

اقلل عتابك فالبقاء قليل   والدهر يعدل تارة ويميل

ولعل ايام الحياة قصيرة   فعلام يكثر عتبنا ويطول

وقال اخر

وبعض العتاب اذا ما رفق   يباعد هجرا ويدني وصالا

فعاتب اخاك ولا تجفه   فان لكل مقام مقالا

ومن اظرف ما سمعته في من جني من الاحباب ثم تادب بالعتاب قول بعضهم

عتبت علي ولا ذنب لي   بما الذنب فيه بلا شك لك

وحاذرت لومي فبادرتني   الى اللوم من قبل ان ابدرك

كذا كان قبل فيما مضى   خذ اللص من قبل ان ياخذك

ومنهم من يكره العتاب جملة ويقول هو مفتاح الهجر ووسيلة الصدود

كما قيل

لا تفزعن سماع من يهوى   يتقلد الذنوب
ما نافس الاحباب الا من   يعيش بلا حبيب
ومنهم من يراه و لا يأباه

كما قيل

ولا عيش كوصل بعد هجر   ولا شى الذ من العتاب

تصالح عاشقان على
فلك هذا على حديث هذا ولا   هذا يمل من الجواب

وقال آخر

واحسن ايام الهوى يومك الذى   تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى   فاين حلاوات الرسائل والكتب

كتب الحسن الى غلام كان يتعطفه فوقع الغلام فى كتابه برد الهجر الى
اليوم الفتنة

فقال الحسن

كتب الحبيب ببيت شعر   اغاثه فاغضبه جوابى
احببنى يا ملوك عن كتابى   فان النفس تنكى بالجواب
فوقع فى الكتاب يزاد هجرا   وابعادا الى يوم الحساب

وظبى من بنى الكتاب يسبى   قلوب العاشقين بمقلتيه
دفعت اليه استقضى رضاه   واسئله خلاصا من يديه
فوقع قد ردت فوارهذا   مسامحة ولا يعدى عليه

وقال الشيخ العلامة ابو الثنا شهاب الدين محمود مضمنا

وبتنا على حكم الصبابة مطعمى   زفيرى واسقانى وشربى المدامع
وحتى يعاطينى كؤوس ملامه   ويتلف فالهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما   تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كانى ساورتنى ضئيلة   من الرقش فى انيابها السم ناقع

قلت هذا التضمين فيه نظر ويعرفه لمن اعتبره كيف لا وقد مزج فاتله
السم بالرضاب والحق الحبيب بالحباب فاصبح وقلبه انف عليه الحيلة وشبه
ثغر محبوبه بانياب ضيلة فقابل صفو عيشنا عتابه بالكدر فيا قلبه القاسى احديد
ام انت حجر وما اظنه مذ كوى هذا الملام الا من مآر ملام ابى تمام حيث
تجاوز القلب الحد فى الاستعارة وخرج وعلى كتفه من الملام كاد ه

فقال

لا تسقنى ماء الملام فاننى   صب قد استعذبت ماء بكائى

فهذه تزيه نفسه عن الانخراط فى هذا السلك واقتدى بقول ابن سنان الملك

واملا عتابا يستطاب فليتنى   اطلت ذنوبى كى يطول عتابه

فقرر لى ذكر العذب وباريق وما هو الاثغره وفرضابه اوتخلق باخلاق
الناس وناسى بقول ابى نواس

اسأل ادنته الاساءة حظوة   حبيب على ما كان منه حبيب
يعد على الواشيان ذنوبه   ومن اين للوجه المليح ذنوب

على انه رحمه الله يجوز ان يكون قصد معنى جليل القدر يجب ان يكون

كلا ولو حدث حرافة بالتم عمرو
وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفهم السقيم

وقال الاخر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بالف شفيع

واحسن منه قول عتيق بن الوزان

كلما اذنب ابدى وجهه   حجة فهو مليء بالحجج
كيف لا يفرط فى اجرامه   من متى شاء من الذنب خرج

وقال الحكيم العنبر المادنى

كانما الشمس فى اعطافه لمعت   حسنا او البدر من ازراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت   منه الاساءة معذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساءته   من القلوب وجيه حيث ما شفعا

وهذا ماخوذ من قول ابى نواس فى سالفه

وجهى اذا اقبلت بشفيع لى   وبلا طرفك حسن ما خلفى   فيجيبنا بذكرى
ما خلفها ولكن بيت الحكم احكم بناء وامذب ثناء فقال ابو فراس

قل لاحبابنا الجفاة علينا   درجوا على احتمال الملال
احسنوا فى فعالكم او اسيئوا   لا عدمنا كريم على كل حال

وقال مختصرا ايضا

الا ايها الجانى ونسأله الرضى   ويا ايها المخطى ونحن نتوب
لحا الله من يرعاك فى القرب وحده   ومن لا يرد الغيب حين تغيب

وقال الاخر

اذا مرضتم اتيناكم نعودكم   فتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وقال آخر

واذا ما غضبت يوما عليه   لذنوب يطول فيها المقال

عطفتني عواطف الحب حتى   انثناه كي يذهل الملال

وقال الآخر

حججي عليك اذا خلوت كثيرة   واذا حضرت فانني مخصوم

لا استطيع اقول انت ظلمتني   الله يعلم انني مظلوم

آخر   ولو كان هذا موضع العتب   لاشتفى فؤادي ولكن للعتاب مواضع

وقال ابن المعتز

ابلغ معاذير من يأتيك معتذرا   ان بر عندك فيما قال او فجرا

فقد اطاعك من يرضيك ظاهره   وقد اجلك من يعصيك مستترا

وقلت انا من رسالة قرع الباب وانتظار الجواب فنعوذ بالله من زلة العاقل فيسرا اليه من التمادي في الباطل وهذا الحق لبس به خفاء قد عمى من بينات الطريق فقد حصحص الحق وقرع العتاب حلقة الباب فقال طوق وهب ادعوى نعل العتاب السم   لكن موته نزطبعا فصار تكلفا

وكاني بمولانا وقد وقف على عتبة العتاب وقال من دق الباب سمع الجواب

فان كنتم تلقون في ذلك كلفة   دعوني انت وحدي ولا تتكلفوا

فصل في العفو والرضا والصفح عما مضى جاء عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل انه الرضا بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يقبل من متنصل صادقا كان او كاذبا لم يرد علي الحوض وقال الشاعر الحويزي لما عتبك وقد دخل على نوح ابنه المأمون

ذنبي عليك عظيم وانت اعظم منه

فخذ بحقك اولا فاصفح بفضلك عنه

ان لم اكن في فعالي من الكرام فكنه   وقال آخر

ما احسن العفو من القادر لا سيما عن غير ذي ناصر

يا غاية المقصد واقصى المنى وخير مرعى مقلة الناظر

ان كان لي ذنب ولا ذنب لي فما له غيرك من غافر

اعوذ بالود الذي بيننا ان تفسد الاول بالآخر

كان

كان ابو محمد اليزيدي ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة فعربد فامر المأمون بحمله الى منزله برفق فلما افاق استحيا وانقطع عن الركوب اياما فلما طال عليه ذلك كتب الى المأمون ابياتا

منها انا المذنب الخطاء والعفو واسع   ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

سكرت فابدت مني الكاس بعض ما   كرهت وما ان يستوي السكر والصحو

ولا سيما ان كنت عند خليفة   وفي مجلس ما يجوز به اللغو

فلما قرأها المأمون وقع في الرقعة صر الينا فقد عفونا عنك فلا تعد بعدك دبالة النبيذ بطوي معه

فقال

انما مجلس الشراب بساط   واذا ما انقضى طويناه بساطه

وقال ابن سناء الملك ولما ذلك الحبيب فامر حضر متنصلا وجاء مثل الآل متذللا واستجار بحرم الحرمة وخفض جناح الذل من الرحمة واعتذر بانه الاولى ولا يعود وامضى في امور واخرجه من الظلمات الى النور فقبل عذره وقبل ثغره وامتثل امره وثنى عنان القلب اليه حسن تأتيه واذهب حلاوة جنى به مرارة بخبثه   واذا الحبيب اتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بالف شفيع

ابن زيدون

وقال آخر ودعت ان ظالم وهجرتني   ورميت في قلبي بسهم نافذ

ونعم ظلمتك فاعذري وتجاوزي   هذا مقام المستجير العائذ

يا من اطلعه المغرب   قد طال في حبك المدب

الذنب لي لذنب لذي جنيته   صدقت فامنح ايها المذنب

فان من عزب ما ترى   ان عذابي بك يستعذب

وما قابلت عفوك باعتذار   يعكر بيننا الخلق الجميل

الباب الحادي عشر في اعانة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين اقول

هذا باب عقدناه لذكر اكثر الناس فتوة واعزهم مروءة وانفعهم قلبا واحسنهم رب من اصبح بين المحبين فديم الهجر وهجره وامسى لم يكن من المحبة الف سكن لا جرم انه اعان ذوي المحبة وعاون بنفسه ومال رحمة القائل في هذا المعنى الطائي

نفس مشوقا او مسعدا حزنا   او معينا او مانعا او عذولا

فان كنت خاليا من ذلك كله اصبح باطماع كثعوب على النوى لا الرفقاء اجبان فيجمع فلك ولا اقل من ذلك يا ابنة مالك وقد قال القائل في ذلك

لو يعلم الناس من شوقي ومن كلفي | ما بت اعلم استشفوا بمبعادي
واستشفعوا الى الهجر باجمعهم | وجآءوا بهم في دق فؤادي

ومن اعجب ما سمعته في اعانة العاشق والاحذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغني ان عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله

وقال الخرائطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن لمال عبرها وكان يعرضها في الموسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فتعلقها رجل فقير فكاد عقله ان يذهب فلما بلغه وهبها له فعوتب في ذلك فقال اني سمعت الله يقول ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا افلا احيي الناس جميعا

وحكى الخرائطي انه كان لبعض الخلفآء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رايتك في المنام كانما | عاطيتني من ريق فيك البارد
وكان كفك في يدي وكانما | بتنا جميعا في فراش واحد
فطفقت يومي كله مترا قدا | لاراك في نومي ولست براقد

فجاوبته الجارية

خيرا رايت وكلما ابصرته | ستناله مني برغم الحاسد
اني لارجو ان تكون معانقي | فتبيت مني فوق ثدي ناهد
واراك بين خلاخلي ودمالجي | واراك فوق ترائبي ومجاسدي

بلغ الخليفة خبرهما فانكحهما واحسن اليهما على شدة غيرته

وقال ابو الفرج ابن الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له فقال المهلب

لعمري اني للمحبين راحم | واني بستر العاشقين حقيق
ساجمع منكم شمل ود مبدد | واني بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة الاف دينار وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه جاءته جارية تستعدي على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا امير المؤمنين احب ابن اخيه فما انفك اراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن اخيك او اعطيك ثمنها من مالي فقال اشهدك يا امير المؤمنين انها له وان علي ابن ابي طالب بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل فقال له ما قصتك ان سارق فقال لست بسارق ولكن صدقك فقال فانشد

تعلقت في دار الرياحي خودة | يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها في بنات الروم حسن ومنصب | اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر

فلما طرقت الدار من حر مهجة | ابيت وفيها من توقدها جمر
تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا | هو اللص محتوم ماله القتل والاسر

فلما سمع علي شعره رق له وقال للمهلب بن بلج اسمح له بها ونعوضك عنها فقال يا امير المؤمنين اسله من هو لنعرف نسبه فقال النهاس بن عيينة العجلي فقال له خذها فهي لك

وحكى التميمي في كتابه امتزاج النفوس ان معوية بن ابي سفيان اشترى جارية من البحرين فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد ابياتا منها

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى | طريرا وسيما بعدما طر شاربه

فسالها فقالت هو ابن عم لي فردها اليه وفي قلبه منها وذكر الخرائطي ان المهدي خرج الى الحج حتى اذا كان بزبالة جلس يتغدى فاتى بدوي فنادى يا امير المؤمنين اني عاشق ورفع صوته فقال للحاجب ويلك ما هذا قال انسان يصيح اني عاشق قال ادخلوه فادخلوه عليه فقال من عشقت قال ابنة عمي قال الها اب قال نعم قال فما له لا يزوجك اياها قال ها هنا شيء يا امير المؤمنين قال ما هو قال اني هجين والهجين الذي امه ليست عربية قال له المهدي فما يكون قال انه عندنا عيب فقال له المهدي تزوجه اياها على عشرين الف درهم عشرة الاف للعيب وعشرة الاف مهرها قال نعم فحمد الله واثنى عليه وزوجه اياها واتى ببدرتين فدفعهما اليه فانشا الشاب يقول

ابتعت ظبية بالغلا وانما | يعطى الغلا بمثلها امثالي
وتركت اسواق القباح لاهلها | ان القباح وان رخصن غوالي

وعرض خالد بن عبد الله القسري سجنه يوما كان فيه يزيد بن غلام فلان العجلي فقال له خالد في اي شيء حبست يا يزيد قال في تهمة اصلح الله الامير قال افتعود ان اطلقتك قال نعم ايها الامير وكره ان يعرض بقصته لئلا تفتضح معشوقته فقال خالد احضروا رجالي الحي حتى تقطع يده بحضرتهم وكان ليزيد اخ فكتب شعرا ودفعه الى خالد

اخالد قد اعلنت في الخلق وثبة | وما العاشق المسكين فيها بسارق
اقر بما لم ياته المرء راي القطع | خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه | لالفيت في شان الهوى غير ناطق
اذا بدت الرايات للسبق في العلى | فانت ابن عبد الله اول سابق

فلما قرا خالد الابيات علم صدق قوله فحضر اهل الجارية فقال تزوجوا يزيد

فتانكر اما فقد ظهر عليه ما ظهر فقد قال ان لم تر وجوه طاعنين لبن وجن
كارهين من وجوه وتفقد خالد المهرين عنه وذكر احمد بن الفضل الكاتب
ان غلاما وجارية كانا في كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف بمعلمه
حتى صيره قريبا منها فلما كان في بعض الايام كتب في لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم ... من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته الجارية اغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

اذا رأينا محبا قد اضر به ... طول الصبابة اوليناه احسانا

وذكر الخرائطي عن ابي غسان قال مر ابو بكر رضي الله عنه بجارية وهي تقول

وهويته من قبل قطع تمائمي ... متمايسا مثل القضيب الناعم

فسألها احرة انت ام مملوكة فقالت مملوكة فقال من هويت فتلكأت فاقسم
عليها فقالت

وانا الذي لعب الغرام بقلبها ... فتنت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن قاسم بن جعفر بن ابي طالب وقال
هولاء فتن الرجال وكم والله قد مات بهن كريم وعطب بهن سليم
ودخلت عزة على ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز وكانت من العلماء
فقالت لها ما معنى قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان هذا الدين قالت وعدته قبلة ثم رجعت عنها فقالت انجزيها
وعلي اثمها فانجزتها فاعتقت ام البنين اربعين عبدا وقالت عند الكعبة اللهم
اني ابرأ اليك مما قلته لعزة حدث محمد بن عبد الله بن ابي مليكة عن ابيه
عن جده قال دخل عبد الرحمن بن ابي عمار وهو يومئذ شيخ الحجاز على نخاس
يعرض جواري فعشق منهن واحدة واشتهر بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس
ومجاهد يعذلونه فكان جوابه عز لا

يلومني فيك اقوام اجالسهم ... فما ابالي اطار اللوم او وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم تكن همة غيره فبعث الى سيد الجارية
فاشتراها منه باربعين الف درهم وامر قيمة جواريه ان تطيبها ففعلت ودخل
الناس عليه فقال ما لي لا ارى ابن ابي عمار فاخبر انه منقطع في منزله لفرط ما به فاتاه
ابن جعفر فلما رآه اراد ان ينهض فاستجلسه وقال له ما فعل حب فلانة قال في اللحم
والدم والمخ والعصب والعظام قال اتعرفها ان رأيتها قال او اعرف غيرها

قال فانا قد ضممتها اليها واحدة والله ما نظرت اليها وامر بها فخرجت في الحلي
والحلل فقال اهي هذه قال نعم بابي انت وامي قال فخذ بيدها فقد جعلتها لك ارضيت
قال اي والله وفوق الرضا فقال له ابن جعفر لكني والله لا ارضى ان اعطيكها هكذا احمل
يا غلام مائة الف درهم فحملت

الباب السابع عشر في ذكر دواء علة جوى اقول

هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب الذي اعجز اهل
الطب فهم بين حيارى سكارى وماهم بسكارى على ان الذين اجمعوا عليه
واشاروا اليه انه لا شفاء من هذا الداء العضال الا بطيب الوصال من غير التعدي
مع التشفي والعناق الدين

داء الحب ليس له دواء ... سوى وضع الخدود على الخدود

ولا سيما من يدب نهوده ويتورد خده ويعذب مذاقه ويطيب عناقه

اعانقها والنفس بعد مشوقة ... اليه وهل بعد العناق تداني

والثم فاها كي تزول حرارتي ... فيشتد ما القى من الهيمان

كان فؤادي ليس يشفي غليله ... سوى ان يرى الروحان يمتزجان

وقال الاخر

شفي الحب ضم ووضع البطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه واخذ المناكب والقرون

وقال ابو جعفر العدوي

اسقم قلبي سقم لم يبره ... فاتى دنا وعلى خصره

وقال ابو هفان

لا تلتقي روح مع جسمه ... حتى ترى بطني على ظهره

ابو جعفر العدوي

لسكر الهوى ادوى لعظمي ومفصلي ... اذا اسكر الزمان من لذة الخمر
واحسن من قرع المثاني ونقرها ... ترجيع صوت الثغر يشرع بالثغر

ابو هفان حدثنا عن بعض اشياخنا ابو هلال
شيخنا عن مرثد لا يشتفي العاشق مما به بالشم والقبل حتى ينيك قال في الاغاني
قال ابو العيناء انشدت ابا العيناء قول المأمون

ما الحب الا قبل ... او غمز كف وعضد ... من لم يكن ذا حجة فانما يبغي الولد
ما الحب الا هكذا ان نكح الحب فسد

فقال كذب المأمون وا كل من قال ... بطين وعيا بالميزان قد اخطا واسا الافعال كما قلت

يا من الحب قطعي فوا ويلاه اذا فرح   وما ينفعني الحب اذا لم الكنس البرح
وان لم يطرح الاضلاع خرجيه على الجنح

ثم قال لي كيف رأيت قلت

عجبا من العجب قال كنت ظننت انك تقول غير هذا فبل برى واد نفها

قلت قول المامون

ان نكح الحب فسد هذا على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزباني انه روى انا قال علمت امراة كنت اهواها فاحدثتها وناجيت بيننا ديبر فلا الاني رايت بيا من كفها في ليلة ظلما فوضعت يدي على يدها فقالت مه لا تفسد ما صلح فانه ما نكح الحب الا فسد وحكى عن بعض الادباء انه كان يهوى جارية فقالت ان صحيح الحب كاطا الوفاء قال نعم قال فامض بنا حيث شئت فلما حصلت في منزله لم يكن همه الا رفع ساقيها وجعل يجامعها بجميع جوارحه فقالت له ووجهي في القالب اسرف في نيكا وانك مصلحه فارفق بفضلك ان الرفق محمود فاجابها وهو في عمله لا ينفس

ولم انك تبك من بنفي مودته   لكن نيكي هذا ايك مجهود

فتركت من تحته وقالت يا فاسق اراك على خلاف ما ظننت كانك تجعل جماعي سبيلا للذهاب بحبك والله لا جمعني واياك سقف بعد هذا ابدا وعلى هذا القول جماعة اعني ان الحب اذا نكح فسد ومنهم من قال لا بفحكم الحب الا بعد ابلاغ الوطر لانه اذا وطى ازدادت محبته وتمت ثمار المحبة كما قيل

لم يصف حب لعشوقين لم يرقا   وصل يحمل على كل اللذات

قال هدبة بن خشرم

والله ما يشفي الفؤاد الهائما   نفث الرقاد وعقدك التمائما
ولا الحديث دون ان تلازما   ويعلو القوائم القوائما

وقال آخر

لولا لعانكة التي في نطق نضد الوطر
انى اريدك للنكاح ولا اريدك للنظر
لو كان مقنعا بذلك كان هذا للقمر

كان نصير بن سكين يهوى جارية واستهام بها فلما امكنته من نفسها لم ترى منه ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها تقول وقد قبلتها الف قبلة   كفاك اما تلقى لديك سوى القبل

فقلت لها

فقلت لها احب على القلب حفظه   وطول سهاد تشتفى به المقل
فقالت وايم الله ما لذة الفتى   من الحب في قلب مخالفة العمل

فاما نكاح الطيف فاختلفوا فيه فذهب ابو تمام الطائي الى انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه في ذلك جماعة ومنهم من اذا اقتضى له معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق تحرزا من النكاح والمانع له من ذلك امران احدهما التورع وعفة النفس والثاني خوف الوقوع في الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه

قال

ولرب لذة ليلة قد نلتها   وحرامها بحلالها مدفوع

وقال آخر

انا ذو هوى لصب في ديار ربكم   فحدكم سهوت القلب والبصر
لا يبعني السؤال طال الوقوف   عف الضمير ولكن فاسق النظر

وقال آخر

انس حرائر ما هممن بريبة   كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا   ويصدهن عن الخنا الاسلام

وسياتي ما ورد في هذا المعنى في باب العفاف والثاني ما قاله العلماء بان الباه وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الا ان يكون الحب تكلفا لاستفراغ نار الشهوة فيقصر الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على قدر الموانسة فمن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه ممن يحب تمكن حبه وارتفعت عنه شهوة الجماع فوقع بينهما تكره المراة من التحمل كما قيل

وان حبي سعاد بلا جماع   فقالت حبلنا حبل انقطاع
اذا المحبوب لم يك ذا فتى   راى المعشوق كالشي المضاع

وقد عم بعضهم ان من جملة ما يدل وعلى به من لم يغز بالظفر السفر فقال

اذا ما شئت ان تسلوا حبيبا   فاكثر دونه عدد الليالي

وقال الآخر

وقد زعموا ان المحب اذا دنى يمل   وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا   على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع   اذا كان من تهواه ليس بذي ود

وقال الآخر

وفالوادوا آن الحب حب بن بلبه لاحبا وطول التمادي على الهجر

وقال آخر

تداويت من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ ابو عبد الله بن البخاري في تاريخه باسناده ان محمد بن داود صنع خاتما نقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد
والثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا راى رجلا يلح النظر الى الاحداث قال له اقرأ ما على هذا الخاتم فلعله ينتهي عن ذلك والله اعلم قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين بن اذ كماني في كتاب غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه اذا شرب العاشق حب الحرمل سلى عشقه وكذلك البذ الهندي اذا شرب منه اربع شعيرات بالمائل انه يتمكن من العشق وكذلك الحجر الموجود في بعض الاوقات في حواصل الدجاج اذا دي في ماء وشربه العاشق سلى وكذلك ان علق عليه ايضا وكذلك حجر السلوان وحكاكة اللبن ومن ملوق عليه عظم اللقلق وهو عاشق سلى وان كان حيا زال حزنه ومن كان عاشقا لذكر فيتمرغ في مرغة بغل زال عشقه وان كان عاشقا لانثى فيتمرغ في مرغة بغلة زال عشقه تطع احمر وتنفس اخضر وبعد هذا تدخل الحمام فانه نافع مجرب ان شاء الله تعالى

شربة اخرى يوخذ على بركة الله وعونه ثلث مثاقيل من صافي
وصال الحبيب منقاه من عيدان الجفا وخوف الرقيب وثلاث مثاقيل من بزر الاجتماع منقاه من قشر الهجران والانقطاع واوقيتين من خالص الود والكتمان منزوعه من عيدان الصد والهجران ويوخذ عطر البخور واثم الشوق وخفيف الحسن من كل واحد مثقالين ويوخذ مائة بوسة وشاية محكوكة مرضوضة منها خمس معاد سكرية وثلثون نفس في الحمام معروفة عشاقية ويوخذ غنج حلبي وتحير عراقي من كل واحد مثقالين ويوخذ وقنان من مص الشفاه والتفخيذ ولثم الفم مع الوجنتين ويلقى الجميع ويخلط ويرش عليه وزن ثلاثة دراهم خلع معربة ويعجن في الهاجس الامكان المطوية يغلاية الحب على نار الشوق وحطب الطرب في رجل العجلة ويضع الجميع على مقعد دبغي سلطاني ويجعل فيه اوقنان من ترياب التصاب ويترك على الريق ثلاثة ايام ويكون الغذاء مزعفر يطبخ لاشتاق ويمنا البهاقليلو زالعناق ومالبون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة ارطال من الدم ويتبعه برطلين من بل الشافي ويدخل الحمام نافع مجرب ان شاء الله تعالى

باب سيف قاطع وبرق ساطع فيما يتعلق بدوى علة الجوى

وهو ما حكاه ارباب علم الرياضي في الاعداد المتحابة وذلك ان في العدد اربعة وثمانين ومائتين سمي العدد المحب وصورته بالقلم الطبيعي هذه

٢٨٤ وحروف نقطه بطل وحروفه نقطه فضل

وفي الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مائتان وعشرون وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٢٢٠ وحروف نقطه طل وحروفه نقطه فضل
فعدد مائتين وعشرين يجب ابدا عدد مائتين واربعة وثمانين فاذا كان عند انسان في خاتم او لوح نقش او ما امكن من المعادن يكون فيه نقش مائتين وعشرين عدد وعند انسان خاتم ثاني او لوح نقشه نقش الثاني من العدد فان الذي عنده اربعة وثمانين ومائتين يحب الذي عنده عدد مائتين وعشرين فان اردت الاستعطاف وجذب القلوب واخذ النفوس فاكتب في حديدة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومائتين بالقلم الطبيعي المقدم صفته واكتب في رقعة اخرى صورة الاعداد المائتين وعشرين وامسك الرقعتين بين تقريب تدنيا عضا فانهما يتحابان ولا يكون بينهما شيء ما دامت الرقعتان معهما فان لم يمكن ذلك فالق الرقعتين في حرق نظيف واكتب اسم كل واحد منهما او لقبه المشهور وضع الحرق في موضع مرتفع فانهما يتحابان وان كنت من ذلك انك تطعم انسانا فابعض آخر اربعة وثمانين ومائتين حبة رمان حلو وتطعم الآخر المعشوق في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين حبة من الرمان فانهما يتحابان

ومما يوكد المحبة

فيما ذكره الحكماء يعني انه اذا وصلت بلة من ريق المتحابين كل واحد منهما الى معدة الاخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى الجرم الكبد وكذا اذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شيء فيختلط باجزاء الهوى فاذا استنشقه دخل في الخياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فرحه حبه كثرا له اليوم فحجم القلب ووصل بعضه الجرم الرية ثم الى القلب فيذب في العروق الضوارب وفي جميع البدن فيعقد من بدن هذا ما يتخلل من بدن هذا فيصير مثلها فيتولد العشق وتتاكد المحبة قال الشيخ العلامة مغلطاي وهذا الذي ابل اليه ويوسك ان يدوم ويثبت ولا يغيره مر الليالي وعند الامتحان يكرم المرء او يهان انتهى كلامه فصل اختلف العلماء هل يجب على الزوج مجامعة امراته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من استاجر دارا ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا

من اضعف الاقوال لان القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها على
الزوج بنص القرآن وقال تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضد المعروف ان يكون
عنده شابة شهوتها تعدل شهوة الرجل او تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها
لذة الوطء مرة واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه ردا عليه
وطائفة يجب عليه وطؤها مرة واحدة في العمر ليستقر لها بذلك الصداق وهذا من
جنس القول الاول **وقالت** طائفة يجب عليه ان يطأها في كل اربعة اشهر واحتجوا
على ذلك بان الله تعالى اباح للمولي تربص اربعة اشهر وخير المرأة بعد ذلك ان شاءت
ان تقيم معه وان شاءت ان تفارقه فلو كان لها حق في الوطء اكثر من ذلك لم يجعل للزوج
تركه في تلك المدة وهو امثل من القولين الاولين مع ما فيه **وقالت** طائفة يجب عليه
ان يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا
وعليه ان يشبعها وطأ اذا امكنه كما عليه ان يشبعها قوتا وكان ابن تيمية يرجح
هذا القول ويختاره **وقال** تلميذه ابن القيم الجوزية وقد حض النبي صلى الله
عليه وآله وسلم على استعمال هذا ورغب فيه وعلق عليه الاجر وجعله صدقة لفاعله
فقال وفي بضع احدكم صدقة ففي هذا كمال اللذة وكمال الاحسان وحصول
الاجر وفرح النفس وذهاب افكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها
وغلظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فان صادف
ذلك وجها حسنا وخلقا دمثا وعشقا وافرا ورغبة تامة واحتسابا للثواب فذلك
اللذة التي لا يعادلها شيء ولا سيما اذا وفقت كمالها فانها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من
البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف
بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذتها
وتقابله من المحبوب فان فقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية
له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكنا لسكون النفس اليها ولذلك فضل
جماع النهار على جماع الليل لسبب آخر طبيعي وهو ان الليل وقت تبرد فيه الحواس
وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات بدليل قوله تعالى وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وكان محمد بن المنكدر يدعو
في صلاته اللهم قو ذكري فان فيه صلاحا لاهلي **وقال** عبد الله بن صالح كان
الليث بن سعد اذا غشي اهله يقول اللهم شد لي اصله وارفع لي صلبه وسهل علي
مدخله ومخرجه وارزقني لذته وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك

وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه **قال** علي بن العالم حدثنا خالد الحذاء
قال لما خلق الله آدم وخلق حواء قال يا آدم اسكن الى زوجك فقالت حواء يا آدم ما
اطيب هذا زدنا منه اي الجماع **الباب الثامن عشر في تعنت المعشوق على العاشق**
وغير ذلك من اقسام الهجر وصبر العاشق فيه على الجور **اقول** هذا باب
عقدناه لذكر التجني وتعنت المحبوب الذي عشق فهو باب لمن قربه حلو المذاق
عطل الحذاق بالاتفاق لا يعرف طعمه الا من ذاقه ويعرف وصل الحبيب وفراقه
ولم تزل العشاق تشكو تجني الحبيب وتقول ذنب الحبيب ذنب شرط
المحبة عند ارباب الهوى ان المليح على التجني يعشق لا يصلحهم صد ولا يفهمون
من سوق الحظوظ عنهم حدا ولا يكرهون جور الحبيب عدلا ويقولون الحق اذا اقبل اهلا
وسهلا لا يأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور تايه الظلم من المظالم

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه — حلوا فقد جهل المحبة وادعى

والعلم المشهور في هذا الباب **قول** علية بنت المهدي

جعل الحب على الجور فلو — انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في نعت الهوى — عاشق يحسن تأليف الحجج

كما ذهب في بيت الاول الى قول العباس بن الاحنف

واحسن ايام الهوى يومك الذي — تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى — فاين حلاوات الرسائل والكتب

وقد زاد المتنبي على هذا **فقال**

راحتي في مقالة العذال — وشفائي في قولهم لا تغالي
لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب — لغير الا يحس خلال
يبلغ الاذى فعذل بنصح — وعتاب وكاشح وتغالي

وقال جميل بن معمر

لا خير في الحب وقفا لا تحركه — عوارض اليأس او يرتاحه الطمع
لو كان لي الصبر عنها او عندها جزعي — لكنت املك ما آتي وما ادع

ومن ابلغ ما قيل في عتب الاحباب قول بعض الاعراب

شكوت فقالت كل هذا تبرما — بحبي اراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجد قالت لشد ما — صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وادنو فتقصيني فابعد طالبا — رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها — وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها   اشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربي

وقد قسموا الهجر على اربعة اقسام فقالوا هو هجر دلال وهجر ملال وهجر مكافاة على الذنب وهجر يوجبه البغض المتمكن في القلب فاما هجر الدلال فهو من الذ من كثير من الوصل ولعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة   فتطاردي لي بالوصال قليلا

هذا الشراب اخو الحياة وماله   من لذة حتى يصيب غليلا

وقال المتنبي

واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه   وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وقال ايضا

ذلي اذى مهجتي ابدك هوى   فاجهل الناس عاشق حاقد

وقال آخر

وبلاهجركم على انني خطوت ببالكم   وقال آخر

لئن ساءني ان نلتني بمساءة   لقد سرني اني خطرت ببالك

ويجب لمن يتسم بالجمال واحسن بحلوب النساء والرجال ان يكون كثير الدلال قليل البذل فان ذلك ادعى للسلامة وابعد من الملامة فقد قال ابن كبيح

فلو اعشقتكم البنة ممتعا   فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه

لوجاد بها نه ضلت الجود عادته   وانما عشق العاشق مطلبه

فاذا بذل لاحباب كل من يهواه صار عرضة للظنون لان النفس الحرة لا تعشق من عني وقد قال العباس بن الاحنف

يا قوم لم اهجركم لملالة   مني ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم   لا تصبرون على طعام واحد

واما هجر الملال فتبطل مريرا الايام والليالي واما تتناءى الدار او بطول الاختلاف حكى ان منيم الهاشمية لما اتت بها علي بن الهشام خلت منه واحبها حبا شديدا فاتفق انها غضبت عليه في وقت وتمادت في غضبها فترضها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه ولقد صدق عندي العباس بن الاحنف حيث يقول

ما اراني الا ساهجر من ليس   يراني اقوى على الهجران

ملني واثقا بحسن اخائه   فتنا من الوفاء بالانسان

فلما قرات الرقعة خرجت اليه من وقتها وصفت واما الهجر الذي يتولد على

الذنب

الذنب الذي فالتوبة ترن له من القلب عند الاعتراف بالذنب والاستمداد كان المحبوب

ملكه ملك رحمة ليس فيه   جبروت منه ولا كبرياء

سقى الله في المحب وقد   افلح من كان همه الابقاء

الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لا دواء له قال الحزمي وهذا لا يقع بين ذوي الاخلاق وذوي الاخصام من نحننة السالكة عنه وعمة المناسبة نقضه والذي اقوله انا ايضا ان هذا القسم مرضه مزمن لا يمكن علاجه ولا يعذب حاجبه فالمحبوب فيه لا يلام ومحبه كمن يرقص في الظلام ويلم على من لا يرد عليه السلام

احبابه لم يشغلون بقلبه   ما ليس يفعله به اعداؤه

اخذه الارجاني فقال

احبابنا لم يخرجون بهجركم   قوما بينا اللهو بالنجم مكمدا

اذا دمتم قتلي وانتم احبة   فما الذي اخشى اذا كنتم عدا

وقال الاخر

بطالبني قلبي بكم كل ساعة   اذا افلس المديون لح المطالب

وينادكم سوف الذي ...   الظما فقد سمعت للملية الكتائب

اذا دمتم قتلي وانتم احبة   اذا فالاعادي واحد والحبائب

الباب التاسع عشر في ذكر الدعاء على المحبوب وما فيه من العقة المطلوب

سالت الله ان يعلو ويسموا   علو البدر في حق السماء

فلما ان علوت علوت عني   فكان اذا على نفسي دعائي كقولي

دعوت لي

دعوت على الحبيب بعوطني   يقاسي منه انواع الجفاء

فواصله وبالغ في صدودي   فكان اذا على نفسي دعائي

اقول هذا باب عقدناه للذي من فادب حلول رمسه والذان بلا عوا على نعمه فدعا على نفسه فهو يتهف ويبكي ويشتفي ويشكي لا يثبت على حال ولا يفرق بين الحرام من الملف والحلال فيا هوا يبكوا من محبوبه اذ هو يكوا اليه ويا هوا يدعوا له اذا هو يدعوا عليه فمن احسن ما قيل في الدعاء للمحبوب قول محمد بن العفيف التلمساني رحمه الله شبابه وجعل من الرحيق المختوم شرابه

اعز الله انصار العيون   وخلد ملك هاتيك الجفون

يضاعف بالفتور لها اقتدارا … وان تك اضعفت عقلي ودين
وصان حجابها تلك الثنايا … وان تك الفؤاد الى المجون
واسبغ ظل ذلك الشعر يوما … على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا … وان جارت على القلب الطعين

وقوله ايضا

ادام الله ايام الوصال … وخلد عمر هاتيك الليالي
واسبغ ظل اغصان التداني … وقد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها … تنيلنا افتنانا في كل حال
ولا برحت لنا منها عيون … تغازلنا بمقلتي ظبي الغزال

وقال علاء الدين علي بن المظفر الكندي

ادام الله ايام العذار … وبارك في لياليه القصار
واغنى الله بعضته كل حتف … اذا اسحت عن الدمع الغزار
ولا زالت مباسم كل ثغر لبابهم … بعقبها ذات افترار
ولا برحت على العشاق تصفو … ثياب العاشق في خلع العذار

وقال ابن ابي الحديد

لا عاشك من البين كلها … الا يرى اليمين وبدا غيابكا
كلا ولا دست بعضاتك بعلى … فلذ فيه سفيه سوى سفنا كا
فتنا بقلبك قلبي عمر ونفث ملحا … بلغت في طيب عيش تقديك نفسي وما
نعوت اذ ضاق صدري عليك ثم بدا

وقال ايضا

فهم غالط مني فهما … جاني نبا العشا علا
مغتنم ما بلغه علي … كاذب والله فيما ادعى ما
كيف لم يبلغه عني سمعي … فهو المهدي الى السقما
دنف المظلوم منا رحمه … ثم لا ادعوا على من ظلما

وقال ابن منقذ

يا ظالما يعرض عني اذا … دعوت عفيا انك ظالمي
الطرف ما الا فلم تختشي … دعاءه دون ذا العالم
ناعيب لا تنفعه فيه وان … كان دعا المغرم الهائم

وقول الاخر

ملك المحبوب وفي قرب … محبوبه كالقمر الشارد

هذا الذي ياخذلي طرفه … من طرفك الوسنان بالثار

وقول الاخر

ولما بدا انه صبر ذا نوى … وان هواه لجري عني بمجلد
تمنيت انه يهوى ويجفى لعله … يقاسي سرارات الهوى فيرق لي

الباب العشرون في الخضوع وانسكاب الدموع اقول

هذا باب عقدناه لذكر من اصبح ودمعه مسكوبا بمسكوب فبات وهو في حبه انه ايوب على ايوب ولا سيما اذا تمادى من محبوبه الهجر وكان مذ بعض هجرهما لك يدعى من انسكاب عبرته العبر وتبدد اذا عزم الخليط على السفر قول ابن عنين

ومعانق سكن القلوب فلا خلت منه الربوع
نعم الرسول فقال لي وانا التبيع له المجيع
بالله قل لي ما جرى بعدي فقلت له الدموع

وقول الاخر

قال لي من احب والبين قد … جد وفي مهجتي لهيب الحزين
ما الذي في الطريق تصنع … بعدي فقلت ابكي عليك طول الحزين

وما احسن قول القاضي الفاضل

فلا استخبرت بالافكار سري … وما اطلقت بالوصل اجره
ولا رايته على الايام الا … عقدت موثقة وحللت عقده
ولا استمطرت سحب العين الا … وصرت بادمعي في الشمس عمده

وقوله ايضا ومن ننه الذي اصبح بين النجوم نثره فنصر حتى لا تجلى هذه الغمزة وتقلع سحائب هذه الشكوى ويجف ما ذاب الجفون فانها مارت بالدموع عصره فانك الله الى ما اكثر فضوله ومدخله بين الجفنين وهو هذا الفني الباهر قول ابن عبد الظاهر

لا تسالني عن اول العشق لي … انا فيه فلي هجر وهجره
من دموعي ومن جفنيه … ادخر غرامي يستهل قطره
ومن معاني المتنبي الغريبة قوله … انا لها الكثرة العشاق في عجب الدمع خلقة والالف

وقوله ايضا

لا تعذل المشتاق في اشواقه … حتى تكون حشاك في احشائه
ان القتيل مضرجا بدموعه … مثل القتيل مضرجا بدمائه

وقوله ايضا

وهبت السلو لمن لامني ... وبت من الشوق في شاغل
كان الجفون على مقلتي ... ثياب شققن على ثاكل

وقال آخر

سقت عليه يد الاسى ... ثوب الدموع إلى الذيول
وقال ... احن في الخضوع وانسكاب الدموع
ولا انس لا انس ذاك الخضوع وفيض الدموع وعز البيد
وخدي يصان الحب خدها ابيا الى الصبح لم ين قد

وقال ابرهيم للعماد

ولي عشيان لا شرينه الا ... دموع سا كان مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل ... وفي عيني بعد الهجر فطره

وقال آخر

مالك عينيك مذ رات ... محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت درت عيني بنطق طلعة ... تحوّلها من فيض ادمعها غسل

وقال الرهاوي

بروحي من رد التحية ضاحكا ... فجدد بعد الياس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينه ... كان دموع العين تعشقه معي

وقال ابن وكيع

سحائب اذا هما الماء فيه الهب الوعد في حشاه البرقة
مثل ماء العيون لم يجر الا ظل يبكي على القلوب الحريقا

وقلت انا من قصيدة حجازية

خليلي بعض الرقيتين طرازه ... اذا لمع البرق الحجازي مذهب
فلا تعجبا من سحب دمعي ان همت ... فما كل برق لاح للعين خلّب

وقلت من اخرى حجازية

حبّني العقيق على الذين ان وكفا ... فحسبه ما جرى من دمعي وكفا
ان عز فنظم دموعي حين انثره ... فاللؤلؤ ما عز حتى فارق الصدفا
لا تعجبوا من وفاء دمعي غداة جرى ... من عينه ما جرى فالجرفيه وفا
ما انك ابكي على وادي العقيق الى ... ان قيل هذا الذي من عينه قد عفا

وقلت ايضا من قصيد

بكت

بكت على ارض بها كن ما بها ... فاشبهت في دمعي على صخرها الخنساء
تجرين نار معي فلم تجر دمعا ... فيا دمع ما اجرى ويا قلب ما اقسى

وقلت من قصيدة

ان عيني على العقيق اذا ما ... لم يجد دمعي بلونه حمرا
منذ امسى لجيني دمعي نضارا ... صح عندي لعيني الكيميا
لا تسل ما جرى من الدمع لما ... كان منها لدي على احشا
الطلع الليل ادمعي فوق خدي ... مثلما تطلع النجوم السما

وقلت من قصيد

لئن فخرت عيني بجري دموعها ... فقلبي الذي اهوى كاقلب بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاه ... فنهدك التي حلت بقلبي عاقد

وقلت من قصيد

سقيت بجري الدمع بالبعد ارضها ... وارسلته فيها علي حين فرت
فيا طرف ان لم تسعف القلب بالبكا ... قطعت حبال الدمع من حب ود

وقلت من قصيد

خالفت فيك معنفا ونصيحا ... واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لعلني محضن اقدامي ... كتبت لعلي بالدماء مسرحا
صب على سفح المقطم دمعه ... يجري العيون به دما مسفوحا
لو شاهدت عيناك احمر دمعه ... نكبت شاهد قلبه المجروحا

وقلت ايضا

الطرف من فقد الكرى يشكو الاسى اليه
والخد من فرط البكا يا ما جرى عليه

وقلت ايضا

انعم بوصل لو عتق وابعث خيالا في الكرى
ودمع جفني لا تسل عن حاله يا ما جرى

وكان المسعودي شارح المقامات رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد

قالت عهدتك تبكي دما حذار التنائي
فلم تعوضت عنها بعد الدماء بماء
فقلت ماذاك مني لسلو و عزاء
لكن دموعي شابت من طول عمر بكائي

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك ابيضا   فقلت لها يا علوهذا الذي يخفى
الم تعلمي ان البكا طال عمره   فشابت دموعي مثلها شاب مفرقي
وما قلت لا دموعي ولا دمي   نزيف ولكن لو عيني يمحق

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك اسودا   وقد كان مبيضا دات عجب
فقلت لها جفت دموعي من البكا   وهذا سواد العين فهو يسيل

وقال آخر

كانت دموعي حمرا يوم بينهم   فقد ناداوضح بها بعدهم حرفي
فظلت باللحظ وردا من خدودهم   فاسقط البين ماء الورد من حدقي

وقال الناشي الاكبر

بكت للفراق وقد راعني   بكا الحبيب لبعد الديار
كان الدموع على خدها   بقية طل على جلنار

الباب الحادي عشر في الوعد والاماني وما فيهما من راحة العاشق

هذا باب عقدناه لذكر الاماني التي لابد منها ولاغنى عنها فلا اقول انها

اعلل بالمنى قلبي لعلي   اروح بالاماني الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجى   ولكن لا اقل من التمني

ولم تزل المحبون يعللون بالاماني نفوسهم ويترعون برائح نحتها كؤوسهم فمنهم من قنع بالامنية قبل حلول المنية ومنهم من مات باعظم غصته وما وقع له الحبيب على قصته

من ال من دنياه امنية   اسقطت الايام منها الالف

وهذا النوع الاخير هو الكثير والظفر به من المحبين حتم عسير

من كان يرجع عزمه وهمومه   بعض الاماني لم يزل الا زوكا

نعم منهم من مات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد عليلا من لذة الوداع على ميعاد يصدق قول الحبيب ويكذبه ويمتحنه ويجربه ويقول

ما ذلت منتظرا لوعدك سيدي   في البيت منتظر القرع الباب
يا كاذبا في وعده لبالي   نه   لم يعض لسانك الكذاب

طالما ايس من نعم المحبوب وعتك من رؤيته ساعة بمواعيد عرقوب

كما قيل

وما بلوغ الاماني في مواعدها   الا كما يعبر جوا وعد عرقوب

تنبيه

تنبيه قولهم في المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعدا واخلف واصل المثل المذكور ما ان عرقوبا كان له اخ فسأله شيئا فقال له عرقوب اذا اطلع نخلي فلما اطلع قال اذا ابلح فلما ابلح قال اذا ازهى فلما ازهى قال اذا ارطب فلما ارطب قال اذا صار تمرا فلما صار تمرا جذه من الليل ولم يعط اخاه شيئا فضرب به المثل في خلف الوعد فقيل مواعيد عرقوب قال الشماخ

وواعدني ما لا احاول نفعه   مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال آخر

وعدت وكان الخلف منك سجية   مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال ابن حجاج

مذبت من لهيبي مسلما   لقيه والخوف لا يعشب
فقلت يا عرقوب اطمعني   فقال لم يعشك يا اشعب

وقلت انا من قصيدة حجازية

يهتف بالهجر في كل ليلة   اصدق منها وصله وكذب
فلا موعد ناله سدين قال لي   وحق شيب ان في الحب يشب

قلت والناس في الاماني على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس كربه ويرى فيها النفس وتعلق من حبال آمالها بحبال الشمس ومنهم من يقول للحب التجي مما يجي فري الاماني من الخلاع والوقوع في النزاع ولكل من القولين حجة ومذهب وسلوك المحجة ومن احسن ما سمعته في القول الاول قول بعض بني الحارث

اماني من سعدى حسان كانما   سقتنا بها سعدى على ظما بردا
منى ان تكن حقا تكن احسن المنى   والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وقول الآخر

وما حللنا منزلا طله الندا   انيقا وبستانا من النور حاليا
احبتنا طيب المكان وحسنه   منى فتمنينا فكنت الامانيا

وقال افلاطون المنى حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال عنترة المنى يعني موتي انه لم يشغلك عند الهلاك وقيل لاعرابي ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق واماني تقطع بها ايامك وقال القاضي الفاضل واحسن ما شاء وقد وجدت بيع كتبه ودعم قربه فرجعنا الى العادة وعادت ايامنا قصيرة الى الحسن ورققنا منا قصعا ووقتنا المنى وما كانت تخلو وان خلوت فانها كالامنية اتمنى تلك الليالي المنيرات وجهد المحب ان يتمنى

وقال يا قوت الرومي

ازهى؟

لله ايام تقضت بكم … ما كان احلاها واهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها … شي سوى ان نتمناها

الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

اصبو الى البان بان عنه هاجرني … تعللا وبليان بعطفها منه
عصر مضى وحلا بيت الحبيب قبل … لم يبق من طيبه الا امنيه

وقال العفيف اسحق كاتب الانشا للناصر داود

لولا مواعيد آمال اعيش بها … لمت يا اهل هذا الحي من زمن
وانما طرفي مالي به مسرح … يجري على الاماني مطلق الرسن

وقال ابن الخفاجه

وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى … تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا انس الا ان اضاحك ساعة … تعود الاماني في وجوه المطالب
سحبت الدياجي فيه سود ذوايب … لاعتنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر

في المنى راحة وان عللتنا … من هواها بعض ما لا يكون

وقلت انا

وقلب عدا مما يكابده … من دمعه الصب يجري في مجاريه
لم يبق منه سوى روح يرددها … لولا المنى مات بالقطع امانيه

وقلت

يا طيب ريح سرى من نحو سحرا … ولا تلاقيه قلبي في الهوى تلفا
كم ذا اعلل قلبي بالنسيم وما … ارى لذا آخر في هواه شفا

فقال ابن دقيق

لا تيأسن لو احظى في ذلك الروض النضر
وكان ذلك بالمنى ولا تشهنك بالمنير

وقال آخر

مطلتني بموعد ماطلني يا حبيب به
ودعيني افوز منك بغير تطلبه
حتى يبيت الزمان بحظي فتنبه

وقال آخر

وشادن قلت له هل لك في المنادمه

فقال كم ما شئت سفك في المنادمه … وقال ابو البركات الحاتمي
لي حبيب لو قيل لي ما تمنى … ما تعديته ولو بالمنون
اشتهي ان احل في كل طرف … لا راه بلحظ كل العيون

وقال ابن زيدون

اما آنس قلبي فات جميعه … يا ليتني اصبحت بعض مناك
يدنيه من املك حين شط به النوى … وهم اكاد به اقبل فاك

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى … خلت اني وما اراك اراكا
واذا ما تنفس النرجس الغض … توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللني فيك … باشراق ذا وبهجة ذاكا

وما اجتمع بارباب العقول الثاقب واكثر افعال العوام اساة فاكثر ما تلقى الاماني كواذبا وقال الخالدي ولا تكن عبد المنى فالمنى رؤس اموال المفاليس

وقال بن سرف القيرواني

علل تمنوا في البيوت اما نيا … وجميع عمار الليالي اماني

وقال ابن المعتز

لا تاسفن من الدنيا على امل … فليس باقيه الامثل ماضيه

قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التي رزقتم وقال رجل لابن سيرين رايت كاني اسبح في غير ما والطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الاماني

وحكى ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة منها لبن وهو يقول متمنيا انا ابيع هذا اللبن بكذا وكذا ثم ابيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالي وتحسن حالي واخطب بنت الحجاج واتزوجها فتلد لي ابنا وادخل اليها يوما فتخاصمني فاضربها برجلي هكذا فرفس برجله فكسر البستوقة وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا فقال اليس لو رفست امي هكذا لفجعتني فيهما

وقال علي بن عبيدة الاماني تخائل الجهل وقال عبد الاماني تخدعك وعند الحقائق تدعك اشقاه الزكي عبد الرحمن القوصي حتى عند الملك المظفر بن ان يلي حماه فانشده متى اراك ومن تهوى وانت كما … تهوى على رغم راغم تحيي في ذلك هناك انشد والامال حاضرة … هنيت بالملك والاحباب والوطن فوعده اذا ملك حماه ان يعطيه الف دينار فلما ملكها انشده

مولاى هذا الملك قد بلته   برغم مخلوف من الخالق
والدهر منقاد لما شئته   وذا وان الموعد الصادق

فدفع له الف دينار واقام معه ولن منه اسفار وانفق فيها المال الذي اعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه **فقال**

ذاك الذي اعطوه جملته   قد استردوه قبلك قبلك
فكيف لم يعطوا ولم ياخذوا   وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من ذلك فكتب له بها **فقال**

اخرجني من كسر بيت مهدم   ولي فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم اعدم مكانا يضمني   وان مت لم يعدم ذكي من سموت

فحبسه المظفر وقال ما ذنبي اليك قال حسبي الله ونعم الوكيل فامر بخنقه فلما احس بذلك قال **قال**

اعطيتني الالف تعظيما وتكرمة   يا ليت شعري ام اعطيتني ديتي

قلت فقد جعل السلطان حتفه عجلا لاجل قوله وحسبي الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فكان حاله معه **كما قيل**

وكنت كالمتمني ان يرى فلقا   من الصباح فلما ان رآه عمي

ومن القائل

ربما يرجوا الفتى نفع فتى   خوفه اولى به من امله
رب من ترجوا به دفع الاذا   سوف ياتيك الاذا من قبله

فكرت هنا **قول** الاخر

لما بالعارض في خده   قلبي مال النعيم المقيم
مثلث هذا عارض ممطر   فجاءني فيه العذاب الاليم

وقال ابن سناء الملك من رسالة الى المحبوب وان الذي يقصني من يده ويقصني من باله وان الذي فصلني بذاته ليتحمل الوصل مدة حمله بفضاله وان الذي لحظني بالقي واسمت في من كان فيك بلومي

لعل عينا اصابتنا فلا نظرت   اوقد مشيا فالقيما بيننا كذبا
او   لعل عتبك محمود عواقبه   وربما صحت الاجسام بالعلل
او   لعل الرضا منكم وكيف منالي   ليرقوا ما ساء منكم الهجر
او   لعل ما في النفس يرجع اوله   وجرح بقي في القلب يخمد ناره
او   لعل خاطفة تلفت الى اعلام الحقيقة يبن الوصل والطمع

لولعل

او   لعل عين الرضا من كلفت به يوما يتهرج ما املته حاد
او   لعل نعما انا قد تولى سيثنى الينا فقلبا قد قسا سيلين
او   لعل ذنوب العفو والعفو واسع يجريها العافي على مفرق الذنب
او   لعل سلوا للفؤاد يعوده وذا غلط حاشى فؤادي ان يسلوا
او   لعل وما يغني لعل وانها علالة صب واستراحة هائم

ولا اقل من التعلل بلعل وما اقل غناها واكثر عناها لعل وما يغني لعل لانها علالة صب واستراحة هائم **الباب الثاني والعشرون في الرضى من المحبوب باليسير**

مطلوب اخول هذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع والعاشق المنوع ممن يقنع من الحبيب بالنظر ان حضر ويقنع منه بالسلام ولو مرة في العام فهو يرضى منه بالنزر اليسير كما قيل وقلبك لا يقال له قليل

انا دامن منكم بايسر شئ   يرتضيه من عاشق معشوق
بسلام على الطريق اذا   ما جمعتنا بالاتفاق الطريق

وقال المعري

لا فاك في العام الذي وفى ولم يسلك الا قبلة في القابل
ان البخيل اذا تمد له المدا في الجود هان عليه بذل النائل

وقال حبيب

اقلب طرفي في السماء لعله   يوافق طرفي طرفها حين تنظر

وقال ايضا

واني لارضى من بثينة بالذي   لو استبقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبان لا استطيع وبالمنى   وبالامل المرجو قد خاب امله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي   اواخره لا نلتقي واوائله

قلت انظر الى هذا الشاعر الظريف والعاشق اللطيف العفيف قد قنع من اهل اجابة بالوصل واكتفى بالتلميح من خلل الاسنار والكلال

ومن هذا النوع المبتكر **قول ابن المعتز**

الشاري النجم الذي هو طالع   عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الافق لحظي ولحظها   فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع

والعلم المشهور في هذا الباب **قول بعض الاعراب**

اليس الليل يجمع ام عمرو   وايانا فذاك بنا تدان
نعم وارى الهلال كما تراه   ويعلوها النهار كما علاني

كان الشيخ اثير الدين ابو حيان يقول عن صاحب هذين البيتين هذا والله العاشق المتنوع

اخر

الى الطائر الغر انظري كل ليلة ... فان اليه بالعشية ناظر

عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده ... فنشكو جميعا ما تجن الضمائر

وقال بعض الاعراب

وما نلت منها وصلها غير انني ... اذا هي بالت بلت حيث تبول

ذكرت هنا ما حكي عن بعضهم انه راى امراة حسناء في طاقة فاحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت الطاقة الى ان اعيا وقل صبره وحصل على الياس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها محفة وقال هي سيدتك تبول فيها فبالت له في الصحفة وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع بذلك فلم يزل الى ان دخل بعض الخرب فوضع ايره في ذلك البول وقال يا مشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرقة

وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال لسليمن عليه السلام اريد ان تكون في ضيافتي فقال له سليمن انا وحدي فقالت لا بل انت والعسكر كله في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمن وجنوده الى هناك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمن وجنوده من ذلك حولا كاملا اخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثلا ... ان فاتك اللحم فاشرب المرقة

الباب الثالث والعشرون في اختلاف الاشباح لاختلاط الارواح

اقول هذا باب عقدناه لذكر من افرط في العناق اذا التفت الساق بالساق فاصبح هو ومحبوبه كالشخص الواحد في راى العين حتى عند الاحول الذي يرى الشيء شيئين وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي قلب صاحبها بالوصال ولا تنقطع حبال دموعه بالاتصال

كما قيل

وكدت وهو صحيح ان اقول له ... من شدة الحب قد ابعدت فاقترب

وقال ابن الرومي

اعانقه والنفس بعد مشوقة ... اليه وهل بعد العناق تداني

والثم فاه كي تموت حرارتي ... فيشتد ما القى من الهيمان

ولم يك مقدار الذي بي من الجوى ... ليشفيه ما ترشف الشفتان

كان فؤادي ليس يشفي غليله ... سوى ان يرى الروحين يمتزجان

وقال اخر

سريت اليه والظلام كانه ... صريع كرى والنجم في الافق ساهد

فلو ان روحي مازجت ثم روحه ... لقلت ادن مني ايها المتباعد

وقال ابو الحسن التونسي

ثم اعتنقنا فصرنا معا ... في ظلمة الليل ونور العتاب

جسمين صارا في الهوى واحدا ... كشكلتين اختلطا في كتاب

وقال خالد الكاتب

كانني عاشق ريحانة ... تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى ... حسبتنا في جسد واحد

وقال نفطويه النحوي

ولما التقينا بعد بعد بمجلس ... تغازل فيه اعين النرجس الغض

جعلت اعتمادي ضمه واعتناقه ... فلم نفترق حتى توهمته بعضي

ومن الحسن قول ابي بكر الاربلي

هم الرقيب ليسعى في تفرقنا ... ليلا وقد بات من اهواه معتنقي

عانقته فاتحدنا والرقيب اتى ... فلم ير الا واحدا وولى على حنق

فقال سيف الدين المشد

ولما زار من اهواه ليلا ... وخفنا ان يلم بنا مراقب

تعانقنا لاخفيه فصرنا ... كانا واحد في عقد كاتب

وقال اخر

توهم واشينا بليل مزاره ... فهم ليسعى بيننا بالتباعد

فعانقته حتى اتحدنا تعانقا ... فلما اتانا ما راى غير واحد

قال قاضي القضاة كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين مسكين اعمى وقال ابو الفضل

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا ... ونحن نحكي عناقا شكل تنوين

دهر وقد علقت روحي بكفي جنانكم ... ببهم هجرك ترمي ثم تنويني

ومثل هذا القول في عدم السلامة ولو جيد الملامة قول ابن سناء الملك

وليلة بتنا بعد سكري وسكره ... مبدد وسادي ثم وسدته يدي

وبتنا كجسم واحد من عناقنا ... والاحرف في الكلام مشدد

لو قال كحرف في النظام ما وقع في الملام لان الحرف المشدد في اللفظ معدود عند العرب وعيبين بحرفين واما في الخط فلا فعلى هذا لا يتم له ما اراد

ولو جعل ساعده للمحبوب كالوساد ولا عذل لان الوزن ساعده وانه على بعضه هذه الفائدة وقال بعض شعراء الذخيرة

بلينا ورا الحجاب بلحظنا … برد وقار والسمل مشمل
اتاه من شدة التعانق فله … صار الكرم بالروح يشعد
لو ان عيبا السما امطرنا لم … الارض تحتنا بلك

قال محمد بن عروس اجتمعت انا وعلي بن الجهم في سفينة ونحن عين منغاد من تذاكرنا فوجدته حلو المذاكرة فكان نعجبني ما قلتم انا اشعر الناس فقلت بماذا قال بقولي

الا ليت ليلا ضمنا بعد هجعة … وادنا فوادي من فواد معذب
وبتنا جميعا لو تراق زجاجة … من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقلت والله لقد احسنت ولكني اشعر منك قال باي شي فقلت بقولي

لا والمنازل من نجد وليلتنا … بغيداد جيدا انا بتنا جسدا
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه … نوما فما انفك لا حد ولا عضد

والاصل في كل هذا قول بشار وهو من الشعر الملوكي

ومرتجة الارداف ممكورة الحشا … يمور بحر عينها دنذر
اذا نظرت مبتذ عليك صبابة … وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الما بيننا … الى الصبح دوني حاجب وستور

ذكرت بقولي في اول الباب الاحول الذي يرى الشي اثنين قول بعض المغاربة في مليح لم رقيب احول

بابي ساعوي مع الاحسان … مليكة موصوفها انسان
لحوى الجفون له رقيب احول … الشي في ادراكه شيئان
بالله من الذي انا مبصر … وهو المخبر في الغزال الثاني

وقال ابن اسرائيل

قد بالغ في حديثه بالمين … من قال رايت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذو حول … من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقال صدر الدين الوكيل يقولون لي لو زالت باحول
يقلب بالتعجب قلت لهم عذرا

الباب الرابع والعشرون في عود المحب كالخلال الطيف الخيال

وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الورد بالكتب

هذا باب عقدناه للذكر ما ورد به النحول الى الذبول

وهم

وامسي كالطلايح الطلول … فهو من شدة الضر كما قال حمدون ذكره ناحل ابن تلك الخيام عنسه بعض المنابها … فيحوبه في الجفا واحد
كالالف وهو في النوم كالخيال يمشي الى خلف

ولما رانى كعود الخلال وجسمي كالنسج العنكبوت
فقال تموت الى كم تتيك فقلت ابتلى ان اموت

والعلم المشهور في هذا الباب قول المتنبي

ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدني … وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا … اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا انني رجل … لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال ايضا

ولو قلم القيت في شق راسه … من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقال ايضا الا ما طاعة العاذل … ولا راى في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم … وتابى الطباع على الناقل
واني لاعشق من عشقكم نحولي … وكل فتى ناحل
ولو زلتم ثم لم ابككم … بكيت على حبي الزائل

وقلت انا من قصيدة

كان صبابة الافق حتى سرت … به نسيم الصبا من نحو ارض الاحبة
كان الصدا بين الجبال متيم … ولم يبق منه غير صوت وانة

وقال العماني

ترك اصفراري والنحول كلاهما … في الصوفي حبي سيد العشاق
فكانه الف بخط مذهب … جعل الدجى ارقه اوراقا

وقال المنشد

ان جفاني الكرى وواصلني … فله العذر في التخلف عني
لم يغل الهوى بجسمي شخصا … فاذا جاءني الكرى لم يجدني

ابن لولو … وادفي خيال من حبيب … سرت داره لما اف
فمن سهري يلم فما اراه … ومن سقمي يطوف فلا يراني

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر

ايها الشائل بالخطوص … هو من دوث الورى مقتنص
لا تلم طاير قلبي هربا … انه من اضلعي في قفص

وقال مصر المغربي

اذابه الحب حتى لو توهمه بالوهم خلق لاعياه توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه لم يدره بعيان من يكلمه

وقال محاسن الشوا

منيت وحتى من اهوى بوصلى وعادان الخيال وكان عايد
فاشبهت الذى للسقم نقصا وان خالفته صلة وعايد

وقال الارجانى

ولولا سنادن ما لم يعفن من الضنى ولا اصبحوا من حملها خمصا أبى
ولكن نحلت مثل شمس منبره فلحت خلال الضو مثل هباء

وقال آخر

فدكان لى فيما مضى خاتم فذف حسبى فمنطقت به
وزادنى السقم فلو زجنى فى مقلة النائم لم ينتبه

وقال ابو العتاهيه

لم يبق الا القليل فى وما احسبها تترك الذى بقيا

وقال ابن عبد ربه

رايت العاشقين لهم جسوم براها الشوق لو نفخوا لطاروا
دا

وقال آخر

ولما راى اهلى سقامى تجاوز حده حد السقيم
سددت منافذ العيناء عنى مخافة ان المه مع النسيم

وقال آخر

واذا عاد دمنا لكلامى لعب بى انفاسه فى الفراش

وقال آخر

عبثت به ايدى الضنى فكانه سر خفى فى ضمير كتوم

وقال طافر الحداد

انحلنى حبك بل بلغنى وزادنى الشوق فلم اعرف
وذبت حتى لو رمى بى الهوى فى ناظر الناظر لم يطرف

وقال ناصر الدين القفجى

يقول حبى لنحولى عند افراط فى خو ضنى واكتئاب
هل لك يا سقم ما لم يكن تلبس والله عليه الثياب

وثما يتخرط فى هذا السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد
بالغ ابن اسرابيل فيه حيث يقول

واها على الخصر الرقيق وانما نظم الطريف حديثه الموصوف
حصرا دبر عليه معصم قبلة فكانه تقبيلى له تعنيق

وقال الشيخ صفى الدين الحلى

مليح يغير الغصن عند اهتزازه ويخجل بدر التم عند شروقه
لما فيه معنى ناقص عن حضوره وما فيه شى زايد عن رشيقه

قلت احذق قول بلدينا محمد بن العفيف وارادفى وعلى
الحسن تفصيل وجوى خلقه ليعثر على المعنى هتك بل تعثر والفرق بينهما
كما بين الابلاج والكوثر والخصر والخنصر الاترى قول ابن العفيف وحلاوة
تنطقه الظريف

فكم تيجانى حضره وهو ناحل وكم تيجانى دفه وهو بادد
وكم بلحى صوفا وهذى جفونه تقرر بها للعاشقين قواعد

وقال ايضا

شكوت الى ذات الجمال صبابة تكلف جفنى انه قط لا يعفوا
فلانت لى الاعطاف والخصر رق لى ولكن تجافى الشعر واثاقل الردف

وقال ايضا

تلعب الشعر على ردفه اوقع امرح تبلى فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره رفقا به ما انت الا ثقيل

وعلى ذكر الردف ما احسن قول الاخر

للبدر من وجهه نكته ودرة فى الظبى من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه كانه يمشى الى خلفه

وقال الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح راقص

﴿ حبا رق قده اعتدال مهفهف مائل عدل ﴾
﴿ قد خففت عطفه شمال وثقلت حفنه شمول ﴾
﴿ ثم انثنى راقصا بقد تثنى الى عجوة العقول ﴾
﴿ يجول ما بيننا بوجه فيه مياه الحيا يجول ﴾
﴿ ودبح الرقص منه عطفا خفف به اللطف حول ﴾
﴿ معطفه داخل خفيف وردفه خارج ثقيل ﴾

وقال ابن رشيق

احمل الثقال على دوفه   وامسك الحصن لئلا يضيع

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

سالت النقا والبان يحكي ناظري   روادفا واعطافا من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها   وقال قضيب البان ما انا قدها

الباب الخامس والعشرون في ذكر ما يكابد من طلب الاحباب من الامور الصعاب

وغير ذلك مما يناسبه من تحمل المشاق والم الفراق كقوله

شكى الم الفراق الناس قبلي   وروع بالنوى حي وميت
واما مثلما ضمت ضلوعي   فاني ما سمعت ولا رايت

اقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار في طلب الاوطار فهو لا يزال مشغولا بحاله مقبلا على احماله يقاسي في طلب الحبيب من الاهوال ما هو اثقل من الجبال ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال

ومن طلب الاحبة كان اسخى   ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من   نضى من دون مطلبه حسامه

وقال الطغرائي

لا اكره الطعنة النجلاء قد شفعت   برشقة من نبال الاعين النجل
ولا اهاب الصفاح البيض تسعدني   باللمح من خلل الاستار والكلل

فقال الامام بن الامام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحب فيك وانني   لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما الحب من حسن ولا من سماجة   ولكنه شيء به الروح تكلف

وهذا البيت الاخير مثل قول الاخر

وكم في الناس من حسن ولكن عليك لشقوتي وقع اختياري فقد اعترف هذا العاشق لاعترافه بان ثم من هو احسن من محبوبه ولكن غلبة الهوى وميل النفس اوقعاه في هواه ومن احسن ما سمعته في طلب الاوطار وركوب الاخطار في طلب الاحباب قول ابن خفاجه

لقد جبت دون الحي كل تنوفة   يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمه   ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجبت ديار الحي والليل مطرق   منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر

اثيم

اثيم بها برق الحديد وربما   عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم الق الا صعدة فوق لامة   فقلت قضيب قد اطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق اشقر   فقلت حباب يستدير على خمر
ضربت وقلب البرق يخفق غيرة   هناك وعين النجم تنظر عن شزر

قلت انظر الى هذه الابيات التي افرغت في قالب عجيب واسلوب غريب فبينا صاحبها يصف ادهم الليل اذ مال عنه الحيد كل الميل وبينا هو يكافح الاسود اذا شهد على النهود وبينا هو يقيم تقعد الملاح مقام التملح اذا به يقول الحديد هاهي صدعن بين انها فانا ابن قيس لا براح قد احسن فيها الاستعارة وما ابو منظمها العالي وعددها السبعة الثانية فنظمه كالنجوم المتلبس بحالته كالرجوم ومن شعره في هذا النمط ودرع الرجل في هذا النمط قوله

وليل طرقت المالكية عشية   احد على حكم الشباب مزارا
تخال الطنا اطراف الاسنة انجما   ودست بهالات البدور ديارا

فقال ايضا

تعللني منه بموعد رشفه   حبال الريق يطلع لبات
شفقت عليه لجة من صوارم   عليها حباب من اسنة مران

فقال ابن بسام

لقد صبرت على المكروه اسمعه   من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم   لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

فقال الاخر

تهون علينا في المعالي نفوسنا   ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

فقال الاخر

يغوص البحر من طلب اللآلي   ومن طلب العلى سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام ليلا   لقد اطمعت نفسك بالمحال

فقال المتنبي

تريدين ادراك المعالي رخيصة   ولا بد دون الشهد من ابر النحل

الباب السادس والعشرون في طيب ذكرى حبيب

اقول هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال وذكر محبوبه حين نكرت النصال على النصال فكل موقف الوقوف فيه هرب

والموت عنبه ولا سيما اذا اقيمت القسي مقام الحواجب والنبل الحدق
بنهود الكواعب واشتبهت الرماح بالقدود والبيض بحمرة الخدود وهناك
يحيل حبيبه المشار اليه بعضب جفنه لا يلهيه عنه ضرب الحسام ولا يصد
عرضا للسهام وعلى هذا حكاية الطغرائي التي اربى فيها على عنترة العبسي
وزاد بها في الوفا درجة المحبة على كل اجنبي وانسي وهي ما حكاه غير واحد من
ارباب التاريخ من حنبلي وحنفي وشافعي ومالكي وذلك ان مؤيد الدين
فخر الكتاب ابو اسمعيل الحسين الاصبهاني المنشي المعروف بالطغرائي وكان للاتابك
للملك مسعود لما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين اخيه السلطان محمود بالقرب
من همدان والري انهزم الملك مسعود كان اول من اخذ الطغرائي فلما عزم
السلطان اخوه محمود على قتله بعد ان قيل له عنه اشيا من جملتها انه ملحد وانه
يحب المملوك الفلاني من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه
فاعزوه حيلة الى ان لم يقتله وان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه
بالسهام ففعل ذلك واوقفنا انا خلف الشجرة من حيث ان يشعر به الطغرائي واوصى
ان يسمع ما يقول وقال لارباب السهام لا ترموه الا اذا اشرت اليكم فوقفوا والسهام
في ايديهم مفوقة لرميه واخبرني بعض من حكى لي هذه الحكاية من اهل الادب انه قال
من فوق اليه السهم المملوك المتهم بحبه فانشأ الطغرائي في تلك الحال **يقول**

ولقد اقول لمن يسدد سهمه — نحوي واطراف المنية شرع
والموت في لحظات احور طرفه — دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى — فيه لغير هوى الاحبة موضع
اهون به لو لم يكن في طيه — عهد الحبيب وسره المستودع

فامر السلطان باطلاقه وحل وثاقه لما راه من ثبات جنانه ومحبوبه فعلمه
هذا العاشق على من قد تقدمه من المصنفين بهذا الوصف كابي عطا السندي حيث

يقول

ذكرتك والخطي يخطر بيننا — وقد نهلت منى المثقفة السمر
فوالله ما ادري واني لصادق — اداء عراني من حبابك ام سحر

وقال عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل — مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها — برقت كبارق ثغرك المتبسم

ومما ادر في قول الطغرائي ايضا

اني لاذكركم

اني لاذكركم وقد بلغ الظما مني — فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتي عاينتهم — قبل الممات ولو بيوم واحد

وقال آخر

ذكرت سليمى وحر الوغى — كقلبي ساعة فارقتها
وشبهت سمر القنا قدها — وقد ملن نحوي فعانقتها

وقال ابن تميم

الا من مبلغ المحبوب اني — وقفت والظبى حولي صليل
واني جلت في جيش الاعادي بروحي — وهو في فكري يجول

وقال ابن مطروح

ولقد ذكرتك والصوارم — لمع من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو ففي الحشا — شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبي وهلم جرا شيمتي — حفظ الوداد فكيف عنه ارجع

وقال الشريف البياضي

ولقد ذكرتك والطبيب معبس — والجرح منغمس به المسبار
وادير وجهي قد فراه حديده — وبيمنه حذرا على يسار
فيشغلني عما القيت وانه — لتضيق عنه برحبها الاقطار

وقال ابن رشيق

ولقد ذكرتك في السفينة — والردى متوقع بتلاطم الامواج
والجو مهطل والرياح عواصف — والليل مسود الذوائب داج
وعلى السواحل للاعادي عسكر — يتوعدون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة — وانا وذكرك في الذ تناج

وقال ابو الثنا محمود

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع — والموت يرقع في جنبي حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله — حسنا تزفل في رداء مذهب
سامي السماء من تطاول نحوه — للشهب مسترقا رماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري — يلهو بطيب ذكرك المستعذب

وقال صفي الدين الحلي

ولقد ذكرتك والعجاج كانه — مطل الغني وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جندل — ومناو بين معفر في مغفر

فظننت اني في صباح مسفر … بضيآء وجهك او مسآء مقمر
وتقطرت ارض الكفاح كانما … فتقت لنا ارض الجلاد بعنبر

وقال ايضا

ولقد ذكرتك والعجاج كأنه … تحت السنابك والاكف مقطب
والهام في افق العجاجة حوّم … فكانها فوق السنود نسور
فاعتادني من طيب ذكرك نشوة … وبدت علي بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي … والراح تجلى والكوس تدور

وقال اخر ولها حكاية الطغراي المتقدمة المذكورة في منازل الاحباب

ولقد ذكرتك والرماح شوارع … عند الامام وساعدي مغلول
ولقد ذكرتك والذي انا عبده … والسيف فوق ذرابتي مسلول

وقال ابو طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه … يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وللناس على هذا البيت كلام وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان

لقد ذكرتك والبحر الخضم طغت … امواجه والورى منه على سفر
في ليلة اسدلت جلباب ظلمتها … فما نكوكبها عن اعين البشر
والماء تحت وفوق المزن واكفة … والبرق يبدل اسيافا من الشرر
والفلك في وسط الماء تحسبها … عينا وقد طبقت شفرا على شفر
والروح من خوف ذلك وقد بلغت … صدري فما لك من وجد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي … وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وقلت انا في رمل طويل من مصر الى الشام من مقامه

ولقد ذكرتكم برمل دونه … في قلب كل مشرّق ومغرّب
وسوابيا صنة كالدبا من حولنا … لسوادهم سدوا فسيح السبسب
والقضب تبرع هام كل مدجج … من كف اشوس بالحروب مهذب
واسنة الارماح تلمع في الدجى … كوميض برق في الدجى متلهب
وعلى الغرابي كل نسر وافح … يبري ادىم المنية منه بمخلب
والرعد للارماح بعد قاصف … والنجم يهتك كالهزبر الاغلب
والبر بحر بالدماء والبحر بر بالفتح … فكل كلب احسب
وعلى البوارح غارة مشغوفة مما … فيها المنون يجول النجاس مهرب
واثابا ودنا بالعشي كانني فيه … اعنى بالترياب وزينب

واقول احبتي بدعون ما … انا فيه من لهو وعيش طيب

وقال مجنون ليلى

ذكرتك والحجيج له ضجيج … بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام … به لله اخلصت القلوب
اتوب اليك يا رحمن مما … جنيت فقد تكاثرت الذنوب
فاما عن هوى ليلى وتركي … زيارتها فاني لا اتوب

وللناس على هذا البيت الاخير كلام وحكي عن ليلى الاخيلية انها مرت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذي قال

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت … علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقا … اليها صدا من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال اقسمت عليك لما دنوت منه وقلت عليه فابت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك وزقا فنفر منه جمل ليلى فوقعت من اعلاه فاندق عنقها فصفقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وهذا من العجاب لانه وفا لها بما التزمه بعد الموت وقد قال الغ الاخرجب

لو حز بالسيف راسي في محبتها … لمر يهوي سريعا نحوها راسي
ولو بلي تحت اطباق الثرى جسدي … لكنت ابلى وما قلبي لكم ناسي
او يقبض الله روحي صار ذكركم … روحا اعيش به ما دمت في الناس

وقال آخر

ولقد ذكرتك والظلام معيشي … وانا وحيد في البويت وحيد
والحوت يصفر من نفوري في الهوى … ما فيه من خل يكون عنيدي
والبق والناموس حولي عسكر … يتقاتلون على شريب دمي
والفار يلعب في الزوايا دائما … ويبط كالقفاع فوق كويني
والعنكبوت نحول حول خيمته … يصطاد ذبابا يجوز كويني
والاكل خبز مثل راسي يابس … والشرب من زمن دخين بليد
وسماع نغمات طنين بعوضة … وصريرصرة وصفر بويمي
فوجدت تعنيق الغول كلما … نطت لانك مثلها في الخفية
وجدت ابدي العنكبوت … لشبهها باصابع لك شبهها في
وطربت من صوت الصراصر بعمة … اذا استبهن نغمات بكي يا حبي

ويك شوقا كيف لا انثني معي تشتهين تشتهي فخري فتي

الباب السابع والعشرون في ذكر طرف يسير من المقاطيع الرائقة والاغزال الفايقة

مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك اقول هذا باب عقدناه لذكر طرف يسير من الغزل والنسيب ومحاسن التشبيب مما يطرب سامعه ويوجد للطالع السعيد الحسن انتفاعه كقول بلدينا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

اسعدني بالملعب البديع الى ومن شقوتي حظ جذبك نائل
نعم قلتناها في الجفا تطاولا وعند النا هي بعض التطاول
وما كنت مجنون الهوى قد ابيح لقلبي من صدغيك في الاسر نائل
ولولا اساني من لحاظك فاتك لما كنت ادري انه قد ذابل
ولم لا نفتح الوجد فيك وناظري لنسخة حسن من سناك يقابل
ولو ان فينا واصفا منك وجنة لا عجزه منك بها وهو بابل

نعم هذا الباب من اوسع هذه الابواب مجالا واحلاها اجر بالا واحسنها خطايا واعذبها رضابا فيه يتبين سمين الشعر من غثه وجليله من دقه ولا يكاد يخفى فيه الاذاك وذاك ولا يدركه الا كبير الدراية وما ادراك وقد تقدم ان اغزل بيت قالته العرب قول بشار انا والله اشتهي سحر جفنيك واخشى مصارع العشاق

وقال ابن العفيف

وعيون امرضن جسمي واهون بقلبي لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض سواه ما الايام ورددها من نوال
لم اكن من جناتها علم الله واني بحرها اليوم صال

وقال ايضا

يحكي الغزال بنظره ولفته من زاره مقبلا ولا انفتي
احسن خلق الله لفظا وفا ان لم يكن احق بالحسن فمن
في ثغره وخده وشكله الما والخضرة والوجه الحسن

ولهذه الابيات حكاية اتفقت لابن البيقي المقتول بالقاهرة فقال ايضا

اذا ما رمت حل البند قالت بعاطفة حمانا لا تحل
وان جليت بوجنته مدام ترى لعذاره دودا نزل

وقال ايضا

بدا وجهه من فوق اسمر قده وقد لاح من سود الذوايب في جنح

فلت

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى وقد طلعت شمس النهار على ريح

وقال ايضا

احلى من الشهد من هويت وكم فيه في الهوى مرادات
وكيف لا يستطاب ريقته وثغره سكر نبات

وقال اخر

ومليح قال صفني انت في القول فصيح
قلت قولا باختصار كل ما فيك مليح

وقال ابن نجيم المعمار

ومليح قال صف حسني اذا دم سرورا
كم حوى جفني مضى قلت الفا وفتورا

وقال ايضا

جانكت في شرع الهوى فانني فلدم طل على خده
فانهم الحاكم لخطاله يخشى الفتنة من عنده
وقال الحق لما راى قد غرمني مال مع قده

وقال خطيب سمهود

قال لي من هويت سبته قوامي وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل ما لحته يد النسيم فمالا

وقال السراج الوراق

قلت للاهيف الذي فضح الغصن كلام الوشاة ما يخفى لك
قال قول الوشاة عندي ريح قلت اخشى يا غصن ان يميلك

وقال آخر

قال لي اهيف المعاطف صف لي هيفي قلت با سبق القوام
لك قد لولا جوارح لحظيك لغنت عليه ورق الحمام

وقال النور الاسعردي

قد فقنا الخمر والماء والخضرة والاهيف الرشيق القوام
ونكا مناسب الناس نهدا فلماذا يوذوننا بالكلام

وقال ابن خفاجه

ومهفهف طاوي الحشا كالغصن يخطو ان خطر
فاذا رنا واذا سنا واذا شفا واذا سفر
فضح الغزالة والحمامة والغمامة والقمر

الله اعلم لو اندت زيادة وحب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها   خروا لعزة ركعا وسجودا

وقال ايضا وهو من احسن ما ورد في حسن الحديث

من الخفرات البيض ود جليسها   اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

وقال ابن الرومي

وحديثها السحر الحلال لو انه   لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي اوجزت   ود المحدث انها لم توجز

وقال ابن حمديس

لا يمل الحديث منها معادا   كانما في الهوى لنا يتجدد

وقال ابن ابي الحديد

بالله صنع فديتك فوق محاجري   فلقد منعت من الوصال بذاكا
واطال محادثتي فان مسامعي   تهوى حديثك مثلما اهواكا

وقال   ومليح قلت ما الاسم حبيبي قال مالك
قلت صف لي وجهك الزاهي وصف حسن اعتدالك
قال كالبدر وكالغصن وما اشبه ذلك

وقال العطوي ذات خدين ناعمين ضنين بما بينهما من التفاح
ونثايا ورتقة كغدير من عقار ودوحة من اقاح

وقال امرؤ القيس

خليلي مرا بي على ام جندب   نقض لبانات الفؤاد المعذب
الم تراني كلما جئت طارقا   وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقال المنبري واحسن في الوصف

وبيضاء مكسال لعوب خريدة   لذيذ لدى ليل التمام التزامها
كان وميض البرق بيني وبينها   اذا حان من بعض البيوت ابتسامها

وقال ابن ابي ربيعة

طفلة باردة القيظ اذا   معمعان القيظ اضحى يتقد
سخنة المشتى لحاف للفتى   تحت ليل حين تغشاه الصرد

وقال المتنبي

ارحت ثلث ذوائب من شعرها   في ليلة فارت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها   فارتني القمرين في وقت معا

وقال ابن المسوفي الاندلسي

رايت

رأت قمر السماء فاذكرتني ÷ ليالي وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن ÷ رأيت بعينها ورأت بعيني

قلت

وللناس عليه كلام ولهم على فهمه زحام حتى ان بعضهم وضع فيه كتابا

وقال آخر

بروحي وجسمي ذلك العارض الذي ÷ غدا مسكه فوق السوالف سائلا
دري خده الى اجتنى بجنبه ÷ فاظهر لي حبل الجنون سلاسلا

وقال سعد الدين محمد بن عربي

لما تبدى عارضاه في غلط ÷ قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط ÷ وقال قوم انها اللام نقط

وقال آخر

رأيت الهلال على وجه من ÷ رأيت الهلال على وجهه

وقال آخر

برزت فقابل ناظري من وجهها ÷ مرآة حسن بالجمال صقيل
ابكي فانظر ادمعي في خدها ÷ تجري فاحسب انها تبكي لي

وقال ابن قلاقس

نوق خديك دليل ان نهد بك ثمار ÷ ما اختفى الرمان الا وبدا الجلنار

وقال الخبز ارزي

رأيت الهلال ووجه الحبيب ÷ فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي منهما ÷ هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد في الوجنتين ÷ وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب ÷ وكنت اظن الحبيب القمر

وقال محمد السلامي

بدايع الحسن فيه مفترقه ÷ واعين الناس فيه متفقه
سهام الحاظه مفوقة ÷ فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته ÷ هذا مليح وحق من خلقه

وقال ابن رشيق

معتدل القامة والقد ÷ مورد الوجنة والخد
قل للذي يعجب من حسنه ÷ اقرء عليه سورة الحمد

وقال ايضاً

شكوت بالحب الى ظالمى ÷ فقال لى مستهزياً ما هو
قلت غرام ثابت قال لى ÷ اقرء عليه قل هو الله

وقال شيخ الشيوخ بحماه

سألته من ريقه شربة ÷ اشفى بها من كبدى حره
فقال اخشى يا شديد الظماء ÷ ان تتبع الشربة بالجره

وقال الحيى الخباز

طلبت منه قبلة قال لى ÷ اياك ان تطمع فى القرب
البوس ثالبثر واخشى بان ÷ تتبع الشا البثر بالقلب

وقال ابن اسد

ارتقاً من رضابك ام رحيقا ÷ رشفت قلت من سكرى مفيقا
وللتهيباء اسماء ولكن ÷ جهلت بان فى الاسماء ريقا

وقال السراج الوراق

قال من شبه ريقى بالزلال العذب زلا ÷ انما ريقى شهد قلت ذا من فيك احلى

وقال اخر

ظبى ترى وجهك فى وجهه ÷ وتشرب الخمرة من فيه

وقال اخر

ما انصفوا اذ لقبوه شاربا ÷ من بعد ما امسى لقلبى اكلا

وقلت انا

يا صاح سكرى من هوى اغيد ÷ قوامه كالغصن ان ماشا
ساقيه ما لاح لى كاسه ÷ ذكرنى شاربه الاسا

وقلت ايضا من قصيده

فتاة حين زارتنى عشاء ÷ رايت الشمس ليلا وسط دارى
فورد خدودها ما لاح الا ÷ واحرق عاشقيه بجلنار
فصف لى شعرها الليل طول ÷ وقل فى الخصر قولا باختصار
تدير لنا من اشفها عقاراً ÷ قريب العهد من كاس مدار

منها

عدمتك يا عذولى اضر قل لى ÷ اذا لاح العذار فما اعتذار
كانك ما شعرت بان حتفى ÷ غدا بعذاره حسن الشعار

غدوت

غدوت مكاتبا فيه بخط ÷ قريب الشكل من القلم الغبار
سقانى من مقبله شرابا ÷ طهورا لم يدنس باعتصار
واعقب وصله هجرا فقلبى ÷ على جرف من الهجران هار
اذا ما قاد لى يوما هواه ÷ مشيت وقطر دمعى كالقطار
ايطمعنى بخفض العيش دهرى ÷ وجر الدمع فيه على الجوار
جرى

وقلت

ايضا من قصيدة امدح بها مولانا السلطان

تزاد حمت التهانى والسرور ÷ ولبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل انشراح ÷ وافراح واحباب حضور
بروج الافق منها فهو بدر ÷ وافق بروجها فيه بدور
تغازلنا اللواحظ فى دجاها ÷ فما نامت ولا فترا الفتور

منها

اغار من النسيم بها اذا ما ÷ تصافح كفه فيه الستور
اذا اشرقت ذراها واستدى ÷ لمنبت الحب فى الدنيا نثور
لها ثغر يصون الدر مما ÷ يبيت عليه من خفر خفير
وفرق بين ضوء الصبح لما ÷ يلوح وبينه فرق كبير

وقلت ايضا

الباب الثامن والعشرون
فى ذكر طرف يسير من اخبار المطربين المجيدين من الرجال

وذوات الجمال وما فى معنى ذلك من نكرموا الا نفهم . ووصف لا تهم
اقول هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء . بسماع الغناء
ومن كل محب يشبب بالشباب . ويتغنى بالرباب . فهو يطرب بالعود
والناى . ويجمع من المذكر والمونث بين الشى وضده . لا لكيسه وغير ملاهيه
ولا سيما اذا كان فى الغنا ممن يعرف الصواب . ويقيم الاعراب .

ويشبع الالحان ويعدل الاوزان ويصيب اجناس الايقاع ويعطي النغم حقها من الاشباع ويختلس مواضع النبرات ويستوفي ما شاء كلها من النقرات ويحكم الاختلاس ويملأ الانفاس وغير ذلك مما هو معروف عند ارباب هذا الشان من القيان ممن جمع في ذلك بين الحسن والاحسان

كما قيل

مانغنت الا تفرج هماً … عن فؤادي واقلعت احزان

تفضل المسمعين طيباً وحسناً … مثلما تفضل السماع العيان

والناس في الغنا كلهم عبيد معبد واسحق الموصلي الذين هما اطبع المتقدمين في الغنا فيما حكاه غير واحد من ارباب التاريخ وفي معبد

يقول حبيب

محاسن اصناف المغنين جمة … وما قصبات السبق الا لمعبد

يقول البحتري يصف صهيل فرس

هزج الصهيل كان في نغماته … نبرات معبد في الثقيل الاول

ومعبد هذا كان منقطعاً الى البرامكة ومات في ايام الرشيد واخباره اشهر من ان تذكر وقد ذكرها صاحب الاغاني وغيره واما اسحق الموصلي فانه كان من العلم والادب والرواية والتقدم في الشعر وساير المحاسن اشهر من ان يوصف وهو الذي صحح اجناس الغنا وميز طرائقها تميزاً لم يقدر عليه احد قبله ولا بعده من تدقيق المجاري وتمييز الاصناف التي جعلوها صنفاً واحداً وهي في نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ مثله وابن مثله ومن كان مرجعه والغنا اربعة النغم والتاليف والايقاع والقسمة وكان قد سال المامون ان يكون دخوله مع اهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا اراده للغنا غناه فاجابه الى ذلك وقال الواثق ما غناني اسحق قط الا ظننت انه زيد في ملكي وان اسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ احد بمثلها ولوان العمر والشباب مما يشترى لشريته له بشطر ملكي وجلس عنده ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام فسبح الوجه بقدح الى اسحق فلم ياخذ منه فقال له ابراهيم الا تشرب

فقال

اصبح نديمك اقداحاً يسلسلها … من الشمول واتبعها باقداح

من كف ريم مليح الدل ريقته … بعد الهجوع كمسك او كتفاح

لا اشرب الراح الا من يدي رشا … تقبيل راحته اشهى من الراح

قد عابوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها اقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم امر بتوجيهها اليه بكلما معها الى داره ومما لحنه اسحق وله حكاية ظريفة

قل لمن صد عاتباً … ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي اردت … وان كنت لاعبا

واعترفنا بما ادعيت … وان كنت كاذبا

وقد تركت حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف في اخبار اسحق في هذا الموضع وحكى ابو الفرج انه اهديت للرشيد جارية في غاية الجمال فخلا معها في قصره يوما واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد على الفي جارية في احسن زي من الثياب والجواهر فوصل الخبر الى ام جعفر فغلظ ذلك عليها وارسلت الى علية اخت الرشيد تشكو اليها فارسلت اليها علية لا يغيظك هذا فوالله لاردنه اليك وقد عزمت ان اصنع شعرا واصوغ عليه لحنا واطرحه الى جواري فابعثي الى كل جارية عندك والبسيهن انواع الثياب والجواهر حتى القي عليهن الصوت مع جواري ففعلت ام جعفر ما امرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت عليه من قصرها ومعها ما ينيف عن الفي جارية عليهن غرايب اللباس وكلهن في نغمة واحدة هزج في هذين البيتين

منفصل عني وما … قلبي عنه منفصل

يا قاطعي قال لي لمن … نويت بعدي ان تصل

فطرب الرشيد وقام على رجليه حين استقبل ام جعفر ومعه علية وهو في غاية السرور وقال لم ار كاليوم سروراً قط وقال لمسرور الخادم لا تترك في الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره في ذلك اليوم ستة الاف الف درهم وما سمع بمثل ذلك اليوم قط وحكي عن القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه في الميل اليه فنزل واحضر له طعاما وغنت

جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح … وزهى بحمرة خدك التفاح

واذا الربيع تبسمت ارواحه … نمت بعرف نسيمك الارواح

واذا الحنادس البست ظلماتها … فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي طربا بها على ظهر هديه ثم خرج قال راويه فلقد

ولیته یکبر علی الجنازه و هذه الابیات علی طریده وما احسن قول ابن تمیم في عواده

وفتاة قد اضنت العود حتی ÷ راح بعد الجماح وهو ذليل
خاف من عرك اذنه اذ عصاها ÷ فلهذا كما تقول يقول

وقال آخر

سقى الله ارضا نبتت العود كالذي ÷ زكت عنه اغصان وطابت معادن
تغنا عليه الطير والعود اخضر ÷ وغنا عليه الغيد والعود يابس

وقال ابن قاضي ميله

جائت بعود يناغيها ويسعدها ÷ فانظر بدايع ما خصت به الشجر
غنت على عوده الاطيار مفصحة ÷ غضا فلما ذوى غنت به البشر
فلا يزال عليه او به طرب ÷ تهيجه الاعجمان الطير والوتر

وقال ابن حجاج

هذا ومحسنة بالعود عاشقها ÷ بذلك الطيب في الاحسان مسرور
اذا انثنت تغنت خلت قامتها ÷ غصن عليه قبيل الصبح شحرور

وقال آخر

وجاريتر اذا اغنتك صوتا ÷ فما لك من فراق الحكم بد
كان يسارها في العود برق ÷ ويمناها اذا ضربت رعد

وقال آخر

اشارت باطراف لطاف كانها ÷ انابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار جسا كانها ÷ بنان طبيب في مجس عروق

وقال النور الاسعردي في جنكية

لبنت شعبان جنك حين تنطقه ÷ يغدو باصناف الحان الورى هازي
لا غرو ان ساد الباب الرجال لها ÷ اما تراه يحاكي مخلب البازي

وقال الصلاح الاربلي واحسن ملشا

الجنك مركب عقل في تشكله ÷ والزق قلع له الاوتار اطناب
يجري بريح اشتياق في بحار هوى ÷ يوم ساحل وصل فيه احباب

وقال ابن دانيال في دفية

ذات القوام الذي يهتز غصن نقا ÷ لو مر يوما عليه طاير صدحا
تبدي على الدف كالجمار معصمها ÷ لنقرة ببنان يشبه البلحا

غناؤها

غناؤها برقيق الغنج تمزجه ÷ فما ينقط الا كل من شحا

وقال ابن العديم في مغنية

والله لو انصف الاقوام انفسهم ÷ اعطوك ما ادخروا منها وما صانوا
ما انت حين تغني في مجالسهم ÷ الا نسيم الصبا والقوم اغصان

وقلت انا في مغنية

وغانية مكملة المعاني ÷ بلطف ما عليه من مزيد
اذا ما اطربتنا بالمثاني ÷ تثنت بين رمان النهود
تغار الشمس منها حين تبدو ÷ كغصن البان في خضر البرود
باطراف من الحناء حمر ÷ والحاظ كبيض الهند سود
سوالفها من الريحان اطرى ÷ يواجهها الشقيق من الخدود

وقال آخر

بابي اغاني غانيت ÷ ابدا باوضاء النفوس
لنشدو فنزمر بالكوس ÷ لدو ونرقص بالروس

وقال آخر

وزامر يبعث في زمره ÷ الى قلوب الناس افراحا
كان اسرافيل في نايه ÷ ينفخ في الاموات ارواحا

وقال ابن قرناص في مشبب

ومطرب قد رايناه في انامله ÷ شبابه لسرور النفس اهلها
كانها عاشق وافت حبيبته ÷ فضمها بيديه ثم قبلها

وقال ابن قرناص في مليح مشبب

مشبب بجفاه راح يقتلنا ÷ فان تداركنا بالنفخ احيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته ÷ والاذن تعشق قبل العين احيانا

وقلت انا

رعى الله ارباب اليراع فانهم ÷ ازاحوا عن الذي غنهم بالهوى العذري
مواصيلهم من نفخهم كل ساعة ÷ جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وقلت ايضا ملغزا في شبابه

وخرساء ان نطقت رايتها ÷ تناقض فعلها امرا عجيبا
منقبة وليس لها ازار ÷ توافينا ولم نخش الرقيبا
فتاة ان خلوت بها صحبه ÷ رايت لهم معي منها نصيبا

بنا زعني هواها كل صب ∴ وان لم تشبه الرشا الربيبا
فكم من عاشق فضحته فينا ∴ وكم جمعت بمجلسها حبيبا
تجدد لي اذا نطقت سرورا ∴ تعيد زمانى الباقى قشيبا
اروق من النسيم الرطب صوتا ∴ واسرع في الودى منه هبوبا
تعاذل دائما بعيونها من ∴ يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومي اذا ما همت فيها ∴ وانشد في مر الشعر الغريبا
وشبب لي بها ابدا وقل لي ∴ ضروب الناس عشاق ضروبا
فاعذرهم محب ذو ملال ∴ واعذرهم اشفهم حبيبا

وقال المصيص الخياط يهجو عوادا

واذا تربع لا تربع بعدها ∴ وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان جرذان المدينة كلم ∴ في عوده يقرض خبزا يابسا

وقال اخر

اذا غنى لي القرشى ∴ دعوت الله في الطرش
وان ابصرت طلعته ∴ فيا لهفي على العمش

وقال اخر

قينة ملعونة من اجلها ∴ دفض اللهو فلا من بغضه
واذا غنت ترى في حلقها ∴ كل عرق مثل بيت الارضه

وقال اخر

غناؤك عندي يميت الطرب ∴ وضربك للعود يحيي الكرب
ولم ار قبلك من قينة ∴ تغني واحسبها تنتحب

وقال اخر

ومغن حين غنا ∴ يتحاشى في الاغاني
قلت اذ غنا عراقا ∴ ليته في اصبهان

وقال اخر

واسمعنا دارا سحا فرجعت ∴ بضرب لها انسد منه المسامع
فوالله ما ادري كلاب تهارشت ∴ بحلقومها ام نقنقته الضفادع

وقال اخر

تحسبها للضعف من صوتها ∴ ذبابة في قبضة العنكبوت

وقال اخر

غنا ابو الفضل فقلنا له ∴ سبحان مخليه من الفضل
غنا لى دحنا على شربه ∴ فاشرب فانت اليوم في حل

وابلغ ما قيل في ذم المغني قول كشاجم

ومغن بارد النغمة مختل اليدين ∴ ما رآه احد في داره يوما مرتين

وقال اخر

ومغن يتغنا ∴ اذهب اللذات عنا
فسالناه سكوتا ∴ فابى يسكت عنا
فشتمناه فغنى ∴ فاشتفى الفؤاد منا

وقال اخر

مغنية سوء الفاظها ∴ تميت السرور وتحيي الكرب
مقبحة الوجه مفلوجة ∴ فلا للزناء ولا للطرب

وقال اخر

ولرب زامرة تهيج بزمرها ∴ ريح البطون ثقيلة المترنم
شبهت انملها على مزمارها ∴ وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا او غدت ∴ تسعى اليه على جيار الشنبر

هذا مثل قولهم في المثل: انصر الحامل والمحمول: ودار الوكا له

وقال الاخر

كانه في حالة العيان ∴ خنافس دبت على ثعبان

وما احسن قول الوجيه الذروى فيمن يعتني بالذباب ويجمع بين الاحباب

لا تعتبوا ابسوى الهند جعفر ∴ فالشيخ في كل الامور مهذب
طورا يغني بالرباب وتارة ∴ تاتي على يده الرباب وزينب

الباب التاسع والعشرون
في ذكر من ابتلى من اهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان

اقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا ومن لم نعرفهم باسمائهم فمنهم من اتصف بالانصاف وسلك طريقة السلف في العفاف وهذا النوع فيما يظهر اعز من الكبريت الاحمر ولم اره ولا رايت من راه وان وجدا اسمه فاين مسماه فاشهد بصدق مقالتي او لا تكذبني بواحد هيهات بل فضاري اهل هذا العصر ان يعشق احدهم بكره ويواصل الظهر وتسلوا العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من اهل المدينة فيما حكاه عمرو

بن شبه **قال** كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان
راى من راها فاذا اظفر بها فى مجلس تشاكيا وانشد الاشعار واليوم يشير
اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يشك حبًا ولم ينشد شعرا
وقام اليها كانه على نكاحها امين الامناء

كما قيل

• لم يحظ من داخل الدهليز منصرفا ÷ الا وخليتها قد فارق الشنفا •

وقال الاصمعى قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت العناق والضمة
والغمزة والمحادثة ثم قالت يا حضرى فكيف هو عندكم قلت يقعد ما بين
رجلي عشيقته ثم يجهدها فقالت يا ابن اخى ما هذا عاشق هذا طالب ولد
وسئل اعرابى عن ذلك **فقال** هو مس الوجنة ولثم الثغر والاخذ
من اطايب الحديث بنصيب فكيف هو عندكم ايها الحضر فقال العفر الشديد
والجمع بين الركبة والوريد وهو يوقظ النيام ويوجب الانام فقالت بالله ما
يفعل هذا العدو فكيف الحبيب **قلت** وقد تقدم ان الملوك ليسوا اكثرهم
فى العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب بعشقه الى ترك تدبير ملكه
وهناك طبقة اخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يشغلهم عن الاشتغال لهم بصنايعهم
وبضاعتهم وطبقة اخرى يتخلون باديانهم وعقولهم عن شغل قلوبهم بما
لا يحل لهم ويحرم عليهم وما سوى هؤلاء فان عشقهم عرض من الاعراض بل عرض
من الامراض اذا وصلوا اليه اسرع انصرافهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى
اخر العمر وهذا هو الغالب على اهل زماننا هذا وهو اضعف انواع الحب اذ يوجد
عند الفراغ ويذهب عند الشغل ويحدث عند غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها
فهو اضعفها لا محالة رام صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفا ويحب بقليل الوفا
ومن كانت هذه حاله سهل امره والظفر بالبول بجرمه فمن اهل هذا العصر من
اقتصر على دمية القصر فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع فى الامرد
العذار المتسلوعن وجنته الحمراء النار ولا العار ومنهم من قرن بين القرينين و
جمع من المذكر والمؤنث بين الضدين فتراه ياتى على ما حضر ولا يتوقف عند
صورة من الصور

كما قيل

• انا الرجل البصير بكل امر ÷ دخلت من التصابى كل باب •
• فيهوى المرد والشبان قلبى ÷ ولا يابى مواصلة الكعاب •

وقد نادى بك الجن على هذا حيث

قال

• اعشق المرد والتكاريش والشيب ÷ وعندى مثل البنين البنات •
• حيثما اشتهى ويعشق عندى ÷ حيوان يحل فيه الحياة •

وقال ايضا

• انا من قولى مليح او قبيح مستريح •
• كل من يمشى على وجه الثرى عندى مليح •
• حبذا ما تنكح عندى حيوان فيه روح •

ونحو قال ابن نعيم مضمنا

• ومعشر عذلوا لما ركبت على ÷ احوى محاسنه فحجن فعلهم •
• دع تعذلوا اما استطلعوا انى رجل ÷ لو استطعت ركبت الناس كلهم •

وقال بعض مشايخ العصر

• وعارض قلام فى عارض ÷ وطاعن يطعن فى سنته •
• وقال لم قد طلعت ذقنه ÷ فقلت لا افكر فى ذقنه •

وقال ايضا

• شبت وحيدى بشبابيه ÷ من سنا البدر اوجه •
• كلما شاب يخضى ÷ بيض الله وجهه •

وقال بعض مشايخ العصر ايضا

• وقد عنفونى فى هواه بقولهم ÷ ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن •
• فقلت لهم كفوا فانى دافع ÷ وحقكم بالوحيد فيه الى الذقن •

وقال بعض مشايخ العصر ايضا

• وكامل العارض قبلته ÷ فصد لى وازور من قلبى •
• وقال كم انما اعز فعلى ذا ÷ وانت ما تفكر فى لحيتى •

وكتبت انا الى بعضهم

• ليهن مولانا حبيب لم يزل ÷ بوصله فى كل حين محسنا •
• كم زينته لحية فى وجهه ÷ انبتها الله نباتا حسنا •

فكتب الى الجواب عن ذلك بقوله

• يا مادحا اللحية سلوانها ÷ عن روضها المازهار تجنيا •
• مذ انبتت فيه نباتا حسنا ÷ قبلتها امنه قبولا حسنا •

فكان كما قيل

حاشا المتلوع هواه يتوب ÷ هو دون كل العالمين حبيب

اهواه طفلا في القماط وامردا ÷ وبلحية واذا علاه مشيب

وقال بعض مشايخ العصر ايضا وقد عشق شيخا

كلفت بشيخ كان مشيبه ÷ على وجنتيه ياسمين على ورده

اخا العقل يدري ما يراد من الفتى ÷ امنت عليه من رقيب ومن صده

وقالوا الورى قسمان في شرع الهوى ÷ اسود اللحا ناس وناس الى المرد

فقلت لهم لو كنت اصبو الامرد ÷ صبوت الى هيفا مياسة القد

وسود اللحا ابصرت فيهم مشاركا ÷ فاخترت ان ابقى بابيضهم وحدي

وقال اخر وقد عشق عجوزا

كلفت بها شمطا شابت وليدها ÷ وللناس فيما يعشقون مذهب

قال ياقوت الحموي وقد ظلم اهل الموصل من خصهم بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل وقال فيهم الشاعر

كتب العذار على صحيفة خده ÷ شطرا يلوح لناظر المتامل

بالغت في استخراجه فوجدته ÷ لا راي الا راي اهل الموصل

ولقد جبت البلاد ما بين جيحون والنيل فقل من رايته يخرج عن هذا المذهب فلا ادري لم خص به اهل الموصل قيل وليس الامر كما ادعاه ياقوت من كل وجه لان مجرد الميل الى الذكور لا يخلوا منه بقعه وانما اهل الموصل يزيدون على ذلك بانهم يميلون الى اصحاب الذقون وربما مالوا الى من في عذاره شيب ويقولون هذا شعره وشعره اي شعره سود او شعره بيضا وبعضهم يسميه دز زوري هذا قل ان يوجد في غير بلادهم وقد رموا بهذا من بين اهل البلاد هم واهل سكندرية لانهم يقولون ما نعطي فلبيسا تنا الا لمن ينفقها على عايلته ولبدانيا ما نعطيها لمن ياكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية في كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما افضا اليه بهم الهوى من الهلاك القطيع والعقوبة المستمرة ثم قصة قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق ائمة الفساق ناكحي الذكران وتاركي النسوان وكيف اخذهم وهم في خوضهم يلعبون وقطع دابرهم وهم في سكرة عشقهم يعمهون وكيف جمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على امة من الامم اجمعين وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتاخرين قال ولما تجروا على هذه المعصيه وتمردوا ونهجوا لاخوانهم طريقها واقاموا بها و

تعدوا

تعدوا فضجت الملائكة الى الله من ذلك ضجيجا وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا وهربت الملائكة الى اقطار السموات وشكتهم الى جميع المخلوقات وهو سبحانه قد حكم انه لا ياخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة عليهم والتقدم بالوعد والوعيد اليهم فلما خالفوا الرسول المرسل اليهم ووقعت الحجة عليهم فعل الله تعالى بهم ما اخبر به في كتابه العزيز فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد فقد عاقبة اللوطية عشاق الصور وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

فان لم يكونوا قوم لوط بعينهم ÷ فما قوم لوط منهم ببعيد

وانهم في الخسف ينتظرونهم ÷ على مورد من مهلة وصديد

يقولون لا اهلا ولا مرحبا بكم ÷ الم يتقدم ربكم بوعيد

فقالوا بلى لكنكم قد سننتم ÷ صراطا لنا في العشق غير حميد

اتيتم الذكران من عشقنا لهم ÷ فاوردنا ذا العشق شر وروده

فانتم بتضعيف العذاب احق من ÷ متابعكم في ذاك غير رشيد

فقالوا وانتم رسلكم انذرتكم ÷ بما قد لقيناه بصدق وعيده

فما لكم فضل علينا فكلنا ÷ نذوق عذاب الهون دون مزيده

كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم ÷ ويجمعنا في النار غير بعيده

وحكى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان عن الاصمعي انه قال دخلت يوما انا وابو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها ابو عبيدة مكتوب على نحو سبعة اذرع

صلى الاله على لوط وشيعته ÷ ابا عبيدة قل بالله امينا

فانت عندي بلا شك بقيتهم ÷ منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

فقال يا اصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان اثقلته فقال اثقلتني وقطعت ظهري انزل فقلت له قد بقيت الطا فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب ظهره واثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا نهرب وكان الذي كتب ذلك ابو نواس

قلت وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط فصل في النظر الى وجه الامرد ذكر الحافظ محمد بن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم غلام امرد ظاهر الوضاءة فاجلسه عليه السلام وراء ظهره

وقال كانت خطيئة من مضى النظر وفي الكامل عن ابي هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رايتم الرجل يلح بالنظر الى غلام امرد فاتهموه وصرح الشيخ محي الدين النووي في المنهاج بتحريم النظر الى وجه الامرد بشهوة وبغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن ابن واقد عن عمر بن ازهر عن ابان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجالسوا اولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم ما لا تشتاق الى الجواري العواتق ❊ وكان ابراهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهم من السلف ينهون عن مجالسة المردان ❊ وقال النخعي مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء وحكى عن ابي سعيد الخراز وكان من المشايخ المعروفين بالزهد والعبادة انه قال رايت ابليس في منامي وهو يمر عني ناحية فقلت تعال فقال ايش اعمل بكم انتم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا ثم قال غير ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة الاحداث فاخذت العصا لاضربه فقال انا ما اخاف من عصا انما اخاف من نور القلب وقال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا من الابدال كلهم يقول اياك ومعاشرة الاحداث وحكى ابو عبد الله احمد بن الجلاء قال كنت امشي مع استاذي فرايت حدثا جميل الصورة فقلت اترى يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال اذ نظرت اليه سوف ترى غبها قال فنسيت القران بعد عشرين سنة ومن المعلوم ان النظر الى الامرد يوقع في سكرة العشق كما قال تعالى عن عشاق الصور لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فالنظر كاس من خمر العشق وهو سكر ذلك الشراب وسكر العشق اعظم من سكر الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق قلما يفيق الا وهو في عسكر الاموات

❊ سكران سكر هوى وسكر مدامة ⁂ ومتى يفيق فتى به سكران ❊

انشدني بعض مشايخ العصر

❊ يا من غدا بالمرد ذا الوعة ⁂ ما انت في حبهم بالمصيب ❊
❊ في الخرد العين الذي تشتهي ⁂ ومنهم يفضلن بحر الجنيب ❊

وقال اخر

❊ حبك للغلمان ما امكنك النسوان عين ⁂ انما عشق في الطهر اذا اعوز بطن ❊

على ان في عشق النسوان ايضا والنظر الى من لا يجوز النظر اليها ما فيه ❊ مما لا تدرك تلافيه ❊ وقد ثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء قلت ولا سيما نسوان هذا الزمان من كل شمس خدر تطلع مع قوادها بين قرني الشيطان وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق والخروج بعد زوجها من الباب الى الطاق وانشد

❊ شغل المرد بالبدال واضحى ⁂ نسوة الناس شغلهم بالسحاق ❊
❊ كل جنس بجنسه قد تلهى ⁂ فغزاة يا معشر الفساق ❊

حكى عن بعضهم انه قال لجارية تساحق ارجعي الى الحق فقالت الحق بعض فرادي تريدان النحو بعض حروف الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة وما احسن ان يقال في حقها

❊ معرمة بالسحاق اضحت ⁂ تبكي عليه بكل عين ❊
❊ ما اتقنت في الحنو الا ⁂ تصنيف اسحق في حنين ❊

وحكى ان رجلا دخل الى بيت فوجد امراتين وهما في السحق فجذب التي هي من فوق وقعد مكانها وقال هذا اهل يحتاج الى حبال ورجال وقيل جوح بريد القتيل ايش ينفع اللزقات وقال الشيخ زين الدين الوردي من اهل العصر

❊ قولوا لمن تهوى السحاق لذة ⁂ حرمه الله فما فيه خير ❊
❊ اخطات يا كاملة الحسن اذ ⁂ اقمت اسحاق مقام الزبير ❊

وقال اخر

❊ قل لمن تدعي السحاق ⁂ الى كم تساحقي ❊
❊ ليس يخفى عليك ⁂ من جميع الخلائق ❊
❊ غير ذا الاقرع الفقير ⁂ الحليق الجوالقي ❊

وقال ابن سناء الملك

❊ يا هذه لا تستحي منه ⁂ قد انكشف المغطا ❊
❊ ان كان كسك قد تنادى ⁂ ان ايري قد تمطا ❊

وقال بعض مشايخ العصر المعاد

❊ ايري اذا انذبته لحاجة تختص بي ⁂ قام لها بنفسه ما هو الا عصبي ❊

وسالني بعض الاصحاب ان انظم خلف هذا فقلت واستغفر الله واتوب اليه

❊ تاخرت لحيضها فقلت لا تعرتجي ⁂ ايري هذا عصبي تدخل معك في الدم ❊

وقال بعض مشايخ العصر

وكنت اذا رايت فلو عجوزا ÷ تبادر بالقيام على الكراع
فاصبح لا يقوم لبدر تم ÷ كان البخس قد ولي الوزاره

وقلت انا

يا ايوان قر الجيب مسلما ÷ وانشاد بحولك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولا تلو احقا ÷ ما في وقوفك ساعة من باس

وقلت ايضا واستغفر الله العظيم

لما وفى الصيام الحب انشدني ÷ ابو فى قال الا شهد ماشلك ولحكم
فلا مرام لما عندي محالفة ÷ ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم

وحكى قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان بعد ان اورد قول بعضهم

ولقد قال لي صديقي لما ÷ ان راني اضر بي الافلاس
قم تسكع بذا القميص فهذا ÷ الان يوحي مثله دير اس
قلت قد كان ذا ولكن دهري ÷ اهله كلهم لئام خساس
اين من كان عندهم يرفع الان ÷ على الواحنين ثم تباس
اين من كان عالما بمقادير ÷ الايور الكبار مات الناس

ان الامير فخر الدين ابن الشيخ راى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين ابن قديم فكتب تحتها من خلف هذا الى امات

وقال اخر

زعموا انني خسرت عليها ÷ ليت شعري من اين تلك الخسارة
من مغل من ضيعتي من قماشي ÷ من بقايا اموال تلك التجارة
حضرتي ان حضرت راسي واري ÷ ثم الا بقطينة وخيار ه

وقال اخر

ويحك يا ابري اما تستحي ÷ تخجلني ما بين جلاسي
تطلع من طوقي كذا عاملا ÷ تنكس العمة عن راسي

وقال ابن مطروح

سالت من امرضني في قبلة تشفي الالم ÷ فقال لا لا ابدا قلت له نعم نعم
فقال خذها قلت لا الا سماحا وكرم ÷ قال اقسرا قلت لا الا على راس علم
قال فخذها بالرضا منى حلالا وانتسم ÷ فلا تسل عما جرى واستغفر الله وتم

الباب الثلاثون
في ذكر من اتصف من العفاف باحسن الاوصاف

وما يجري في ذيل ذلك من ان من مات العشق شهيد وان رايه حميد **اقول** هذا باب عقدناه لذكر اكثر المحبين صيانة واظهرهم ذلك واحسنهم سيره واذكاهم سريره واعفهم مع القدرة ولا سيما بنو عذره الذين هم اشد الناس غراما واعظمهم هياما فلذلك قلت و**اقول** العشق والعفه في بني عذره كثير والمقول منهم عشقا جم غفير فان ذكر احدهم بالعفة فجميل جميل الصفات صادق العزمات وسنورد من اخبار في هذا المقام ما يصدق هذه الدعوى ويحقق ان التسلي بالمحبوب عن غيره ضرب من التسلوى فمن ذلك ما حكاه محمد بن جعفر الاهوازي قال مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه فدخل عليه العباس ابن سهل وهو يجود بنفسه فنظر اليه ثم قال يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد ان لا اله الا الله قلت اظنه قد نجا وارجو له الجنة فمن هذا الرجل قال انا فقلت لرما احسبك سلمت وانت منذ عشرين سنة تشبب ببثينه فقال اني لفي اول يوم من ايام الاخرة واخر يوم من ايام الدنيا فلا نالتني شفاعة محمد صلعم والي يوم القيامة ان كنت وضعت يدي عليها لريبة قط فما قمنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة ومن غريب ما حكاه الزبير في اخبار جميل ان بثينة المذكوره بنته وهو من بني عذره وبنو عذره قبيلة مشهورة بالعشق في قبائل العرب ما اليهم ينسب الهوى العذري لانهم من اشد خلق الله تعالى عشقا **قال** سعيد بن عقبه لاعرابي ممن انت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذري ورب الكعبه ثم قال وم ذلك قال في نسائنا صباحه وفي فتياننا عفة **وقال** رجل لعروة بن الزبير ما هذا بالله اصحح ما يقال عنكم انكم ارق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلثين شابا في الحي قد خامرهم الموت ما لهم داء الا الحب **وقال** رجل من بني فزاره لرجل من بني عذره تعدون موتكم بالحب مزيه وفضيله وانما ذلك ضعف بنيه وضيق عقل ودق وخور تجدونه فيكم يا بني عذره فقال له اما والله لو رايتم النواظر الدعج من فوقها الحواجب الزج من تحتها المباسم الفلج والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر لاتخذتموها اللات والعزى ثم انشد

تتبعن مرمى الوحش حتى رمينني ÷ من النبل لا بالطائشات الخواطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم ÷ فيا عجبا للقاتلات الضعائف

وقيل لبعضهم ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب **فقال** احل الحار

واحرم ما وراء الازار واظهر للحب ما يرضي الرب وقال الحافظ ابو محمد الاكوى
ان امراة شق بها حدثه ان فتى علقها وعلقته وشاع امرهما فاجتمعا يوما
خاليين فقال لها هلي نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا
ابدا وانا اقرا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لبعضهم
وقد طال العشق لجارية من فوق من ما انت صانع ان ظفرت بها ولا يراكما الا الله
قال والله لا جعلته اهون الناظرين لا افعل بها خاليا الا ما افعله بحضرة
اهلها حديث طويل ولحظ من بعيد واترك ما يكره الرب ويفسد الحب وقيل
لاخر ما كنت صانعا لو ظفرت بمحبوبك فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان
في اثمها ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفنى وتبقى حسابها الا
ان ضلت هذا لئيم ولم يلدني كريم قلت وممن اتصف من العفاف بحسن
الاوصاف من الخلفاء هرون الرشيد وذلك انه عشق جارية فلما راودها
قالت ان اباك المهدي فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج على وجهه وكان

ينشد

• ارى ماء وبي عطش شديد • ولكن لا سبيل الى الورود •

فقال له القاضي ابو يوسف اوكلما قالت جارية شيئا تصدق قولها فقال الرشيد
ما فوق الخلافة مرتبة فما احسن عفة الجارية وامتناع هرون الرشيد مع شدة عشقه
لها ودخل عليه منصور بن عمار فاستدناه حتى الزمه ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا
امير المومنين تواضعك في شرفك احب الينا من شرفك فقال عظني فقال من حفظ في
جماله واسا من ماله وعدل في سلطانه كتبه الله من الابرار فبكا الرشيد وقال
زد لي فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا الكنت تشتريها قال
نعم قال فلو تعسرت عليك بعد شربها الكنت تشتري خروجها بالنصف الاخر قال
نعم فقال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبوله وحكي عن السلطان ملكشاه
السلجوقي انه حضرت بين يديه مغنية فاعجب بها واستطاب غناها فهم بها
فقالت يا سلطان اني اغار على هذا الوجه المليح الجميل ان يعذب بالنار وان الحلال
ايسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعا القاضي وتزوجها واقامت
في عصمته حتى مات رحمه الله تعالى وحكي عن السلطان نور الدين الشهيد انه
اشترى مملوكا بخمس مائة دينار وخلعة وبغلة وكان جميل الصورة وسلمه الى خادم
له كبير كان قدر في السلطان فقال له سهيل قال سهيل في نفسه انا لله وانا اليه راجعون
هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا اشترى هذا بخمس مائة قال فتركني

اياما

اياما وقال احضره مع المماليك يقف في الخدمة كل يوم فلما كان بعد ايام قال احضره
بعد العشاء الى الخيمة وتراني واياه على باب البرج فقلت في نفسي هذا الشيخ
في زمان شبابه ما ارتكب كبيرة ولما كبر سنه تقع فيها والله لاقتلنه قبل ان
يقع في المعصية فاخذت كتارة فاصلحتها وجئت بالمملوك وانا قلق فسهرت
عامة الليل ونور الدين في اعلا البرج ثم غلبتني عيني فنمت ثم استيقظت فوضعت
يدي على وجه الغلام فاذا به مثل الجمر وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي و
احضرت الطبيب فمات وقت الظهر فغسلته ودفنته فدعاني نور الدين
في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم قال لها سخيت فقال قد عرفت حالي
وانت ربيتني هل عثرت لي على زلة قلت حاش لله قال فلم حملت الكتارة وحدثتك
نفسك بالسوء ما انا معصوم لما رايت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت
اشتريه لعل يذهب عني ما انا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي اريد ان اراه
كل يوم فامرتك باحضاره فقالت اريد تحضره الى البرج بالليل فامرتك باحضاره
فلما حضر ما تركتني النفس انام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان اصعد الى صندلي
مدار كتي الله تعالى برحمته فكشفت راسي وقلت الهي عبدك محمود الجاهد
في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى الله عليه واله وسلم الذي عمر المساجد
والمدارس والربط تختم اعماله بمثل هذا فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك
يا محمود فعلمت انه قد حدث به حدث اما انت فجزاك الله خيرا والله ان القتل
عندي اهون من المعصية ثم احسن الى سهيل وحكي عن فاطمة بنت مر الخثعمية
انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه واله وسلم الى نفسها

للنور الذي رأته بين عينيه فابى

وقال

• اما الحرام فالحمام دونه • والحل لا حل فاستبينه •
• فكيف بالامر الذي تبغينه • يحمي الكريم عرضه ودينه •

قلت قصة عبد الله مع ليلى هذه مثل قولهم في المثل واحد يشتهي
لشهي اليمين والاخر يقطعه وذلك ان خالد معها الحال توبة مع ليلى الاخيلية
وهو ما حكي انه راودها عن نفسها فنفرت منه وانشدت

• وذي حاجة قلنا له لا تبح بها • فليس اليها ما حييت سبيل •
• لنا صاحب ما ينبغي ان نخونه • وانت لاخرى صاحب وخليل •

فكانت كما قيل

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا ÷ واخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل هذا قول الآخر

علقتها عرضًا وعلقت رجلًا ÷ غيري وعلق اخرى غيرها الرجل

وممن اتصف بالعفاف من ذوي الغرام الامام بن الامام محمد بن داود الظاهري وله في ذلك حكايات مشهورة وهذا موضع ايرادها ولنشر ايرادها فمن ذلك قوله لكل شيء زكاة وزكاة الوجه الحسن امكان اهل العفة من النظر اليه و حكي محبوبه محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلاني انه دخل على امير المؤمنين فسأله عن ابن داود وهل رايت منه ما تنكره فقلت لا يا امير المؤمنين الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي ثم يقول اللهم انت تعلم اني احبه واني اراقبك فيه قال فما بلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المراة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي واليت ان لا انظر احدا الى وجهي قبله وبادرت اليه فلما راني مغطا الوجه خاف ان يكون لحقني افة فقال ما الخبر فقلت رايت الساعة وجهي في المراة فاحببت ان لا يراه احد قبلك فغشي عليه قال الليث بن سكره كان محمد بن جامع ينفق على محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشقه الا هو قلت وقد رايت انا في هذا الزمان معشوقا ينفق على عاشقه ويتقرب الى قلبه بانواع البر هذا مع ما فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي ارانا في زماننا من يتخلق باخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا المعشوق حكايات غريبة اضربت عنها خوف الاطالة وكان محمد بن داود قد وضع كتاب الزهرة لاجل محبوبه محمد بن جامع المذكور وهو مجموع ادب اتى فيه بكل غريبة نادرة وشعر رايق وقال في اوله وما اشكو من تغير الزمان وانت احد مغيريه ومن خفاء الاخوان وانت المقدم فيه ومن عجيب ما اتى به الايام ظالم يتظلم وغاصب يتندم ومطاع يستطيل وغالب يستنصر ومن كلامه ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب وبدأت في كتاب الزهرة وانا في الكتاب ونظر الي في اكره ومن الطف ما يحكى عنه انه التقى هو وابو العباس ابن سريج في مجلس الحسن علي بن عيسى الوزير فتناظرا في مسالة من الايلاء فقال له بن سريج انت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته احذق منك ان تتكلم في الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فاني اقول

اراه في روض المحاسن مقلتي ÷ وامنع نفسي ان تنال محرّماه

داخل

واحمل من ثقل الهوى ما لو انه ÷ يصب على الصخر الاصم تهدماه

وينطق طرفي عن مترجم خاطري ÷ فلولا اختلاسي رده لتكلماه

رايت الهوى دعوى من الناس كلهم ÷ فلست ارى حبا صحيحا مسلماه

فقال له بن سريج ويم تفتخر علي ولو شئت لقلت

ومسامر بالغنج من لحظاته ÷ قد بت امنعه لذيذ سباته

ضنا بحسن حديثه وعتابه ÷ واكرر اللحظات في وجناته

حتى اذا ما الصبح لاح عموده ÷ ولى بخاتم ربه وبراته

فقال محمد احفظ عليه ايها الوزير ما اقر به من الاجتماع حتى يقيم البينة باشاهد عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك

اراه في روض المحاسن مقلتي ÷ وامنع نفسي ان تنال محرماه

فضحك الوزير وقال لقد جمعتما علما وفهما وظرفا ولطفا ومن لطيف ما يحكى عن محمد ايضا ما حكاه ابو القاسم الصايغ قال قال لي محمد بن داود ما خرجت من جامع المدينة ما الى باب خراسان منذ عشر سنة قلت ولم قال لاني دخلت ذات يوم فرايت غلامين من احسن الناس وجها يتعاتبان فلما راياني تفرقا فاليت لا ادخل من باب كنت فيه السبب في الفرقة بين المتحابين ودخل على ثعلب فقال له اراك هاهنا شوّقني ومنك

فانشده

سقى الله اياما لنا ولياليا ÷ لهن باكناف الشباب ملاعب

اذا العيش غض والزمان بغرة ÷ وشاهد افات المحبين غائب

ومن شعره

لكل امرئ ضيف يسر بقربه ÷ وما لي سوى الاحزان والهم من ضيف

يقول خليلي كيف صبرك بعدنا ÷ فقلت وهل صبر فيسال عن كيف

وقال بن السراج في كتاب مصارع العشاق له وعن ابي عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة النحوي نفطويه قال دخلت على محمد بن داود الاصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم اورثني ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين احدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة فاما النظر المباح فاورثني ما ترى واما اللذة المحظورة فانه منعني منها ما حدثني ابي قال حدثنا سويد بن سعيد قال حدثنا علي بن مسهر عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن بن عباس عن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من عشق وكتم وعف ثم صبر غفر الله له وادخله الجنة ثم انشد

انظر الى السحر يجري في لواحظه ... وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه ... كانهن نمال دب في عاج

وانشد بالنفس

ما لهم انكروا سوادا بخديه ... ولم ينكروا سواد العيون
ان يكن عيب خده بدد الشعر ... فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له نفيت القياس في الفقه واثبته في الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفوس ودعوا اليه ومات من ليلته رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف الناس في قوله عليه السلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال الحصري احب فكتم ووصل فعف وهو فمات فهو شهيد وقال اخر كتم اسم محبوبه وقال عثمان بن زكريا المؤدب احد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه انه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي في كتابه الواضح المبين هذا حديث اسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء اعلوه بما ليس بعلة يرد بها معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم من عشق وكتم الحديث ونقل في كتابه المذكور ايضا ان هذا حديث سنده كالشمس لا مرية في صحته ولا لبس قلت ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء اخذا بهذا الحديث منهم الرافعي وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم اطلق كالشيخ محيي الدين النواوي فانه اطلق ولم يشترط شيئا فقال والميت عشقا والميته طلقا يعني من الشهداء هذا مع شدته في الدين وعدم مساهلته في هذه الاشياء وما احسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودم القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا ان بينهما بونا لانهما مختلفان لونا وقال الامام العلامة ابو الوليد الباجي

اذا مات المحب جوى وعشقا ... فتلك شهادة يا صاح حقا
رواه لنا ثقاة عن ثقات ... الى الحبر بن عباس ترقى

وقال عبد الكريم القشيري

ان المحب اذا توفي صابرا ... كانت منازله مع الشهداء
يروي اقوام عدو الى صدقهم ... علماؤنا هيكم بهذا الداء

وقال الحسن بن هانئ

ولقد كنا روينا ... عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب ... ان سعد بن عباده
قال من مات محبا ... كان من اهل الشهاده

وقال ابن ملحة الحموي واحسن بانا

لا موا عليك وما دروا ... ان الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى ... او كان هجر فالشهاده

ثم انه عكس قوله هذا فقال

يا قلب دع عنك الهوى وتسترح ... ما انت غير حامد امراه
اضعت دنياك بهجرانه ... ان نلت وصلا ضاعت الاخراه

وقال اخر

خليلي هل خبرتما او سمعتما ... بان شهيد الغانيات شهيد

فقلت انا كاني حاضر اخاطبه

نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى ... وعف الى ان مات فهو شهيد
فحدث عن مقال النبي غير مبدل ... فذلك لما قد كنت منه تحيد
سباق الذي يروى بركب ذوي الهوى ... به كل يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم ... فمنهم قيام حولها وقعود
يعومون في بحر المدامع عندما ... تميل بهم سفن الهوى وتميد
ابكي دون العام من عام منهم ... وقد حق لا للبكا التبديد

اقول وقد انقضى الكلام على هذه الابواب المحكمة العقود والنظم المنقود المجبورة الكسور العالية القصور مشتملا كل باب منها على بيت قصيد وبحر مديد يبقى منثر غروسها ويزدهي المجدب من طروسها

بعينين نجلاوين لو رقرقتهما ... لنوء الثريا لاستهل سحابها

وما بقي الا ذكر مصارع العشاق واخبار من اصبح من المحبين الى الموت بالاشواق

ان لم امت في هوى الاجفان والمقل ... فواحياي من العشاق واخجلي
ما اطيب الموت في عشق الملاح كذا ... لا سيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبي اذا ما مت بينكما ... دون الشهيدين ورد الخد والقبل
فاستغفروا لي وقولوا عاشق غزل ... قضى صريع القدود الهيف والمقل

وقال بلدينا العفيف التلمساني رحمه الله تعالى في قتيل ابنه

للعاشقين باحكام الغرام رضى ∴ فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لاحبابي الذين قضوا ∴ عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا
قف واستمع راحما اخبار من قتلوا ∴ فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
راى فحب فرام الوصل فامتنعوا ∴ فسام صبرا فاعيا نيله فقضا

وقال جرير

ان العيون التي في طرفها حور ∴ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ∴ وهن اضعف خلق الله اركانا

وقال اخر

مازال يهوى المقلة ∴ قلبي الى ان قتله
الحمد لله الذي ∴ مات وما قيل سلا

وقال اخر

ترى المحبين صرعى في ديارهم ∴ كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا ∴ ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا

وقال اخر

دعا لومي فلومكما معاد ∴ وقتل العاشقين له معاد
ولو قتل الهوى اهل التصابي ∴ لما ماتوا ولو ردوا لعادوا

خاتمة الكتاب

في ذكر من مات من حبه وقدم على ربه

من صغير وكبير وغني وفقير على اختلاف ضروبهم وتباين مطلوبهم ولاجل ذكرهم اسست قواعد هذا الكتاب ودخلت منه في باب وخرجت من باب لا توصل منه الى ذكر من ساقه الهجر الى السياق وتحمل من العشق ما لا طاقة له به من الباب الى الطاق ومن هنا اشرع في ذكر مصارعهم وعرض بضائعهم واذ منهم الخاسر والرابح والفالح والطالح

ومنهم شقي وسعيد ومنهم قتيل وشهيد

حكى ابو الفرج بن الجوزي قال ذكر شيخنا ابو الحسن علي بن عبيد الله ان رجلا عشق نصرانية حتى غلب على عقله فحمل الى البيمارستان وكان له صديق يترسل بينهما فلما ازدبر الامر ونزل به الموت قال لصديقه قد قرب الاجل ولم القى فلانة في الدنيا واخشى ان اموت على الاسلام فلا القاها فتنصر ومات فمضى صديقه الى النصرانية فوجدها عليلة فقالت انا ما القيت صاحبي في الدنيا واريد

ان القاه في الاخرى وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم اسمع باعجب من هذه الحكاية ولا اعظم من هذه النكاية فقد سبق على صاحبها الكتاب وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب فابتلي من فراق محبوبته ودينه بدائين ودارت عليه دائرة الشوق في الدارين وكيف لا وقد ورد بكساده في الحب دار البوار واصبح بكفره واسلامها على شفا جرف هار

سارت مشرقة وسرت مغربا ∴ شتان بين مشرق ومغرب

ذكرت بهذه الحكاية قول عبد الوهاب الازدي برثي حبيبا له نصرانيا واحسن ما شاء حيث قال

اخي بودادك لا اخي بدياتة ∴ ورب اخ في الود مثل نسيب
وقالوا اتبكي اليوم من كان جاحدا ∴ غدا ان هذا فعل غير لبيب
فقلت لهم هذا اوان تلهفي ∴ وشدة اعوالي وفرط نحيبي
ومن اين لا ابكي حبيبا فقدته ∴ اذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني المذكور غلاما موسوما بالجمال خمارا فعلقه عبد الوهاب المذكور واشتهر به واقام ببابه في الحانة ثلاث سنين ويدخل معه الكنيسة في الاعياد والاحاد طول هذه المدة حتى حفظ كثيرا من الانجيل وشرائع اهله وهجره مرة فلم يجد اليه سبيلا وزعم انه عليه قسما شديدا ان كلمه الى مدة شهر فلما يئس دعا بالفاصد فافتصد في احدى يديه ودعا فاصدا اخر فافتصد في اليد الاخرى ودخل داره فاغلق باب بيته فحل الفصادتين فما شعر اهله الا والدم يدفع من سقف الباب فادركوه وقد اشرف على الموت فصالحه محبوبه النصراني خوفا على نفسه ومن شعره فيه

انظر الى الشامة في خده ∴ الحافظة كالسيف جراحه
كانها في حسنها اذ بدت ∴ حبة مسك فوق تفاحه

ومنهم شهيدان

ذكر التميمي في كتاب الامتزاج عن ابي زيد النحوي عن رجل من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل ذكر لي ان فيه راهبا احسن المعرفة باخبار الناس وايامهم فصرت اليه فوجدته في حجره وعليه زي المسلمين فسالته عن سبب اسلامه فحدثني انه كان في هذا الدير جارية نصرانية من بني تغلب كثيرة الاموال وانها هويت غلاما مسلما فكانت تبذل اليه الاموال والرغائب والغلام يابى عليها فلما اعيتها الحيلة اعطت رجلا مصورا مائة دينار على

ان يصور لها صورة الغلام كهيئته ففعل ذلك فما زالت تاتي كل يوم الى تلك الصورة فتلثم ما تحت منها ثم تجلس بازائها تبكي فاذا امست قبلتها وانصرفت فما زالت على ذلك مدة فتوفي الغلام فعلمت ما تم عليه سار بر مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وتبكي الى ان امست فباتت الى جانبها فلما اصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط كتبت عليه

تقول

ايا موت دونك روحي بعد سيدها ÷ خذها اليك فقد اودت بما فيها

اسلمت وجهي للرحمن مسلمة ÷ ومت موت حبيب كان يعصيها

لعلها في جنان الخلد يجمعها ÷ يوم الحساب وفي يوم البعث باريها

مات الحبيب فماتت بعده كمدا ÷ محبة لم تزل تشقى محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحملوها ودفنوها الى جانبه وأخذوا اموالها فبت معنوما بما آل اليه امرها فرأيتها في المنام فقلت فلان ما فعل الله بك

فقالت

اصبحت في راحة مما جنته يدي ÷ وبت جارة فرد واحد صمد

محى الاله ذنوبي كلها فغدا ÷ قلبي خليا من الاحزان والكمد

لما قدمت على الرحمن مسلمة ÷ وقلت انك لم تولد ولم تلد

اثابني رحمة منه واسكنني ÷ مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت ان الذي صارت اليه خير من الذي انا عليه فاسلمت واسلم معي اهل الدير فكانت رحمها الله تعالى السبب

ومنهم شهيد

وهو ما اخبرنا به الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي اجازة سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة قال رأيت في الكتبيين غير مرة بعيد الزلزلة شيخا مغربيا فيه ولد يكني بابن يحمل على ظهره مخضر من باب الجوز ويليه وكان بائع الكتبيين فيما زعم لمستكتب شعرا يقول ليس موزونا ولا معنى له لمختصر ان حاكما من حكامهم اخذ ما لا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتب فيها هذا الشعر شيئا كثيرا جدا فيما يقال وانه جاءه والمحدث في الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث جماعة قتلوا في المعركة فقال له ابو يزيد يا مولاي كيف ماتوا هؤلاء قال له ماتوا في سبيل الله تعالى فقال يا مولاي وانا الاخر اموت في سبيل الله تعالى فقال له المحدث افعل ما ل

فتمدد الى جانب الحلقة على دكان محبوه بقوله فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد ممن شاهده

ومنهم شهيد

ذكر بن داود في كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرء القيس هوى فتاة من حيه فلما علمت محبته لها هجرته فزال عقله واشرف على التلف فصار رحمة للناس فلما بلغها ذلك اتت فاخذت بعضادتي الباب وقالت كيف تجدك يا امرء القيس

فقال

ولما اتتني والسياق يعطفه ÷ علي وعندي من تعطفها شغل

اتت وحياض الموت بيني وبينها ÷ وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم اغمي عليه فمات

ومنهم شهيدان

ذكر السراج ان العلاء بن عبد الرحمن التغلبي كان من اهل الادب والطرب فواصلته جارية من جواري القيان فكان يظهر لها ما ليس في قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل له فلم تزل على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك واسف على ما كان من جفائه لها واعراضه عنها فرآها ليلة في منامه وهي

تقول له

اتبكي بعد قتلك لي عليا ÷ فهلا كان ذا اذ كنت حيا

سكبت دموع عينك لي فهلا ÷ ومن قبل الممات بكيت ليا

فيا من رام حبي ودودي ÷ ويقتلني وما ابقى عليا

اقل من البكاء والمراثي ÷ فاني لا اراك صنعت شيا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكا حتى فاظت نفسه فمات رحمه الله تعالى

ومنهم قتيل

اخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاي في التاريخ المذكور اجازة قال حدثني طقطاي مملوك نائب الكرك الساكن بالحريم ان اخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت له ولدا واقامت عنده مدة سنين فخنث منها يوما فلما بلغها ذلك القت نفسها من سطح دارها اسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهي مادة اصبعها بالتشهد وتتشهد

بصهره علاء الدين استدار نائب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا نعم هي قضية معروفة ثم تلك الحارة شهدها الرجال والنساء وكنوا حينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها الشيخ حزن واسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا

ومنهم شهيد

ذكر ابو القاسم التنوخي انه كان ببغداد صوفي يعرف بابي الفتح الاعور يجلس في مجالس ابي عبد الله البهلول يقرء بالالحان قراة حسنة وصبي يقرأ او لم يقر كم ما يتذكر فيه من تذكر فزعق الصوفي لجي يلج فغاب فاغمي عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع وكان الاجتماع في صحن دار كنت انزلها فلم تفق الصوفي الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد ايام سألت عنه فعرفت انه حضر عند جارية في الكرخ تقول بالقضيب

وجهك المأمول حجتنا ÷ يوم ياتي الناس بالحجج

فتواجد ودق صدره الى ان اغمي عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخي واستفاض الخبر ببغداد وشاع واخبر به جماعة من الناس والبيت المذكور من ابيات لعبد الصمد بن المعذل وصاح [margin: برد]

وهي

يا بديع الدل والغنج ÷ لك سلطان على المهج

ان بيتا انت ساكنه ÷ غير محتاج الى السرج

قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول نقلوه الى ما لهم في ذلك من المعاني وكانت قصة هذا الرجل وموته في سنة خمسين وثلثمائة وامره من مفردات الاخبار

ومنهم متسلون

قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكروني له فاحضرني بين يديه فلما راى قبح صورتي كره النظر الي وصرفني وامر لي بعشرة آلاف درهم فاخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد ابن اسحق ابن ابراهيم الموصلي وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض علي الخروج معه والانحدار في حراقته وكنا بسر من راى فركبنا في الحراقة وكانت دجلة في غاية الزيادة والمد فدعا بالغداء فاكلنا ثم امر بالغليل والغناء فناشدته الله ان لا يفعل فاني في هذا الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عواده ما

سمعت احسن من صوتها واحذق منها بصناعة الغناء وطربته تقول بزفع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب ÷ ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري انا خصصت بهذا ÷ دون ذا الخلق ام كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا ÷ ما ان ارى لهم معينا

كم يعذلون ويهجرون ÷ ويبعدون فيصبرونا

وتراهم مما بهم ÷ بين البرية خاضعينا

يتعذبون فيظهرون ÷ تجلدا للشامتينا

فقالت لها العواده يا فاجره فيصنعون هكذا وضربت بيدها في الستارة فهتكتها وبرزت علينا كالقمر ثم القت نفسها في الماء وكان على راس محمد غلام رومي الجنس يضاهيها في الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها فلما راى ما صنعت الجارية القى المذبة من يده واتى المواضع التي طرحت نفسها منه ونظر اليها وهي تمر بين الماتين

فقال

انت التي غرقتني ÷ بعد القضا لو تعلمينا

لا خير بعدك في البقا ÷ والموت ستر العاشقينا

ثم القى نفسه في اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا هما متعانقان ثم غاصا فلم نر واحدا منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله امره ثم قال لي يا عمرو لتحدثني حديثا يسليني عن فعل هذين والا الحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به رقعة فيها ان راى امير المؤمنين ان يخرج الى جاريته فلانة تغنيني ثلاثة اصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وامر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم اتبع الرسول برسول آخر يأمره ان يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك على هذا قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك قال فامره بالجلوس حتى لم يبق احد من بني امية حتى خرج فامر بها فخرجت ومعها عودها فقال لها الفتى غني

افاطم مهلا بعض هذا التدلل ÷ وان كنت قد ازمعت هجري فاجملي

قال فغنت فقال له يزيد قل الثاني فقال لها غني

يا نوح البرق يجد يا قلت له ... يا برق اني بروحي عنك مشغول

قال فغنته فقال يزيد قل الثالث قال فامر لي برطل من شراب فامر لهم فلما شرب ووثب صعدا على قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون اتراه الاحمق الجاهل ظن اني اخرج اليه جاريتي واردها الى ملكي يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى اهله ان كان له اهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى اهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفرة في وسط يزيد قد اعدت للمطر فجذبت نفسها من ايديهم وانشدت

من مات عشقا فليمت هكذا ... لا خير في عشق بلا موت

والقت نفسها في الحفرة على دماغها فماتت فسري عن محمد واجزل صلتي

ومنهم قتيل

وحكى ابن عبد ربه في العقد عن محمد بن الحجاج وكان رواية بشار انه قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حمار قبل ذلك قال رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له ويلك مالك مت قال انك ركبتني يوم كذا وكذا فمررنا على باب الاصبهاني فرأيت اتانا عند بابه فعشقتها فمت وانشدني

سيدي خذ بي اتانا ... عند باب الاصبهاني
تيمتني يوم رحنا ... بثناياها الحسان
وبغنج ودلال ... سل جسمي وبراني
ولها خد اسيل ... مثل خد الشيفراني
فبها مت ولو عشت ... اذا طال هواني

فقال له رجل من القوم يا ابا معاذ ما الشيفراني قال هو يتحدث من الحديث فاذا لقيتم حمارا فسلوه قلت وذكر جماعة من اهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلي عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي منظور وكانت له صحبة ان النبي صلى الله عليه واله وسلم لما فتح الله تعالى عليه خيبر اصاب حمارا اسود فكلم النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبه الا نبي ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء عليهم السلام غيرك وانا اتوقعك ان تركبني وكنت قبلك لرجل من اليهود فكنت

اعفر به عمدا فكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه واله وسلم قد سميتك يعفور اتشتهي الاناث قال لا فكان النبي صلى الله عليه واله وسلم يركبه في حوائجه واذا نزل عنه بعث به الى حاجته فيأتي باب الرجل فيدقه برأسه فاذا خرج صاحب الدار عرفه انه النبي صلى الله عليه واله وسلم فلما قبض عليه السلام جاء الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه واله وسلم فصارت قبره

ومنهم قتيل

قال محمد بن هرون حدثني بما ذكره السراج قال اشتريت زوج بط فذبحت الذكر وتركت الانثى تحت المكبة فجعلت تضطرب تحت المكبة حتى كادت ان تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت فجاءت فلم تزل تضطرب في دم الذكر حتى ماتت وقال ابو عبد الله محمد بن محمد التميمي في كتاب امتزاج النفوس ليس في جميع الطير اوفى من القمري والقمرية وذلك انه اذا مات احد الزوجين تغرب الاخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا سكنا ولا يزال باكيا فردا الى ان يموت

ومنهم قتيل

ذكر الكنجي في تاريخ القدس عن ابراهيم بن نابل قال بينا سمنون يتكلم في المحبة في المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى علا على يده ثم ضرب بمنقاره الارض فسال منه الدم ثم مات

ومنهم شهداء

ذكر العتبي قال جلست يوما وعندي جماعة من اهل الادب فنزع بنا الحديث الى اخبار العشاق وفي الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لي ابنة وكانت تهوى شابا ونحن لا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتي فحضرت في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى ... على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق ... اذا لم يجد مشتكى

فقال لها احسنت والله يا سيدتي اتأذنين لي ان اموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت اهلي بما كان من شان الفتى

فلما سمعت ابنتي كلامي نهضت الى مجلس لنا مبادرة فانكرت ذلك
منها فقمت فوجدتها قد توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها
فاذا هي ميتة فاخذنا في جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فاذا
نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة بلغها موت ابنتي ففعلت
مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة في يوم واحد

ومنهم شهيدان

ذكر الشيرري في روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح
اسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوي جارية نصرانية
تبيع الخبز وكان لا يبرح ناظراً اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار
يضربونه ويصيحون به وكانت تفعل ذلك به كل يوم فلما علمت صدق رغبته
اليها ارسلت اليه انك لا تقدر عليّ الا بالتنصر فتنصر وتزوجها فلما علمت مني ذلك
الصغار فاتخنوه فتلا قال عبد المسيح فادركته وهو لما به وهو يقول
اللهم اجمع بيننا في الجنة ومات فلما كان من الليل رأت الجارية في منامها
الشاب قالت فاخذ بيدي وانطلق بي الى الجنة فلما اردت ان ادخلها
منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه فرأيت شيئاً عظيماً
ورأيت قصراً من الجوهر فقال هذا لي ولك وانا لا ادخله الا بك والى
خمس ليال تكونين عندي فلما استيقظت اسلمت وجلست عند قبره و
ماتت في الليلة الخامسة وكان ذلك سبب اسلامي

ومنهم قتيل

ذكر ابو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفاً بازاء داره وكان يشبه الحمام
فمرت به امرأة جميلة وهي تقول اين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها
به فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك اظهرت له السرور وقالت اشتهي
ان يكون معنا من يطيب عيشنا فخرج مبادراً اليها بما سألت وغفل
عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت فكثر وجده بها فكان يمشي في الطريق

وهو يقول

يا رب قائلة يوماً وقد لعبت ⁂ كيف الطريق الى حمام منجاب
وبقي على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق
هلا جعلت اذ ظفرت بها ⁂ حرزاً على الدار او قفلاً على الباب
فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة

فضل

فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول ⁂ يا رب قائلة يوماً البيت حتى مات

ومنهم شهيد

ذكر ابو القاسم الشروطي في كتاب التسلي عن ابي الفرج الصوفي وغيره انه كان
عندهم رجل صوفي يعرف بالقاسم السوادي وكانت له عنيزات يرعاهن وقال
بعضهم انه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع ويجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة في
ذلك قالوا فبينا هو يرعى يوماً عنيزاته اذ سمع صبياً من الصبيان الفقراء يغني
في حقل

ان هواك الذي بقلبي ⁂ صيرني سامعاً مطيعاً
اخذت قلبي ونوم طرفي ⁂ سلبتني العقل والهجوعا
فاردد فؤاداً وخذ رقادي ⁂ فقال لا بل هما جميعاً
فراح مني بحاجتيه ⁂ وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال للصبي ومالك نحوه كيف قلت فلم يقف له
ورجع الى فصاحته فقال له حميد الفاخوري حاذق بهذا المعنى فتردد اليه ثلاثة
ايام يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلاً يصيح فؤادي الى
ان قضى

ومنهم شهيدان

ذكر المفضل الضبي عن كامل انه عشق اسماء بنت عبد الله بن مسافر ابنة عمه
فلم يزل به العشق الى ان صار كالشن البالي فشكا ابوه الى ابيها حاله فامر بحمله الى
داره ليزوجها منه ولم يعلم كامل فلما علم قال وان اسماء لتسمع قيل نعم فشهق
شهقة فقضى مكانه فقيل لها مات بسببك قالت والله لا موتن بعده بمثلها
ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد
مرضها قالت لا تشقوا بنا بها عليها صوري لي مثاله فاني لحبي له ازوره قبل
موتي ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت
فطلب ابو الفتاة الى ابيهما ان يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبرهما

بنفسي هما لم يمتعا بهواهما ⁂ على الدهر حتى غيبا في المقابر
اقاما على غير التزاور برهة ⁂ فلما اصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زاد قبراً يحبه ⁂ ويا زور محبين بريب المقادر

ومنهم شهيدان

ذكر مصعب بن الزبير ان مالك بن عمرو الغساني تزوج بنت عم النعمان

بن بشير وكلف كل واحد منهما بصاحبه وكان ملاك شجاعا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليها وضنا به وانه غزا حيا من لخم فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو مثخن منها

الا ليت شعري من غزال تركته ÷ اذا ما اتاه مصرعي كيف يصنع
فلو انني كنت المؤخر بعده ÷ لما برحت نفسي عليه تقطع

ومكث يوما وليلة ثم مات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الكلام وكثر خطابها فقال من يلي امرها زوجوها لعل لسانها ينطلق ويذهب حزنها فانما هي من النساء فزوجوها بعض ابناء الملوك فساق اليها الف بعير فلما كانت في الليلة التي اهديت اليه فيها قامت على باب القبة وقالت

يقول رجال زوجوها لعلها ÷ تقر وترضى بعده بخليل
فاخفيت في النفس التي ليس بعدها ÷ رجالهم والصدق افضل قيل
وحدثني اصحابه ان مالكا ÷ جواد بما في الرحل غير بخيل
وحدثني اصحابه ان مالكا ÷ صروم كماضي الشفرتين صقيل

فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة وماتت

ومنهم شهيدان

قال احمد بن محمد الغنوي فيما ذكره في ذم الهوى دخلت الكوفة فجاءني ظرفاؤها فقالوا هنا فتيان تحابا وقد اعتل احدهما فنريد ان نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل واعودوا الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سريره واخر متكئا عليه يذب عنه وينظر في وجهه فلما رآنا فرح لنا عن صاحبه فجلس اصحابي حوله وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال اوه قال الصحيح اوه فاذا قال العليل اوه من كبدي قال الصحيح اوه من مخنقي واذا قال اوه من يدي قال اوه من يدي الى ان قالوا قد قضى رحمه الله تعالى فشد اصحابي لحيي العليل وشددت لحيي الصحيح وما برحنا حتى دفناهما

ومنهم شهيدان

قال ابو مسهر كان وضاح اليمن والمقنع الكندي وابو زبيد الطائي يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على انفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح هوى ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان صغيرة فاحبها واحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت الوليد بن عبد الملك ذهب عقل وضاح فلما طال عليه البلاء خرج الى الشام فجعل يطيف بقصر الوليد بن

عبد

عبد الملك في كل يوم ولا يجد حيلة حتى رأى يوما جارية صفراء فلم يزل بها يأنس بها فقال لها يوما هل تعرفين ام البنين قالت انك لتسأل عن مولاتي فقال انها لابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو اخبرتيها قالت نعم فاني اخبرها فمضت الجارية فاخبرت ام البنين فقالت ويلك اوحي هو قالت نعم قال قولي له كن مكانك حتى ياتيك رسولي ثم انها ادخلته في صندوق فمكث حينا اذا امنت اخرجته فقعد معها واذا اعتبر رقيب ادخلته الصندوق فاهدي يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامض به الى ام البنين قال فدخل الخادم من غير ان يستاذن ووضاح معها فلمحه ولم تشعر ام البنين فادى الخادم الرسالة وقال لها هبي لي من هذا الجوهر حجرا فقالت لا ام لك وما تصنع انت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فاخبره بما راى ووصف له الصندوق الذي رأى وضاح دخله فقال له كذبت لا ام لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل عليها وهي في ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصفه له الخادم فقال لها يا ام البنين هبي لي صندوقا من صناديقك هذه قالت يا امير المؤمنين هي لك وانا ايضا فقال اريد هذا الصندوق الذي تحتي فقط فقالت ان فيه شيئا من امور النساء قال ما اريد غيره فقالت هو لك فامر به فحمل ودعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء فوضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا اثرك وان كان كذبا فما علينا في دفن صندوق من خشب حرج ثم امر به فالقي في الحفرة وامر بالخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا التراب قال ابو مسهر فكانت ام البنين لا تزال توجد في ذلك المكان تبكي الى ان وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة وذكر المعافا بن زكريا ان الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن عبد الملك وفيه نظر والله تعالى اعلم

ومنهم شهيد

ذكر الشيرزي في كتاب روضة القلوب انه راى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها احبت شابا خياطا فاعملت الحيلة في صالح غلام تقدر فطلبت من سيدها ان يعتقها ويتزوجها ففعل ثم اراد تزويجها فاستنظرته حتى ارسلت الى الخياط فتزوجته عند القاضي محي الدين ابي حامد محمد بن محمد الشيرزي فلما بلغ التركي ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه و

وسوس فحمل الى البيمارستان فاقام مقيدا بالحديد خمسة ايام لا ياكل ولا يشرب حتى مات في تلك الايام

ومنهم شهيد

عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فاتته في خلوة فكلمته فحدثت نفسه بذلك فشهق شهقة غشي عليه فجاء عم له فحمله الى بيته فلما افاق قال يا عم انطلق الى عمر فاقرءه مني السلام وقل ما جزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة مات منها رضي الله تعالى عنه

ومنهم شهيد

قال احمد بن ابي الحوارى فيما ذكره الخطيب بينما انا في بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرايت رجلا مغشيا عليه فقلت ما بال هذا فقالوا سمع اية من كتاب الله العزيز فقلت وما هي قالوا قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال احمد فافاق عند سماعها وهو يقول

الم يان للهجران ان يتصرما ✽ وللغصن غصن البان ان يتكلما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنا ✽ اما ان ان يشكي عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي ✽ كتابا حكى نقش الوشا المنمنما

ثم خر مغشيا عليه فحركناه فاذا هو ميت

ومنهم شهداء

عن صالح المري قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال ادني عجايب عباد كم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا له فقرات اذ الاغلال في اعناقهم فشهق الرجل شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى اخر فاستاذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس في مصلى له فقرات ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة بدا الدم من منخريه ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى ادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده وهو على هذه ثم اتيت به السابع فاستاذنت فاذا امراة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت المراة

فقالت المراة اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاثة ايام عقل

ومنهم شهداء

ذكر ابن ابي الدنيا عن خليد قال كررت ليلة هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فنادى مناد لم تردد هذه الاية فلقد قتلت بها اربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا

ومنهم شهيد

قال ابو يحيى القتبي كان يختلف معنا شاب من النساك يقال له ابو الحسين الى مشعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه فتن الناس اذا راوه فاكثر الناس القول فيه وفي صحبته اياه فمنعه اهله صحبته وكلامه فذهل عقل ابي الحسين حتى خشي عليه التلف فبلغ ذلك مسعر فقال قولوا له لا يفرحني ولا يأتي مجلسي فاتى له كاني فلقيته فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم انشأ

يقول

يا من تبدى بابدع حسن صورته ✽ تثني اليه اعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم ✽ نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم ✽ وشقيت حين اراك بالفرق

ثم صرخ صرخة وشخص ببصره فاذا هو ميت

ومنهم شهيد

ذكر الشيرازي في كتاب روضة القلوب انه راى بحماه مؤدبا يقال له الدودي من حمص وكان فاضلا في فنه فافتتن بصبي من صبيانه وهام به فبلغ ذلك اباه فمنع الصبي من المضي اليه وارسله الى مؤدب اخر كان عدوا له فاشتد ما به فكتب الى ابيه ليستعطفه فاجابه بانه متى ذكره شكاه للسلطان فلما قرا الرقعة اطرق ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منها الدم ثم جاشت نفسه وجاء القيء فخرج الى باب المسجد فقاء دما اسود ومضى الى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجيء له بطبيب فاخبر ان كبده تفطرت فعالجه ثلاثة ايام فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع

ومنهم قتيل

قال ابن الجوزى كان ببغداد سنة ثمانين واربع مائة غلام يقال له ابن الرواس يهوى امراة فماتت فحزن عليها وبقى لا يطعم ثم خنق نفسه فمات

ومنهم شهيدان

ذكر العتبى عن الاخفش سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال خرجت في سفر فنزلنا على ماء لحى فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها فاذا فيها شاب على فراش كانه الخيال فلما بصر بى انشاء يقول

الا ما للحبيبة لا تعود ÷ ابخل بالحبيبة ام صدود
مرضت فعادنى عواد قومى ÷ فما لك لا ترى فيمن يعود
فلو كنت المريض ولا تكونى ÷ لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه ÷ وحولى من ذوى رحمى عديد

قال ثم اغمى عليه فما ابت فوقعت الصيحة في الحى فخرج من اخر الماء جارية كانها فلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وانشأت تقول

عدانى ان اعودك يا حبيبى ÷ معاشر كلهم الواشى الحسود
اذاعوا ما علمت من الدواهى ÷ وعابونا وما منهم رشيد
فاما اذ حللت ببطن ارض ÷ وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لى الدنيا دواما ÷ ولا لهم ولا اثرى جديد

قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة منها فخرج من بعض الاخبية شيخ فوقف عليهما وترحم عليهما وقال والله لئن كنت لم اجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتين فدفنهما في قبر واحد احتفر لهما فسالته فقال هذه ابنتى وهذا ابن اخى بيا حملة وماتا جملة

ومنهم شهيدة

قال ذو النون المصرى فيما ذكره ابو عبد الله محمد بن جعفر القنطرى في اماليه بينا انا في ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها اطمار شعر واذا هى ناحلة ذابلة فدنوت لاسمع ما تقول فرايتها متصلة الاحزان فلما عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثم سقطت الى الارض فلما افاقت قالت سيدى بك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات انت الذى يسجد لك سواد الليل وضياء النهار

فالفلك

في الفلك الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك العلى القهار ثم انشأت تقول

يا مونس الابرار في خلواتهم ÷ يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما ÷ فرح الفؤاد وحشوه بلبال

فقلت لها عسى ان تزيدينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت طرفها نحو السماء

وقالت

احبك حبين حب الوداد ÷ وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذى هو حب الوداد ÷ فحب شغلت به عن سواكا
واما الذى انت اهل له ÷ فكشفك الحجب حتى اراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لى ÷ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فاذا هى ميتة فبقيت اتعجب مما رايت منها فاذا انا بنسوة قد اقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عنى فغسلنها ثم اقبلن بها في اكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فصليت عليها وهن خلفى ثم احتملنها ومضين

ومنهم شهيد

عن حماد الراكبى فيما ذكره المغانى في كتاب الاندلس قال وصفت للمامون جارية بكل ما توصف امراة به من الكمال والجمال فبعث في شراها فاتى بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما هم ليلبس درعه خطرت بباله فامر فخرجت اليه فلما نظر اليها اعجب بها واعجبت به فقالت ما هذا قال اريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتنى والله يا سيدى ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وانشأت تقول

ساد عوادعوة المضطر ربا ÷ يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله ان يكفيك حربا ÷ ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المامون الى صدره وانشاء متمثلا يقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها ÷ واذ هى تذرى الدمع منها الانامل
صبيحة قالت في العتاب قتلتنى ÷ وقتلى بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا مسرور احتفظ بها واكرم محلها واصلح لها كل ما تحتاج اليه من المقاصير والخدم والجوارى الى وقت رجوعى فلولا ما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ÷ دون النساء ولو باتت باطهار

لكن لى ولها شان ثم خرج فلم يزل يتعاهدها ويصلح ما امر به فاعتلت الجارية علة

شديدة اشفق عليها منها وورد نعي المأمون فلما بلغها ذلك تنفست الصعداء وتوفيت وكان مما قالت وهي تجود بنفسها

ان الزمان سقانا من مرارته ∴ بعد الحلاوة انفاسا واروانا
ابدى لنا تارة منه فاضحكنا ∴ ثم انثنى تارة اخرى فابكانا
انا الى الله فيما لا يزال لنا ∴ من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها ∴ ما لا يدوم مصافاة واحزانا
ونحن فيها كانا لا نزايلها ∴ للعيش احياؤنا يبكون موتانا

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا حزنا على المأمون رحمهما الله

ومنهم شهيدان

ذكر ابو الحسن القارى ان علي بن صالح ذكر له ان جارية من جواري القيان تميل اليه وتحبه وتكلف به وكانت موصوفة بالادب شاعرة فكرم مراسلتها فحضر يوما عند بعض اهل البصرة وكانت عنده قال فلما طاب عيشنا في يومنا فلم يلتفت اليها فاطرقت هي ايضا فلم تنظر اليه ثم دعت بدواة فكتبت على منديل كان معها ثم تغفلت اهل المجلس والقت المنديل فاخذته فاذا فيه

لعل الذي ابلى بحبك يا فتى ∴ يردك لي يوما الى احسن العهد

قال علي فما هو لنلذ ان قرأت الشعر حتى وجدت في قلبي من امرها مثل النار فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم ازل اعمل الحيلة في ابتياعها من حيث لا تعلم فعسر ذلك حتى ملكتها فلم اوثر عليها احدا من حرمي ولا اهلي ولم يبق عندي شيء عدلها فتوفيت فانا لا عيش لي ولا سرور والله ما لبث بعد هذا الكلام الا اياما يسيرة حتى مات اسفا عليها وكمدا فدفن الى جانبها قلت في المعنى

فقي لخبرك ما صنع الغرام ∴ عشية قوضت تلك الخيام
سروا والليل في ثوبي حداد ∴ وقد القى مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور ∴ كوامل ليس يرجعها التمام
وفي الاحداج ذو لعس لماه ∴ لنا كاس وريقته مدام
رمى وقلوبنا الاغراض بالنظر ∴ فهبنك هل تطيش له سهام

ومنهم شهيدان

ذكر المرزبانى عن ابي الحسن علي بن الحسين الصوفي المعروف برباج قال حدثني بعض اصدقائي انه دخل بستانا ببغداد فراى شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير نظيف وعن يمينه مخدة وفي يده مروحة والى جانبه كانه نديم

فسلمت

فسلمت عليه فرد احسن فقلت له هل لك حاجة قال نعم اريد قرصتين عليهما فالوذج قال علي فمضيت وجئته بذلك وجلست مقابله حتى اكل ثم قلت له بقي لك حاجة قال نعم ولا اظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى ان تيسرها قال تمضي الى نهر الزجاج درب احمد الدهقان الى دار على باب زقاق العقلة فاطرق وقل ان فلانا قال لي

مر بالحبيب وقل له ∴ محبوبكم من اجله

قال فمضيت وسألت عن الدرب والزقاق قال فطرقت الباب فخرجت الي عجوز فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت عني ساعة ثم خرجت فقالت

ارجع اليه وقل له ∴ عليلكم من اجله

فرجعت الى الفتى واخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات وعدت الى القوم اخبرهم بذلك فوجدت الصراخ في الدار وقد ماتت الجارية اي كما قال

ومنهم شهيدان

ذكر الاصمعي انه راى بالبادية رجلا قد دق عظمه ونحل جسمه ورق جلده فتعجبت منه ودنوت منه لاسأله عن حاله فقالوا اذكر له شيئا من الشعر لعله يكلمك فقلت

سبق القضاء بانني لك عاشق ∴ حتى الممات فاين منك مذاهبي

فشهق الفتى شهقة ظننت ان روحه قد فارقته ثم انشا يقول

اخلو ابذكرك لا اريد محدثا ∴ وكفى بذلك نعمة وسرورا
ابكي فيطربني البكاء وتارة ∴ تأبى فيأبى من احب اسيرا
فاذا التي شيح تفرقه بيننا ∴ اعقبت منه حسرة وزفيرا

فقلت اخبرني عنك فقال ان كنت تريد علم ذلك فاحملني الى الفتى على باب تلك الخيمة ففعلت فانشا يقول بصوت ضعيف

الا ما للمليحة لا تعود ∴ ابخل ذاك منها ام صدود
فلو كنت المريضة كنت اسعى ∴ اليك ولم ينهنهني الوعيد

فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فالقت نفسها عليه فاعتنقها فطال ذلك فسترتهما بثوبي خشية ان يراهما الناس عليهم الفضيحة ففرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة امية الرياسيين قال الاصمعي فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ احمد بن محمد بن علي الابنوسي في اخباره

ومنهم شهيدان

ذكر بن دريد عن الرياشي قال قال اعركز بن الجميح الاسدي كان لي صديق من الحي وكان شابا جميلا يعشق ابنة عم له وكانت له محبة قال وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها اليه فحجبت عنه فكان يا يتني ويشكو اشوقه اليها فما لبثان مرض عمه مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفي بالنظر اليها ثم يخرج الي مسرورا الى ان برء عمه فقال

ابكي من الخوف ان يبرى فيحجبها ؛ ولست ابكي على عمي من الجزع

لا مات عمي ولا عوفي من الوجع ؛ وعاش ما عاش بين الياس والطمع

فخطب الجارية فزوجها ابوها فجاءني الفتى فودعني وقال هذا وداع لا تلاقيا بعده ابدا فناشدته فاذا الجزع قد حال دون ضمه فقلت واين تذهب فقال الى ما وجدت ارضا ونهض فكان اخر العهد منه فلقد التمس عمه افاق البلاد فما قدر عليه ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه

ومنهم قتيلان

ذكر الجاحظ ان حميد الطوسي كان جالسا مع ندمائه وقد اخذ الشراب منهم اذ غنت جارية له من وراء ستاره

يا قمر القصر متى تطلع ؛ اشقى وغيري بك يستمتع

ان كان ربي قد قضى كل ذا ؛ منك على راسي فما اصنع

قال وعلى راس محمد غلام كاحسن ما يكون وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال تصنعين مثل ذا ثم رمى بنفسه من الدار الى دجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ثم رمت بنفسها على اثره فغرقا جميعا قال الجاحظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا حزنا عليهما

ومنهم شهيد

قال مسعود بن بشر الانصاري مررت ببعض بيوت بني عذرة فبينما انا بينهم واذا بشيء يختلج تحت ثوب فاقبلت فكشفت عنه واذا رجل ليس بشيء منه سوى راسه وعينيه فقلت ما بك فقال

كان قطاة علقت بجناحها ؛ على كبدي من شدة الخفقان

جعلت لعراف اليمامة حكمه ؛ وعراف نجد ان هما شفياني

قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذي كان عليه ثم خمد فنظرت فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة بن حزام العذري

ومنهم

ومنهم شهيد

يروى ان الحكم بن عمر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى

فمن يصبر لا ودّك لا ترى ؛ ثبام الحمى اخرى الليالي الغوابر

كان فؤادا من تذكره الحمى ؛ واهل الحمى يهفو به ريش طائر

فوقف وقال علي بالرجل فجيء به فقال ويحك من انت قال انا رجل من اهل نجد من عامر بن صعصعة فقال له فهل لك في الحمى فقال ما لي اليه ذلك من سبيل ولي في تلك البلاد اهل وولد قال اني احملك الى اهلك وولدك فقال لا حاجة لي في هذا ما ليس من ذلك بد وامر بان يحمل فاضطرب في ايديهم حتى مات

ومنهم شهيد

عن الاصمعي قال خرجت اريد بعض احياء العرب فادركني الليل فاويت الى حبانة فتوسدت قبرا فسمعت بالليل قائلا من القبر يقول

انعم الله بالحبيب عينا ؛ وبمسراك ما سعاد الينا

وحشة ما لقيت من ظلل القبر ؛ عسى ان نراك او ان ترينا

قال فارقت ليلتي فلما اصبحت دخلت الحي واذا انا بجنازة قد اقبل بها فسالت عنها فقيل هذه سعاد كانت تحت ابن عم لها فنعي اليها على الوفاء فلم تزل باكية وهي قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر الذي بت عنده واذا هو قبر ابن عمها فاخبرتهم بما سمعت فعجبوا من ذلك

ومنهم شهيدان

حكي عن الفرزدق قال ابق غلام لرجل من بني نهشل فخرجت في طلبه اريد اليمامة فلما صرت على ماء لبني حنيفة ارتفعت سحابة وامطرت فعدلت الى بعض ديارهم فسالتهم القرى فاجابوا فانخت ناقتي وجلست تحت بيت لهم من جريد النخل وفي البيت جويرية سوداء فخرجت جارية كانها قمر فقالت للجارية ممن هذه الناقة فاشارت الي وقالت لضيفكم فعدلت الي وسلمت وقالت ممن الرجل قلت من بني تميم قالت من ايهم قلت من بني نهشل قالت انتم الذي يقول فيكم الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا ؛ بيتا دعائمه اعز واطول

قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد هدم عليه بيته حيث يقول

اخزى الذي سمك السماء مجاشعا ؛ واحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فاعجبتني فلما رأت ذلك في وجهي قالت ابن تزيد قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى ÷ بها اهل المروة والكرامة
الا فسقى الاله سحاب غيث ÷ يجود بسحه بلد اليمامة
وحيا بالسلام ابا نجيد ÷ واهلا للتحية والسلامة

قال فانست بها وقلت اذات خدر انت ام ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا ÷ لكالقمر المنير المستنير
وما لي في التبعل من مراد ÷ ولو ردّ التبعل لي اسيري

ثم سكتت كانها تسمع كلاما ثم انشات تقول

يخيل لي ابا عمرو بن كعب ÷ كانك قد حملت على السرير
فان تك هكذا يا عمرو انّي ÷ مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فصارخ النساء وسالت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان ابن المنذر وسالت عن عمرو فقيل لي ابن عمها كان يحبها وتحبه فدخلت اليمامة فسالت عن عمرو واذا به قد مات في ذلك الوقت من ذلك اليوم قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية امرها اعجب من جميع ما تقدم فان كل واحد من اولئك حصل له الموت عند تحقق الياس من محبوبه اما بمعاينة موته او اخباره بذلك لان من الحكماء من يذكر ان من عدم فقد الالاف وتحقق الياس يعتري القلب وهلة واحدة فتحتقن عنده مادة النفس فيضعف القلب عن دفع مادة همه فتغيظ النفس وتذهب الروح واما هذه فلطفت نفسها الى ان دفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها مادة الاحماء يرد عليها من ذلك الانس فكان بمنزلة المصباح الذي يضيء للبصر فلما ذهب عن القلب احس بفقده كما يحس البصر بذهاب نور المصباح اذا طفي

ومنهم شهيد

قال في منازل الاحباب ومن الطف ما وجدته من اخبار المتاخرين في تحليهم بالعفاف واتصافهم منه باحسن الاوصاف ما يحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوي انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه وداخل ضناه الى ان عيل صبره ونفث الدم فمه بل صدره ومات على كتمانه ولم يبح غير بيانه فمن قوله هذه الابيات

هذا خيالك في الجفون يلوح ÷ لو كان في الجسم المعذب روح

يا سالما مما اكابد في الهوى ÷ هل تشتفي من قلبي المتبريح
غادرتني عرض الردى وتركتني ÷ لا عضو لي الا وفيه قروح
لله ما فعلت لحاظك في دمي ÷ لو بلغت حسبي اليّ فتريح
لو عاينت عيناك قدّس فحج ÷ لبكيت دمعي مع دمي مسفوح
لو ايت مقتولا ولم تر مقتلا ÷ ولحلت انّي من فمي مذبوح
قل للذي منه علقت منيتي ÷ اباح قتلي يا ظلوم مبيح
كبدي على صدري حوت ولي ÷ غدوا اعذب في الهوى وتروح

ومنهم شهيد

قال عبد الحق في العاقبة مما ابتلى الله تعالى به الهادي من المحبة وعاقبه به انه كان مغرى بجارية له تسمى غادر وكانت من احسن الناس وجها واطيبهم غناء اشتراها بعشرة الاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال امير المومنين فقال وقع في فكري اني اموت وان اخي هرون يلي الخلافة ويتزوج غادر فامضوا فاتوني براسه فلا طعن بعض ندمائه ثم رجع عن ذلك وامر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يترفق له فلم يقنع بذلك وقال لا ارضى حتى تحلف لي بكل ما احلفك به انني اذا مت لا تتزوج بها فرضي بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولي هرون الخلافة وطلب الجارية فقالت يا امير المومنين كيف تصنع في الايمان فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت من قلبه موقعا عظيما وافتتن بها اعظم من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه فبينما هي في بعض الليالي في حجره اذا انتبهت فزعة مذعورة فقال لها ما بالك فديتك فقالت رايت اخاك الهادي الساعة في النوم فانشدني

اخلفت وعدي بعد ما ÷ جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في ÷ ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخي ÷ صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ÷ ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح وصر ÷ ت حيث غدوت صائر

قال ثم ولى عني وكان الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال لها

هذه اضغاث احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم
اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة فلا تسأل عن حال هرون
وما التي بعدها

ومنهم قتيل

اخبرنا الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين ابو عبد الله مغلطاي
بسنده عن ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الطبيب الاديب قال
كنت اختلف في النحو الى محمد بن خطاب في جماعة وكان معنا ابو الحسن اسلم
بن سعيد الاسلمي قاضي قضاة الاندلس وكان اجمل من رأته العيون و
احمد بن كليب كان من اهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم وفارق
صبره وصرف فيه القول مستترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على
الالسنة وتنوشدت في المحافل فلعهدي بعرس في بعض شوارع قرطبة
والزامر يغني بقول احمد بن كليب

اسلمني في هواه اسلم هذا الرشا ∴ غزال له مقلة يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد سيسأل عما وشى ∴ ولو شاء ان يرتشي على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها قال فلما بلغ هذا المبلغ انقطع اسلم عن جميع مجالس
الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا
المرور على باب اسلم سائرا ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم عن الجلوس على باب
داره نهارا فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على
باب داره فعيل صبر احمد فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة صوف من جباب
اهل البادية واعتم بمثل عمائمهم واخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى قفصا
فيه بيض وتحين جلوس اسلم عند اختلاط الظلام على بابه فتقدم اليه
وقبل يده وقال يا مولاي تامر من يقبض هذا فقال له اسلم ومن انت فقال
اجيرك في الضيعة الفلانية وقد كان عرف اسماء ضياعه والعاملين فيها
فامر اسلم غلامه بقبض ذلك منه على عادتهم في قبول هدايا العاملين
في الضياع عنده وودودهم منها ثم جعل يسأله عن الضيعة فلما جاوبه انكر
الكلام فتامله فعرفه فقال له يا اخي والى هنا بلغت بنفسك والى ههنا تتبعني
اما كفاك الانقطاع عن مجالس الطلب وعن الخروج جملة وعن القعود على
بابي نهارا حتى قطعتني عن جميع ما لي فيه راحة فقد صرت كأني في سجن
والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي ولا جلست بعدها على

بابي

بابي ليلا ولا نهارا ثم قام فانصرف احمد بن كليب كئيبا قال محمد بن الحسن واتصل
ذلك بنا فقلنا لاحمد بن كليب وخسرت دجاجك وبيضك فقال هات
كل ليلة قبلة في يده واخسر اضعاف ذلك قال فلما يئس من رؤيته البتة
نهكته العلة واضجعه المرض قال محمد بن الحسن فاخبرني شيخنا ابو
عبد الله محمد بن خطاب انه عاده قال فوجدته باسوء حال فقلت له
الا تتداوى فقال دوائي معروف واما الاطباء فلا حيلة لهم فيه البتة
فقلت له وما دواؤك قال نظرة من اسلم فلو سعيت في ان يزورني
لاعظم الله اجرك بذلك وكان هو والله ايضا يؤجر قال فرحمته و
تقطعت نفسي له فنهضت الى اسلم فاستاذنت عليه فاذن لي وتلقاني
بما احب فقلت له حاجة قال وما هي قلت قد علمت ما جمعك مع احمد
بن كليب من ذمام الطلب عندي فقال نعم ولكن قد علمت انه برح بي و
شهر اسمي واذاني فقلت كل ذلك يغتفر في مثل الحال التي هو فيها فتعوده
فقال لي والله لا اقدر على ذلك فلا تكلفني هذا فقلت له لا بد فليس
عليك في ذلك شيء وانما هي عيادة مريض قال فلم ازل حتى اجاب فقلت
فقم الآن فقال لي والله افعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا خلف قال
نعم قال فانصرفت الى احمد بن كليب فاخبرته بوعده بعد امتناعه فسر
بذلك سرورا شديدا فلما كان من الغد بكرت الى اسلم فقلت له الوعد
فوجم وقال والله لقد تحملني على خطة صعبة علي وما ادري كيف اطيق
ذلك قال فقلت له لا بد ان تفي بوعدك لي قال فاخذ رداءه ونهض معي
راجلا فلما اتينا منزل احمد وكان يسكن في اخر درب طويل وتوسطنا الزقاق
وقف واحمر وخجل وقال لي يا سيدي الساعة والله اموت وما اقدر ان
انقل قدمي ولا استطيع ان اعرض هذا على نفسي قال فقلت لا تفعل بعد ان
بلغت المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله اليه ورجع هاربا فاتبعته فاخذت
بردائه فتمادى وخرق الرداء وبقيت قطعة منه بيدي لشدة امساكي له ومضى
ولم ادركه فرجعت ودخلت على احمد بن كليب قال وكان غلامه دخل
اليه اذ رآنا من اول الزقاق مبشرا فلما رآني وحدي تغير وجهه وقال
واين ابو الحسن فاخبرته القصة فاستحال من وقته واختلط وجعل
يتكلم بكلام لا يعقل منه اكثر من الترجيع فاستبشعت الحال وجعلت
اترجع وقمت اريد الوداع قال فثاب اليه ذهنه وقال لي يا ابا عبد الله

قلت نعم قال اسمع منى واحفظ عنى ثم انشا يقول ودمعه همول

اسلم يا احسن العليل ❊ رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادى ❊ من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لى قد كان ما قد سمعت عنه فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا قال الحافظ ابو محمد وهذه قصة مشهورة عندنا ومحمد بن الحسن ثقة ومحمد بن خطاب ثقة واسلم هذا من بنى خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الان بالحياة قال ابو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابى عبد الله محمد بن سعيد الخولانى الكاتب فعرفها وقال لقد اخبرنى ثقة انه راى اسلم هذا فى يوم شديد المطر لا يكاد احد يمشى فى طريق وهو قاعد على قبر احمد بن كليب زائرا له قد تحين غفلة الناس فى مثل ذلك النهار ومما كتب به احمد بن كليب الى اسلم المذكور وقد اهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح ❊ بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا ❊ كما وهبتك روحى

ومنهم سعيد

حكى الخالدى فى كتاب الديارات باسناد عن ابى بكر احمد بن محمد الصنوبرى قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان فى دكانه مجلس كل اديب وكان حسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه انا وابو بكر المعوج الشامى الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر وكان لتاجر بالرها نصرانى من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من احسن الناس وجها واحلاهم قدا واظرفهم منطقا وكان يجلس الينا ويكتب عنا من اشعارنا وجميعنا نحبه ونميل اليه وهو حينئذ صبى فى الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار من ذلك وقد جلس عنده فى دكانه

اجعل فؤادى دواة والمداد دمى ❊ وهاك فابر عظامى موضع القلم
ترى المعلم لا يدرى بمن كلفى ❊ وانت اشهر فى الصبيان من علم

ثم شاع عشق الغلام فى الرها خبره فلما كبر وشارف الاحتلام واحب الرهبنة وخاطب اباه وامه فى ذلك والح عليهما حتى اجاباه وخرجا به الى دير زكى بنواحى الرقة وهو فى نهاية حسنه فابتاعا له قلاية ودفعا

الى راس الدير جملة من المال عنها فاقام الغلام فيها وضاقت على سعيد الوراق الدنيا بما رحبت واغلق دكانه وهجر اخوانه ولزم الدير مع الغلام وسعيد فى خلال ذلك يعمل فيه الاشعار فانكرت الرهبان الملازمة سعيد وكثرة غشيانه الغلام فمنعوه عنه وحرموه ان ادخله قلايته وتوعدوه باخراجه من الدير ان ادخله اليه فاجابهم الى ما سالوه فلما راى سعيدا متناعه منه شق عليه وخضع للرهبان ورفق بهم فلم يجيبوه وقالوا فى هذا علينا اثم وعار ونخاف السلطان وكان اذا وافى الدير اغلقوا الباب فى وجهه ومنعوه من دخوله ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف الى داره فضرب جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم ويعمل الاشعار قال ابو بكر الصنوبرى ثم عبرت يوما انا والمعوج الشامى من بستان بتنا فيه فرايناه جالسا فى ظل الدير وهو عريان وقد طال شعره وتغيرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه فقال دعانى من هذا الوسواس اتريان ذلك الطائر الذى على هيكل الدير وا ومى بيده الى طائر هناك فقلنا نعم فقال وحقكما يا اخوتى انا اناشده منذ الغداة ان يسقط فاحمله رسالة الى عيسى ثم التفت الى وقال يا صنوبرى معك الواحك قلت نعم قال اكتب

بدينك يا حمامة دير زكى ❊ وبالانجيل عندك والصليب
قفى وتحملى عنى سلاما ❊ الى قمر على غصن رطيب
حمته جماعة الرهبان عنى ❊ فقلبى ما يقر من الوجيب
وقالوا رابنا اللمام سعد ❊ ولا والله ما انا بالمريب
وقولى لسعد المسكين يشكو ❊ لهيب جوى احر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد ❊ اذا ما كنت تمنع من قريب
وان انا مت فاكتب حول قبرى ❊ محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش ❊ فكيف بمن له مائتا رقيب

ثم تركنا وقام يعدو الى باب الدير وهو مغلق دونه وانصرفنا عنه وما زال كذلك زمانا حتى وجد فى بعض الايام ميتا الى جانب الدير وكان امير البلد العباس بن كيغلغ فلما اتصل ذلك به ركب باهل الرها وخرجوا الى الدير وقالوا ما قتله غير الرهبان وقال لهم ابن كيغلغ لا بد من ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولا بد من تعزير جميع الرهبان بالسياط فى

قتله وتصعب في ذلك فاقتد النصارى بنفوسهم ودبرهم بمائة الف درهم وكان الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها الربان اهله صاح به الصبيان يا قاتل سعيد الوراق وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع من دخوله المدينة ثم انتقل الى دير سمعان وما ادرى ما كان منه

ومنهم شهيد

قال ياقوت في تاريخه كان مدرك بن علي الشيباني شاعرا اديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم ببغداد ويعاشر نصاراه وكان بدير الروم غلام من اولاد النصارى يقال له عمرو بن يحيى وكان من احسن الناس صورة واكملهم خلقا وكان مدرك بن علي يهواه وكان لمدرك مجلس يجتمع فيه الاحداث لا غير واذا حضره شيخ او صاحب لحية قال له مدرك قبيح بك ان تختلط بالاحداث والصبيان فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما الى المجلس فكتب مدرك رقعة فطرحها في حجره فقراها واذا فيها

بمجالس العلم التي … بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقلة … غرقت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة … الله في تضييعها

فقرع الابيات ووقف عليها من كان في المجلس وقراها فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور وغلب الامر على مدرك فترك مجلسه ولزم دار الروم وجعل يتبع عمرا حيث سار وقال فيه شعرا كثيرا قال الحريري وقد رثى عمرو ام ابيض الراس واللحية ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة المزدوجة الغريبة العجيبة المشهورة اولها

من عاشق ناء هواه دان … ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران … موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه … ليشكوا هوى غنت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشقاه … كانما عافاه من اضناه
ياد مجد من عاشق ما يلقا … من ادمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما احادث نطقا … تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكي … بادمع مثل نظام السلك
تطفيه نيران الهوى تذكي … كانما قطر السماء تحكي

الى غزال من بني النصارا … فضل في الحسن على العذارا
وغادر الاسد به حيارى … في ربقة الحب به اسارا
ريم بدار الروم رام قتلي … بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرة بها استطار عقلي … وحسن وجه وقبيح فعل
ريم يراى هز بن ليريد … يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل ها قال الالحاظ قد … كانه ناسوته حين اتحد
ما ابصر الناس جميعا بدرا … ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
احسن من عمرو فديت عمرا … ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها انا ذا بهجره مقدود … والدمع في خدي له اخدود
ما ضر من فقدي به موجود … لو لم يقبح فعله الصدود
ان كان ديني عنده الاسلام … فقد سعت في نقضه الايام
واختلت الصلاة والصيام … وجاءني الدين له الحرام
ياليتني كنت له صليبا … اكون منه ابدا قريبا
ابصر حسنا واشم طيبا … لا واشيا اخشى ولا رقيبا
بل ليتني كنت له قربانا … الثم منه الثغر والبنانا
او جاثليقا كنت او مطرانا … كيما يرى الطاعة لي ايمانا
ياليتني كنت لعمرو مصحفا … يقرع مني كل يوم احرفا
او قلما يكتب بي ما الفا … من ادب مستحسن قد صنفا
ياليتني كنت لعمرو عوده … او حلة يلبسها مقدوده
او موكز باسمه معموده … او بيعة في داره مشهوده
ياليتني كنت له زنارا … يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا … صرت له حينئذ ازارا
واكبدي من خده المضرج … واكبدي من ثغره المفلج
لا شيء مثل الطرف منه الادعج … اذهب للنسك وللتحرج
اليك اشكوا يا غزال الانس … ما بي من الوحشة بعد الانس
يا من هلالي وجهه وشمسي … لا تقتل النفس بغير النفس
جد لي كما جدت بحسن الود … وارع كما ارعى قديم العهد
واصدد كصدك عن طول الصد … فليس وجد بك مثل وجدي
ها انا في بحر الهوى غريق … سكران من حبك لا افيق

محرقي ما مسني حريق ٭ يرثي لي العدو والصديق
فليت شعري فيك هل ترثي لي ٭ من سقم ومن ضنا طويل
ام هل الى وصلك من سبيل ٭ لعاشق ذي جسد نحيل
في كل عضو منه سقم والم ٭ ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقاً الى شمس وبدر ونجم ٭ منه اليه المشتكى اذا ظلم
اقول اذ قام بقلبي وقعد ٭ ياعمرو يا عامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد ٭ ان امرءاً اسعد تراك سعد
ياعمرو ناشدتك بالمسيح ٭ الا سمعت القول من نصيح
يعرب عن قلب له جريح ٭ باح بما يلقى من التبريح
ياعمرو بالحق من اللاهوت ٭ والروح روح القدس الناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت ٭ عوض بالنطق من السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم ٭ حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم ٭ يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قمصا ٭ ثوباً على مقداره ما قصا
وكان لله تقياً مخلصا ٭ يشفي ويبرئ اكمها وابرصا
بحق محيي صورة الطيور ٭ وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور ٭ يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع ٭ من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع ٭ خوفاً من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤوسا ٭ وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في السحر الناقوسا ٭ مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس ٭ بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس ٭ بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوى اذ قام يدعو ربه ٭ مطهراً من كل سوء قلبه
ومستقيلاً فاقيل ذنبه ٭ ونال من انابه ما احبه
بحق ما في قلة الميرون ٭ من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون ٭ من بركات النخل والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر ٭ وعيد اشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر ٭ وعيد مار مارى العظيم الذكر

وعيد اشعيا وبالهيا كل ٭ والدخر اللاتي بكف الحامل
تشفي بها من كل خبل خابل ٭ ومن دخيل السقم في المفاصل
بحق سبعين من العباد ٭ قاموا بدين الله في البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد ٭ حتى اهتدى من لم يكن بالهاد
بحق اثني عشرة من الامم ٭ ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الدجى جلى الظلم ٭ صاروا الى الله ففازوا بالنعم
بحق ما في محكم الانجيل ٭ من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبإ جليل ٭ يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مر عبدى الشفيق الناصح ٭ بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق ملحنا الحكيم الراجح ٭ والشهداء بالفلا الفتاح
بحق معمود به الارواح ٭ والمذبح المشهور في النواح
ومن به من لابس الامساح ٭ وعابد باك ومن سياح
بحق تقريبك في الاعياد ٭ وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تقبيلك للاكباد ٭ وما بعينيك من السواد
بحق ما قدس شعيا منه ٭ بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه ٭ عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ العلم ٭ وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم ٭ موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران ٭ والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني ٭ والبطرك الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس في اعلا الجبل ٭ ومار لوقا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول ٭ وبالسليح المرتضى بما فعل
بكل قداس على قداس ٭ قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي ٭ وقدموا الكاس لكل حاسي
الا رغبت في رضى اديب ٭ اعلى مناه اسير التقريب
قد ذاب من شوق الى المذيب ٭ باعده الحب عن الحبيب
فانظر امري في صلاح رأي ٭ محتسباً في عظيم الاجر
مكتسباً مني جميل الشكر ٭ في نثر الفاظ ونظم در

قال ثم ان مدركاً وسوس ونحل جسمه وذهب عقله وانقطع عن اخوانه

ولزم الفراش قال حسان بن محمد بن عيسى فحضرته عايدا مع جماعة من
اصحابه فقال الست صاحبكم القديم العشرة رحلتي بشرا العالمين في زيارة
الحرمين ماهو كغيض الخاتم لهذه الخاتمة والامواج العظيمة لهذه البحار
المتلاطمة لاجرم اني لم اذكر من اخبار اهل الحجاز الا ما اشار اليه هذا
الكتاب ببنان بيانه وبدا من ورقه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات
لسانه فكم في الرحلة المذكورة من ذكر من مات على هذه الفنون من
اخبار متيم امتنع من هجوعه واصبح لسحائب دموعه

لدى سمرات الحي برق يسامره	يذكره بالثغر ماهو ذاكره
يذكره عهد العذيب وماجرى	على حاجر سالت عليه محاجره
اذا ما بدا البرق اليماني لعينه	فما هو الا وشيه وجبايره
سقى السفح من ذيل المقطم عارض	تعارضه من دمع عيني مواطره
فكم فيه من صب قضى وغرامه	اوايله لا تنقضي واواخره
تطاول ليلي في هواه ولو نبا	لقصره من حجته مقاصره
فيا للهوى العذري ما العذر عندما	تغادر دوني مثل ليلى غدايره
صحا ما صحا من زال في الحب عقله	لسكرة حب لا تزال تخامره
ايبرد ما القاه باحار بعدما	سبانی ظبي فاتن الطرف فاتره
اجاد له منه وصله كل ساعة	فتمنعني استاره وستايره
ولو لم يكن سلطان حسن لما سرى	بمصر وكل العاشقين عساكره
يجود عليهم حين يسري جواده	فيخفر في قلب المتيم حافره
فلولاه ما امسى امير ذو الهوى	ولا نفذت في العاشقين اوامره
ولولا اسطا السلطان في مصر ما اختلى	مع الذئب ظبي كان قبل يحاذره
هو الناصر المنصور والعادل الذي	لسلطنه ماحاز في الملك ظاهره
لدى سبيل الله خير ذخيرة	وحسن الثنا بين الملوك ذخايره
وترياقه في الثغر عقار نبله	وسم عوالیه بمصر بواشره
حمى الله عنه مصر ما هي اهله	وكم امنت في قطرها من مجاوره
جواد عدت نعماه منا قريبة	وان بعدت في السبق عنا عناصره
فما عابرات الجنوب حنائب	ولا ضرة ان الرزق ضرائره
لدى سياض الصبح والليل ادهم	واشهب كالبازي يقص كاسره
فلا جابر يوما لما هو كاسر	ولا كاسر يوما لما هو جابره

دهه

غزا لسحاب

فيه بعد البيت الاول الفارق
فانه سلدوهن بخرت
العارض

فلله شهر علاه لاجلها	تباهی به فوق السرير سرايره
ولستقبل الآمال كعبة جوده	كما استقبل البيت المعظم زايره
فاي نوال ما اضاءت شموسه	وما هي ان حققت الا دنانره
هو البحر الا ان منهل جوده	بواردة راقت به ومصادره
ولو لم يكن بحرا ونظمي درة	لما عرضت يوما عليه جواهره
اجود فيه المدح كل عشية	وابكار فكري بالثناء تباكره
اذا تاه مدحي في دجى ليل لفته	على الصدق دلته عليه ماثره
عبرت على الشعرى العبور فاو ما	الي وقالت اين والله شاعره
فمدحي له مدح المحب حبيبه	اذا زاره والليل قد نام سامره
وحتى له ما ان تقاس بغيره	لاني نفيس الحب فيه وغامره
وقد مات قبلي اول الحب ما انقضى	ولو مت اسنى الحب قد مات اخره

تم الكتاب المبارك على يد الفقير الى الله تعالى
المحمد تقي ميرزاي الشاهرخ شاهي
عفى الله عنه وعن مصنفه
وما لكه والناظر
فيه
وعن جميع المسلمين آمين بتاريخ شهر ربيع
المولود سنة تسع وسبعين
ومائتين بعد الالف
من الهجرة النبوية
على هاجرها الاف التسليم التحية